

رجل المستحيل

# الموت لا يأتي مرتين

د. نبيل فاروق

مجموعة القصص

مجلد  
الأعداد  
الخاصة

3

شبكة ليلاس الثقافية

Eman

[www.liilas.com/vb3](http://www.liilas.com/vb3)

133



## الموت لا يأتي مرتين

كانت مهمة خاصة في (فنلندا) لكشف  
أسرار الشبكة الاسكندنافية للجانوسية ،  
ولكن النشب الاسرائيلي (ماتير شالوم) ظهر  
وسيط الأحداث ، وكشف حقيقة (أدهم) ،  
ولعد خطة شيطانية للقضاء عليه ...

وبخدعة رهيبه ، وجد (أدهم صبرى) نفسه وسط جليد  
(الاتحاد السوفيتي) ، يقاتل ويقاتل للنجاة والفرار ، من أبشع  
معتقل عرفته السنوات الأربعين الأخيرة ...

معتقل ( سيبيريا ) ...  
وكان على (رجل المبتذل) أن يتصدى  
للخطر ، وأن يقاتل بكل قوته ، وهو يدرك حقيقة  
واحدة ...

أن الموت لا يأتي أبداً مرتين ....



www.kilias.com/vb3

في سائر الدول العربية والعالم

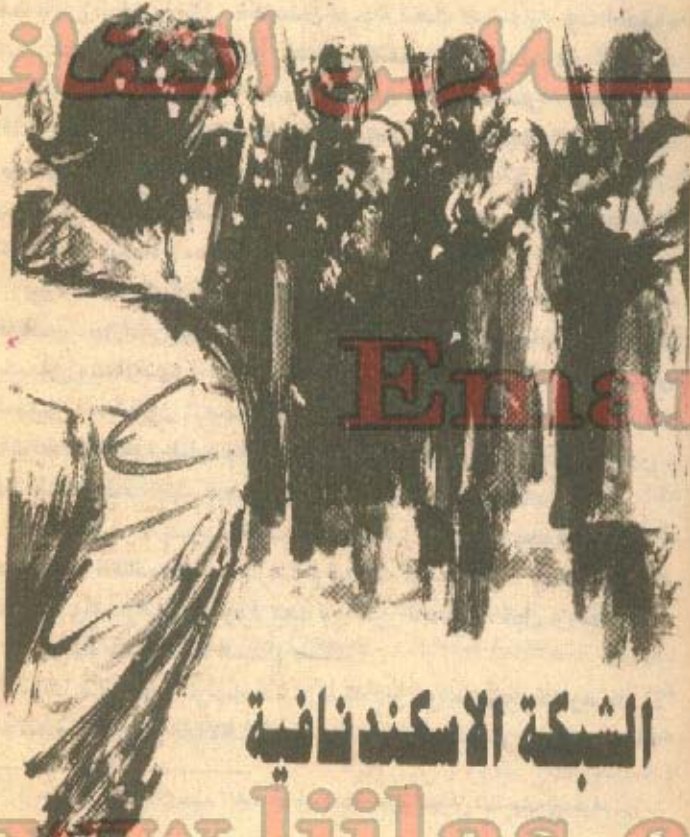
الناشر  
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

100 شارع مصر بالقاهرة - مصر



## القسم الأول



الشبكة الاسكندنافية

## رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه، هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لست لغات حية، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التتكر (المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الفواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة.. لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

تيسيل فاروق



انخفضت درجات الحرارة إلى حد رهيب ، يتجاوز المعدلات الطبيعية لمنطقة قارصة البرودة ، مثل ( سيبيريا ) ، وأشار مقياس البرودة إلى خمسين درجة تحت الصفر ، وبدأ جنود الحراسة الذين يحيطون بأسوار المعتقل الرهيب ، في قلب تلك البقعة المخيفة ، أشبه بالدببة ، داخل معاطف الفراء السمكية ، التي يرتدونها ، والتي تخفى أجسادهم بأكملها ، حتى بداية أقدامهم ، التي غاصت داخل أذية سمكية مبطننة بثلاث طبقات من الفراء ، في محاولة لاتقاء البرد الشديد ، والجليد الذي ينهمر بلا انقطاع ، منذ ثلاثة أيام ..

ووسط كل هذه الظروف ، وعلى الرغم من الحالة الرهيبة للطقس ، برز فريق من الجنود السوفييت في ثكناتهم<sup>(\*)</sup> ، وهم يحملون بنادقهم العتيقة ، ويجزؤون في قسوة رجلاً متين البنيان ، مفتول العضلات ، شبه فاقد الوعي ، تثير حالته المزرية ، وثيابه الخفيفة التي لا تتناسب قط مع ذلك الطقس ، الشفقة في قلب أكثر وحوش العالم قسوة وضراوة ..

ومن خلف الجنود ، ظهر الضابط ( أندريه فينوفيتشي ) بملامحه القاسية الصارمة وقوامه المشقوق ، وتابع حركة الجنود وأسيرهم في برود يعد من أبرز سماته ، قبل أن يقول :  
- اوقفوه عند ذلك الجدار هناك .

جذب الجنود الرجل حتى الجدار ، والصقوا ظهره به ، إلا أنه عجز تمامًا عن الوقوف وحده ، فقال ( فينوفيتشي ) في صرامة :

( \* ) تدور أحداث هذه القصة ، قبل سقوط وانهيار الاتحاد السوفيتي .

- ثبتوه إلى الجدار بأية وسيلة .

أسرع الجنود ينفذون الأمر دون مناقشة ، فاحاطوا وسط الرجل بجبل سميك ، وربطوا الحبل في مسمار معدني ضخ ، بدا وكأنه معد لهذا الغرض بالتحديد ، على ارتفاع ثلاثين سنتيمترًا من رأس الرجل ، الذي حاول أن يقول شيئًا ما ، إلا أن التهالك الشديد الذي أصابه ، مع تلك البرودة الشديدة ، التي تنخر عظامه ، منعاه من التفوه بأكثر من غمغمة غير مفهومة ، في حين انعقد حاجبا ( فينوفيتشي ) في صرامة مخيفة ، وهو يقول للرجال :

- اتخذوا أماكنكم .

أسرع الجنود يصطفون في خط مستقيم ، على مسافة ستة أمتار من الرجل المقيّد ، في حين رمقه ( فينوفيتشي ) بنظرة متشعبة ، وهتف :

- استعد .

رفع الجنود فوهات بنادقهم ، وصوبوها إلى صدر الرجل ، فقال ( فينوفيتشي ) ، وهو يشير إلى جنديين ، يقفان أمام عنبر المعتقلين الرئيسى :

- هيا .

استدار الجنديان يفتحان باب العنبر الضخم ، وراحا يسوقان المعتقلين أمامهما ، وهما يلوحان بعصى رفيعة ، تدور في الهواء تارة ، ثم تسقط على رأس أحد المعتقلين تارة أخرى ، حتى صنعا منهم قوسًا كبيرًا ، يواجه جنود كتيبة الإعدام ، والجدار الذي قيدوا الرجل إليه .

كان المعتقلون يرتجفون في شدة ، من فرط البرد والرغبة ،



- بالخسارة يا ( ادهم ) .. بالخسارة !

بلغت الكلمات أذن ( فينوفيتشى ) الحساسة ، على الرغم من خفوتها ، فالتقط نفساً عميقاً من الهواء البارد ، وتألقت عيناه فى ظفر ورضا ، ثم استدار إلى كتيبة الإعدام ، وقال فى صرامة ، وهو يرفع يده ويخفضها :

- الآن ..

ولم تكده يده تنخفض ، حتى انطلقت رصاصات بنادق كتيبة الإعدام ..

وأصابت كلها الهدف ..

وبلا استثناء ..

وانتفض جسد الرجل فى عنف ، وتفجرت بقع الدم من صدره ورأسه وعنقه .. ثم تهاوت رأسه على جسده ..

ورآن على الساحة صمت رهيب ..

رهيب ..

رهيب ..

ووسط كل هذا الصمت ، اتجه أحد الجنود إلى الرجل ، فى خطوات واسعة ، والتقط معصمه ، وتوقف لحظة لقياس نبضه ، ثم اعتدل فى وقفة عسكرية ، وقال فى حسم : انتهى الأمر ..

وتألقت عينا ( فينوفيتشى ) ببريق قوى ظافر ، فى حين لم تحتل عيون المعتقلين ، فتفجرت منها الدموع الحبيسة ، وسالت مع اليأس والمرارة ، و ...

ولكن مهلاً ..

هذه ليست بداية الأحداث بالتأكيد ..

ومن نظرات ( فينوفيتشى ) الصارمة المخيفة ، وهو يدير عينيه فى وجوههم ، قبل أن يقول بصوت جهورى ، يفيض بالقسوة والصرامة :

- ينبغي أن تعلموا جميعاً أنه لا أحد يمكنه مخالفة النظام والقواعد هنا ، ومن يفعل سيقبض مصيراً أسوأ من أشنع كوابيسه .. هل تفهمون !

رآن عليهم صمت رهيب ، وكلهم يتطلعون إليه فى خوف ، وحلوقهم جافة من شدة التوتر ، فادار عينيه فى وجوههم ثانية ثم تابع :

- وأمام عيونكم مثال لتأكيد ما قلته .. كلكم تعرفون ذلك المعتقل المصرى ( ادهم صبرى ) .. وتعرفون ما فعله ، وكيف حاول أن يبدأ تمرداً ، وأن يتصدى لأوامرنا وقواعدها ويتحداها ..

وانعقد حاجباه على نحو مخيف ، وهو يستطرد :

- وسيدفع الثمن غالباً ..

استدارت العيون فى حيرة إلى الرجل المقيّد ، والذى عقدوا آمالهم عليه ذات يوم ، فى أن يحمل إليهم لمحة الحرية ، أو شرارة الثورة ، أو حتى الأمل فى التصدى للقسوة والديكتاتورية الرهيبة ، التى تعدّ سمة من سمات معتقل ( سيبيريا ) الشهير . ومن بعض هذه العيون انهمرت دموع اليأس والقهر والمرارة .. وتجمّدت تلك الدموع على خدود أصحابها ، وشاركت الدموع الأخرى ، التى تجمّدت فى أعماق الآخرين ، قبل حتى أن تولد ..

وفى مرارة ، تمت ادهم ، وهو يتطلع إلى الرجل المقيّد :



فالبداية لم تكن فى معتقل ( سيبيريا ) (\*)  
بل ولم تكن فى ( الاتحاد السوفيتى ) كله ..  
لقد بدأت مهمة ( ادهم ) الفعلية فى ( هلسنكى ) عاصمة  
( فنلندا ) ..

وهذا يثير بالطبع موجة من التساؤلات ..  
لو أن المهمة الفعلية كانت فى ( هلسنكى ) ، فكيف وصل  
( ادهم ) إلى ( سيبيريا ) ؟ ..  
وإلى معتقلها بالتحديد ؟ ..  
ولماذا تم اعتقاله ؟ ..  
وكيف ؟ ..

ثم دعونا ننقل مباشرة إلى السؤال الرئيسى ..  
ما مصيره هناك ؟ ..

هل لقى مصرعه بالفعل ، أم ... ؟ ..

وللحصول على جواب لكل هذه التساؤلات ، يحتاج الأمر  
إلى العودة إلى ما قبل حتى أن تبدأ المهمة الفعلية ..  
وإلى نقطة البداية ..  
إلى ( القاهرة ) ..

\* \* \*

( \* ) سيبيريا : الاسم الشائع للجزء الآسيوى من الاتحاد السوفيتى ،  
تحتل الثلث الشمالى من آسيا ، وتمتد من جبال ( الأورال ) حتى المحيط  
الهادى ، ومن المحيط القطبى حتى ( منغوليا ) و ( منشوريا ) ، وزراعة  
الحبوب بها عامل هام للغاية فى الاقتصاد السوفيتى ( الروسى حالياً ) ،  
وبها مناجم غنية بالذهب والمعادن المختلفة .

أشارت عقارب الساعة إلى الثالثة وست عشرة دقيقة  
بالتحديد ، فى صباح أحد أيام الشتاء الباردة ، عندما ارتفع  
رنين الهاتف الخاص ، المجاور لغراش ( ادهم صبرى ) ،  
فاستيقظ على الفور ، واستعاد عقله وذهنه نشاطهما فى تلك  
الثانية ، التى امتدّت يده فيها ، ليلتقط سماعة الهاتف ، ويقول  
فى صوت متزن صاف :

- هنا ( ادهم صبرى ) .. من المتحدث .

أتاه صوت مدير المخابرات العامة المصرية شخصياً ، وهو  
يجيب :

- إنه أنا يا ( ادهم ) .. أعلم أن الوقت متأخر للغاية ، وأنت  
عدت منذ خمس ساعات فحسب من ( أثينا ) ، وأن مهمتك هناك  
لم تكن بالهينة ، ولكننى أريدك فى مكتبى فى تمام الرابعة .. هل  
يمكنك هذا ؟

نهض ( ادهم ) من فراشه بالفعل ، وهو يجيب :

- بالتأكيد .. ستجدنى أمامك فى الرابعة بالضبط .

قالها ، وأنهى الاتصال ، ثم بدا فى إجراءاته الصباحية فى  
نشاط جم ، وكأنما نهض على الفور من نوم عميق ، استغرق  
عشر ساعات أو أكثر ..

وعندما دقت ساعة الحائط ، فى مكتب مدير المخابرات ،  
معلنة تمام الرابعة ، كان ( ادهم ) يديق باب مكتبه ثلاث دقات  
منتظمة ، بدت وكأنها صدى لبعض دقات الساعة ، حتى أن  
المدير ابتسم ، وهو يقول فى ثقة :

- ادخل يا ( ادهم ) .



دلف ( ادهم ) إلى الحجرة في خفة ، وبدت ابتسامته يقظة متألقة ، وهو يقول :

- صباح الخير يا سيدي .

أشار إليه المدير بالجلوس ، مجيباً :

- صباح الخير يا ( ن - ا ) . اجلس ، واستمع إلى جيداً .

كانت بداية سريعة ، ولكن ( ادهم ) اعتاد استيعاب ذلك الإيقاع ببساطة ، منذ صباه ، عندما درّبه والده ( رحمه الله ) على هذا ، لذا فلم يبد أدنى انزعاج ، عندما دفع إليه المدير ملفاً ضخماً ، وهو يقول :

- راجع هذه المعلومات في سرعة .

فتح ( ادهم ) الملف ، وجرت عيناه فوق صفحاته بسرعة ، والتقططن بينها صورتين ، قائلاً :

- إنه ملف الشبكة الاسكندنافية .. هل استعادت نشاطها ثانية ؟

أوما المدير برأسه إيجاباً ، وقال في حزم :

- وبصورة مخيفة .

ثم أراح الملف جانباً ، مستطرداً :

- والمخيف هذه المرة هو أن الشبكة الجديدة تعمل تحت ستار قانوني تماماً ، فلقد اجتمع الأربعة الذين تبقوا منها : السويدية ( أنجريد ديلمير ) ، والدانماركي ( هانز جوردان ) ، والفنلنديان ( بيير ثوردال ) و ( باتون هال ) ، وأنشئوا شركة كبيرة لتصدير آلات التنقيب والمعدات الثقيلة ، واتخذوا مقراً لها مدينة ( هلسنكي ) عاصمة ( فنلندا ) ، وأصبحوا من رجال الأعمال المعروفين والمرموقين هناك ، يبرمون عقودهم بمنتهى

الشرف ، ويسددون ضرائبهم بكل أمانة ، ولكن لدينا شكوك قوية تشير إلى أن هذه الشركة تخفي وراءها نشاطاً غير مشروع ، يتعلّق بنشاطهم السابق ..

ومال نحو ( ادهم ) ، مضيقاً في جسم :

- الجاسوسية .

انعقد حاجباً ( ادهم ) ، وهو يقول :

- وهل تستند هذه الشكوك إلى دلائل قوية ؟

تراجع المدير ، وهو يلوح بيده ، قائلاً :

- بالتأكيد .

ثم شبك أصابع كفيه أمامه ، وهو يتابع في اهتمام :

- في الآونة الأخيرة رصد جواسيسنا لقاءً خاصاً ، ثم في سرية بالغة ، وإجراءات أمن مبالغ فيها ، بين ( باتون هال ) ،

محامي الشبكة وتعليقها الأول ، وبين ضابط الموساد الكهل ( ماثير شالوم ) .

رفع ( ادهم حاجبيه ) ، وخفضهما قائلاً :

- اه : ( ماثير شالوم ) .. الذئب الأرقط ، كما يطلقون عليه

في ( الموساد ) ..

عجباً !! .. هل قرّرت الشبكة الاسكندنافية (\*) أن تمد جسور

الصدقة بينها وبين ( الموساد ) ؟ .. بعدما ساءت علاقتها

بالمخابرات السوفيتية ( KGB ) ؟

أجابه المدير في جدية :

- ربما .. وربما يحدث العكس .. أن ( الموساد ) هو الذي

( \* ) الاسكندنافية : مصطلح يطلق على مجموعة دول ، في شمال أوروبا ) مثل : ( الدنمارك ) ، و ( النرويج ) ، و ( السويد ) ، و ( فنلندا ) .



يسعى لإقامة روابط مع الشبكة الاسكندنافية .. وفى كل الأحوال ، ينبغي أن نشعر بالقلق ، فإى اتحاد بين اثنين من العقارب ، لا يمكن أن يعنى إلا المزيد والمزيد من السموم .

سال ( أدهم ) فى اهتمام :

- وما دورى بالضبط فى هذه العملية ؟

انعقد حاجبا المدير فى اهتمام ، وهو يجيب :

- نريد أن نقتحم عالم الشبكة الاسكندنافية ، وأن نغوص فى أعماقها ، ونفسر أغوارها ، ونكشف كل ما يختفى وراء ذلك الستار الحديدى الأنيق ، وما يكمن خلف لقاء ( هال ) و ( شالوم ) .

وعاد يميل نحوه ، مستطرداً فى حزم :

- باختصار .. نريد أن نزرع عميلاً داخلها .

قال ( أدهم ) فى بطء :

- والمفترض أننى هذا العميل .. ليس كذلك ؟

عاد المدير إلى جلسته المعتادة ، وهو يجيب :

- بالتأكيد .. ومن سواك ؟ هؤلاء الجواسيس من أذكى

وأبرع من عمل فى مجال الجاسوسية الحرة ، وسيمكنهم كشف

أى جاسوس ، يحاول التسلل إلى صفوفهم ؛ لذا فهم يحتاجون

إلى محترف من طراز خاص ، يمكنه أن يتألق ، عندما يعمل

منفرداً ، ولديه موهبة ارتجال الخطط ، طبقاً لمقتضيات الموقف ،

ولا يحتاج إلى إجراء أية اتصالات مع قيادته طوال الوقت ..

وصمت لحظة ، هزّ خلالها رأسه قبل أن يضيف :

- إنهم يحتاجون إلى رجل مثلك يا ( ن - ا ) .

أوماً ( أدهم ) برأسه ، وأشار بيده ، قائلاً :

- عظيم .. هذا شرف لى بالتأكيد يا سيدي ، ولكننى اعتقد

أننا نغفل نقطة بسيطة ، فكل من الفنلندى ( بيير ثوردال ) ، والإسرائيلى ( مائير شالوم ) يعرفنى جيداً ، وسبق له أن التقى بى فى صراع ما (\*) ، وسيمكنهم تعرّفى من اللحظة الأولى .

ابتسم المدير ، وهو يقول :

- مستحيل ! .. عندما تتنكر ببراعتك المذهلة ، لا يمكن لأى

شخص أن يتعرفك .. لقد اخترنا هذا بأنفسنا .

هزّ ( أدهم ) كتفيه ، قائلاً :

- ليس من السهل أن يحافظ المرء على تنكر متقن طوال

الوقت .

ثم ارتسعت على شفثيه ابتسامة جذلة ، وهو يستطرد :

- ولكن الأمر لا يمكنه مقاومة إغراء التجربة .

اتسعت ابتسامة المدير ، الذى لم يشك لحظة واحدة فى قبول

( أدهم ) للمهمة ، وسمع هذا الأخير يسأل فى اهتمام :

- هل توجد خطة محددة ، أم أنه على أن ارتجل منذ

البداية ؟

اجابه المدير ، وهو يلتقط بضع أوراق من درج مكتبه :

- دع الارتجال لوقتته ، أما الآن فستتبع خطة بسيطة

للغاية .. لقد أعلنت الشركة عن رغبتها فى التعاقد مع طيار من

الفئة الأولى ، لقيادة طائرة خاصة ، وغداً موعد الاختبار ، فى

الثالثة ظهرًا .

ارتفع حاجبا ( أدهم ) ، وهو يقول :

- الثالثة ظهرًا ؟ هذا يعنى أنه ..

( \* ) لم يتم نشر هذه العمليات بعد .



## ٢- أجنحة الخطر ..

توقفت سيارة المانية أنيقة ، أمام مبنى فاخر ، فى قلب العاصمة الفنلندية ( هلسنكى ) ، وأسرع سائقها يسابق حارس البناية ، لفتح باب السيارة الخلفى ، وانحنى كلاهما فى احترام شديد أمام السيدة الأنيقة ، والتى هبطت منها ، داخل معطف من الفراء السميك حاملة كلباً صغيراً ، من نوع يهواه الأثرياء ، أحيط عنقه بطوق من الماس الطبيعى ، يتالق ببريق يخطف الأبصار ، ويشف عن مدى ثراء صاحبتة ، التى ناولت الكلب لحارس البناية فى تعال ، قائلة :

- اعتن به جيداً .

أجابها الحارس فى احترام شديد :

- بالطبع ياسيدتى .. بالطبع .

عبرت السيدة باب البناية فى خطوات رشيقة سريعة ، واستقبلها داخلها حارسان مسلحان ، قاداها إلى المصعد ، الذى استقلته إلى الطابق العاشر والآخر ، وهى تسوى شعرها الأشقر المتناثر فى أناقة ، وتتطلع عبر جداره الزجاجى إلى الحديقة الكبيرة فى مدخل المبنى ، والنافورة الرقيقة التى تتوسطها ، ورجال الأمن الذين يتابعون المصعد فى اهتمام ، وهم يبلغون زملاءهم بأعلى أن السيدة فى الطريق ..

وعندما وصل المصعد إلى الطابق الأخير ، كان الزملاء قد استقبلوا الرسالة ، واستعدوا لاستقبال السيدة ، فالتقط أحدهم معطف الفراء ، وهو يختلس النظر إلى ثوبها الضيق ، الذى يبرز مفاصلها ، وهى تتجه نحو ردهة واسعة ، قائلة فى صرامة

قاطعه المدير فى هدوء ، مكملاً :

- أنه عليك أن تسافر فى طائرة السادسة والنصف .. هذا صحيح .. ولهذا أيقظتك من نومك .. لقد أعدنا لك جواز سفر ، وأوراق هوية المانية ، باسم ( أدولف زيلمان ) .. طيار سابق فى شركة ( لوفتهانزا ) ، وستجد حقبيتك فى انتظارك فى مطار ( لندن ) ، الذى ستصل إليه ، قبل أن تستقل الطائرة المتجهة إلى ( هلسنكى ) ، والتى ستصل إليها فى الواحدة ظهراً .. وهذا يعنى أنه سيكون أمامك ساعتان ، لتستعد لاختبار الطيران .

وناوله الأوراق وجواز السفر ، وهو يبتسم ، مستطرداً :

- وهناك نقطة واحدة ينبغى أن تدركها جيداً ، فالذى سيجرى الاختبار هو ( هانز جوردان ) بنفسه ، وهو طيار مقاتل سابق فى الجيش الدنمركى كما تعلم ، ومعنى هذا أنه لن يختار إلا أبرع الطيارين .

ابتسم ( أدهم ) فى ثقة تحمل لمحة من السخرية ، فاتسعت ابتسامة المدير بدوره ، وهو يكمل :

- ولهذا أيضاً ، وقع اختيارنا عليك .

ولم يتبادلا بعدها كلمة واحدة ..

فقط تصافحا فى قوة ، ثم حمل ( أدهم ) أوراق ( أدولف زيلمان ) ، وغادر مكتب المدير ، ومبنى المخابرات العامة كله ، متجهاً إلى المطار ..

فلقد بدأت مهمته ..

وبدا الخطر .

\* \* \*



شديدة ، لا تتناسب مع جمالها الواضح ، على الرغم من سنوات عمرها ، الذى تجاوز منتصف الأربعينات بعام أو عامين :

- هل وصل الباقون ؟

أجابها أحد رجال الأمن ، وهو يتحرك خلفها فى خطوات واسعة :

- مسيو ( بيير ) هنا ، ومسيو هانز وصل منذ دقائق ، ويستعد للذهاب إلى المطار ، لإجراء اختبارات الطيران للمتقدمين للوظيفة ، أما مسيو ( هال ) ، فلم يصل بعد .  
مطت شفيتها الجميلتين ، قائلة فى غضب :

- ولماذا لم يصل بعد ؟ .. لقد تجاوزنا الثانية بالفعل .  
أجابها الرجل فى سرعة :

- لقد اتصل هاتفياً من سيارته ، وقال إنه فى الطريق .  
يا سيديتى ، وسيصل بعد قليل .

عانت تمط شفيتها فى غضب ، وهى تتجه إلى قاعة الاجتماعات ، قائلة :

- ذلك الوغد يعلم أننا لا نستطيع بدء الاجتماع بدونه .  
خيل لرجل الأمن أنه لم يسمع جيداً ، فسألها فى شيء من الدهشة :

- ماذا يا سيديتى ؟

التفت إليه فى حركة حادة ، وقالت :

- ليس فى هذا من شأنك .. هيا .. اغرب عن وجهى ، ولا تتبعنى هكذا كظلى .. أنا أكره هذا .

تراجع الرجل على الفور وهو يقول :

- كما تاهرين يا سيديتى .

قبل أن تصل إلى القاعة فتح ( بيير ثوردال ) بابها ، وابتسم ابتسامة لا تحمل أدنى قدر من الموتة ، وهو يقول :

- صباح الخير يا أميرتى .. لماذا تبدئين صباحك ثائرة هكذا ؟

ومقته بنظرة صارمة ، وهى تجيب :

- لقد تجاوزت الثانية ظهراً .

رفع حاجبيه بحركة مصطنعة ، وهو يقول :

- حقاً ؟ .. يبدو أن شمس جمالك قد بهرت عيني ، حتى

تصورت أننا فى الصباح الباكر .

مطت شفيتها على نحو يوحى بأن عبارته لم ترق لها ، ثم تجاوزته ، مشيحة بوجهها عنه ، ولوحت بأصابعها لـ ( هانز )

قائلة :

- كيف حالك ؟ .. أخبرونى أنك تستعد للانصراف .

أجابها ( هانز ) فى برود :

- اختبار الطيران يبدأ بعد أقل من ساعة .

جذبت مقعداً ، وجلست فى بطة ، ووضعت إحدى ساقها فوق الأخرى ، ثم تطلعت إلى اغفارها الطويلة ، المطلية فى

عناية ، وقالت :

- لماذا تأخر ( هال ) ؟

أجابها ( ثوردال ) ، وهو يغلق باب القاعة فى إحكام :

- اجتماعه مع الإسرائيلى استغرق وقتاً أكثر مما ينبغى ،

ولكنه يقول : إنه حصل على صفقة جيدة .

ادارت عينها إليه ، وقالت فى دهشة ساخرة :



- صفقة جيدة مع يهودى ؟

لوح ( ثوردال ) بيده قائلاً :

- انا لا اثق بالاسرائيليين قط ، ولو ان الصفقة رابحة ،

فهى لصالحهم حتماً :

قال ( هانز ) فى سرعة :

- دعونا لا نتعجل الامور .. ( هال ) سيحصل ما بين دقيقة

واخرى ، وسنعرف منه كل التفاصيل .

لم يكذبتم عبارته ، حتى ارتفع صوت ( هال ) من عند

الباب ، هاتفاً :

- لقد وصل بالفعل .

التفتت العيون كلها إليه ، وهو يهدف إلى القاعة فى نشاط ،

ويضع حقيبته على مائدة الاجتماعات ، وسالته ( انجريد ) :

- ماذا فعلت مع ( شالوم ) ؟

ربت على الحقيبة ، قائلاً بابتسامة ظافرة :

- اقنعت ان يمنحها الملايين الخمسة ، التى تحتاج إليها .

ساله ( ثوردال ) بسرعة :

- مقابل ماذا ؟ .. الاسرائيليون لا يمنحون الملايين ، إلا

لو كانت ستدر عليهم المليارات .

التفت إليه ( هال ) ، وهز كتفيه ، قائلاً :

- كل ما طلبه الرجل هو التعاون .. فقط التعاون مع

( الموساد ) .

انعقد حاجباً ( انجريد ) فى شك ، وتمتم ( هانز ) فى حذر :

- التعاون ؟

اجاب ( هال ) فى حماس :

- نعم .. كل ما طلبه الاسرائيليون هو التعاون ، ما بين

جهاز مخابراتهم ( الموساد ) ، وشبكتنا الاسكندنافية .. وهذا

مقابل خمسة ملايين عدداً ونقداً .

سالته ( انجريد ) فى قلق :

- وما صورة التعاون التى اقترحوها ؟

ادار ( هال ) عينيه فى وجوههم ، ثم جذب مقعداً ، وجلس

بينهم قائلاً :

- كل ما يطلبونه هو ان نعاونهم على اختراق المخابرات

السوفيتية .

اتسعت عيونهم فى مزيج من الذعر والذهول ، وبدا صوت

( هانز ) اشبه بصرخة فزع ، وهو يهتف :

- المخابرات السوفيتية ؟ .. هل جننت يا رجل ؟ .. هل

تريد منا ان نعاون مع الاسرائيليين ضد السوفييت ؟

اشار ( هال ) بيده قائلاً :

- رويدكم يا رفاق .. الامر ليس بالصعوبة التى

تتصورونها .. عندما بدأت مفاوضاتى مع ذلك الاسرائيلي ،

ادركت على الفور انه يعلم ان اتصالاتنا بالمخابرات السوفيتية

لم تنقطع تماماً ، وأنه مازال لنا عميل فى قلبها ، وان رؤسائه

قد ارسلوه لإقناعنا باستغلال هذا العميل لحسابهم .

ثم تراجع فى مقعده ، وابتسم ، قائلاً :

٢١



- من الواضح أنهم لم ينسوا بعد عملية الدكتور (إسرائيل) ، وأنهم ينشدون الانتقام من السوفيت (\*) .  
 - انعقد حاجباً (ثوردا) ، وهو يقول في عصبية :  
 - تحدث عن الأمر كما لو كان سهلاً بسيطاً .  
 - هز ( هال ) كتفيه ، قائلاً :  
 - إنه كذلك بالفعل .. كل ما يطلبه الإسرائيليون هو أن يحصلوا على بعض المعلومات ، عن المخابرات السوفيتية ، عن طريق عميلنا هناك .

لوح ( ثوردا ) بسبابته في وجهه قائلاً في صرامة :  
 - اسمع يا ( هال ) .. لدى خبرة طويلة في التعامل مع اليهود ، ولو أردت نصيحتي ، فلا تثق بإسرائيلي قط ..  
 - إنهم ، ومهما بدوا لك طيبين ودودين ، لا يعرفون إلا صالحهم فقط ، ويمكنهم أن يدوسوا أمهاتهم بأقدامهم ، في سبيل هذا .  
 - ابتسم ( هال ) ، وهو يقول :  
 - كل مخلوق في الدنيا يسعى لصالحه يا عزيزي ( بيير ) ..

( \* ) ( إسرائيل بيير ) ضابط برتبة كولونيل ، وأستاذ في جامعة ( تل أبيب ) ، ومستشار الأمن القومي في الحكومة الإسرائيلية ، ومؤرخ عسكري في وزارة الدفاع الإسرائيلية ، ومحرر في جريدة ( هامشمار ) ، ومعلق عسكري لجريدة ( ها أرتم ) ، كشف الإسرائيليون فجأة أنه جاسوس سوفيتي ، وتمت محاكمته بهذه التهمة ، دون أن يدرك الإسرائيليون أن عشيقته ( ريناتا ) كانت تعمل لحساب المصريين ، وتنقل إليهم بانتظام كل المعلومات والوثائق ، التي يعنها ( إسرائيل ) لإرسالها إلى السوفييت ، أي أنه كان يعمل لحسابنا دون أن يدري .

وهم لم يعارضوا هذا قط .. سيحصلون على ما يريدون ، ويمكنونا ما نريد .

قالت ( أنجريد ) في صرامة :

- ومن أدراك أنهم لا يسعون إلى العكس ، وأنهم لا يتعاونون مع السوفيت ضدنا ؟  
 - هز كتفيه ، قائلاً :  
 - ولماذا يفعلون هذا ؟  
 - أجابه ( هانز ) في حزم :  
 - ليكشفوا عميلنا في الـ ( كى . جى . بى ) .  
 - مال ( هال ) إلى الأمام ، وقال بابتسامة واثقة :  
 - اطمئن .. لن يمكنهم هذا .  
 - سألته ( ثوردا ) :

- كيف أيها العبقري ؟ ألن يحصلوا على ما يريدونه من معلومات عن طريقه ؟  
 - أشار ( هال ) بسبابته ، وحافظ على ابتسامته الواثقة ، وهو يقول :

- لن يحدث الأمر بهذه البساطة .. لقد درست الموضوع جيداً ، قبل أن أوافق على عقد الصفقة .. إنهم لن يلتقوا بعميلنا قط ، ولن يعرفوا حتى اسمه .. كل ما سيحدث هو أنهم سيطلبون منا المعلومات ، وتطلبها نحن من عميلنا ، الذي يرسلها إلينا ، فنسلمها نحن للإسرائيليين ، ونحصل على الثمن .. باختصار .. ستكون سماسة معلومات فحسب ، مقابل مبلغ ضخم من المال .

تبادل ( هانز ) نظرة قلقة مع ( أنجريد ) ، في حين انعقد



حاجباً ( ثورداً ) فى شدة ، وهو يحاول استيعاب الموقف ، ثم لم يلبث أن هز رأسه ، متمتماً :

- لا تثق أبداً بإسرائيلى .

مط ( هال ) شفتيه ، وتراجع فى مقعده ، وقلب كفيه ، قائلاً :

- اعتقد أن موقفكم متعنت بحق هذه المرة .

ثم عاد يعتدل ، مردفاً فى غضب :

- ألا تثقون ببراعتى كمحام ؟

عادوا يتبادلون تلك النظرة الحذرة القلقة ، ثم لم يلبث ( هانز ) أن نهض ، قائلاً :

- ألا يمكن إرجاء مناقشة هذا الأمر ، حتى أعود من

اختبارات الطيران ؟

قال ( هال ) فى عصبية :

- هذا الأمر أكثر أهمية من اختبارات الطيران .

أجابه ( هانز ) فى صرامة :

- لقد حددت بنفسى موعد عقد الاختبارات ، ولن أراجع عن

قولى قط .

وافقته ( أنجريد ) بإيماءة من رأسها ، قائلة :

- هذا أفضل يا ( هال ) .. الأمر يحتاج إلى بعض التروى

والتفكير ، قبل اتخاذ قرار حاسم ، فى أمر حيوى كهذا .

واندفع ( ثورداً ) قائلاً :

- وأنا اتفق تماماً مع ( أنجريد ) و ( هانز ) .

بدا الضيق والغضب على وجه ( هال ) ، وهو ينهض

بدوره ، قائلاً :

- فليكن .. خذوا وقتكم ، ولتلق هنا صباح الغد ، ونحسم

هذا الأمر .. فكروا جيداً وحاولوا تخيل مدى ما سنحصل عليه

من مزايا ، بتعاوننا مع جهاز مخابرات قوى مثل ( الموساد ) .

غمغمت ( أنجريد ) ، وهى تلقى نظرة أخرى على أظفارها

الجميلة :

- اطمئن .. سيفعل .

انفض الاجتماع بعد هذه العبارة ، وانطلق ( هانز )

بسيارته ، للحاق باختبارات الطيران ، فى حين اتجه ( ثورداً )

و ( أنجريد ) إلى مكثبيهما فى الطابق التاسع ، وبقي ( هال )

وحده ، صامئاً ساكناً ، يتطلع عبر النافذة إلى العاصمة

الفنلندية فى شروق ..

لقد كان أكثر من يهमे عقد مثل هذه الصفقة مع الإسرائيليين ..

ولديه أسبابه لهذا ..

وهى أسباب لا يمكن التصريح بها ..

لا يمكن أبداً ..

\* \* \*

استرخى ( هانز جورداً ) فى مقعده فى ضجر ، يراقب

طائرة التدريب ، التى تحلق فى السماء ، ويدخلها أحد

الطيارين الجدد ، الذين تقدموا للاختبار ، ومط شفتيه ، وهو

يزيح صورة الطيار جانباً ، مغمغماً :

- لا يصلح .

لم يكن الطيار ، الذى يقود الطائرة فاشلاً ، إلا أن عمل

( هانز ) السابق كطيار مقاتل ، كان يضيف على مزاجه سمة

خاصة ، فهو لا يقبل بالجودة العادية قط ..

إنه يبحث عن طيار من طراز خاص ..



طيار يمكنه أن يقود طائرة خاصة ، بنفس المهارة التي يقود بها مقاتلة حربية ..

طيار قادر على المراوغة والمناورة ..

وليس من السهل أن يجيد طيار مدني هذا ..

لذا فقد اختبر (هانز) أكثر من خمسة طيارين ، من الثالثة وحتى الرابعة بعد الظهر ، دون أن يروق له واحد منهم ..

وعندما هبط الطيار الحالي بطائرة التدريب ، قفز منها في خفة ، واتجه إلى حيث يجلس (هانز) ، وسأله في لهفة :

ما رأيك ؟

تنهّد (هانز) ، ومطّ شفتيه مرة أخرى ، وهزّ رأسه قائلاً في برود :

- لا بأس .

شعر الطيار بالإحباط ، وقال مرتبكاً :

- لقد عملت بالطيران المدني لمدة عامين ، ثم التحقت بمدرسة للـ ..

قاطعه (هانز) بإشارة من يده ، وكرّر في ضجر :

- لا بأس .. لا بأس .. اترك اسمك وعنوانك ، وسنتصل بك إذا ما احتجنا إليك .

أوماً الطيار برأسه في إحباط أكثر ، وأملى اسمه وعنوانه لمدرّب الطيران ، الذي كتبهما في لامبالاة واضحة ، وتنهّد قائلاً :

- ألم يرق لك أيهم يا مسيو (هانز) ؟

هزّ (هانز) رأسه نفياً ، وقال :

- كلهم لا يصلحون .

ثم سال في شيء من الملل :

- أمازال هناك آخرون ؟

أجابه المدرّب :

- نعم .. ثلاثة .. أحدهما ألماني ، والآخران نرويجيان .

صمت (هانز) لحظة ، وهم بصرف الطيارين الثلاثة ، ثم لم

يلبث أن قال :

- فليكن .. دعنا نختبر الألماني أولاً .

اعتدل المدرّب ، وهتف :

- تعال يا (زيلمان) .

تقدّم (أدهم) نحو (هانز) ، الذي تطلّع إليه لحظة ، وقارن وجهه بصورته المدوّنة في طلب الاختبار ، ثم راح يتطلّع إليه

بضع لحظات في صمت ..

كان (أدهم) قد صبغ شعره بلون أشقر ذهبي يتناسب تماماً مع لون الشارب واللحية الكثين ، اللذين أخفيا نصف وجهه ،

وارتدى سترة جلدية سوداء تشبه تلك التي كان يرتديها الطيارون الألمان ، في الحرب العالمية الثانية (\*) ، وسروالاً أزرق

من سراويل رعاة الأبقار الأمريكيين (بلوجينز) ، وحذاء مطاطياً من أحذية الرياضيين ..

وكان في مظهره هذا يختلف تماماً عن الآخرين ، الذين

(\*) الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥ م) : حرب اشتعلت بسبب السياسة العدوانية التي اتبعتها قوات المحور (ألمانيا) ، و (إيطاليا) ، و (اليابان) ، مما اضطر (انجلترا) ، و (فرنسا) للتدخل ، وسقطت

(فرنسا) في البداية ، ولكن (انجلترا) صمدت طويلاً ، أما (ألمانيا) فخاضت الحرب في جبهات مختلفة ، حتى وصلت إلى (روسيا) ، ومن

هناك بدأت الهزيمة ، التي امتدت حتى احتلال (برلين) عام ١٩٤٥م ، وانتحار (أدولف هتلر) .



تأنقوا بقدر إمكانهم لخلق انطباع جيد عند المختبر ، لذا فقد  
فحصه ( هانز ) من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، قبل أن  
يسأله :

- أين كنت تعمل من قبل ؟

أجابه ( أدوم ) فى هدوء ، وبلغه المانية سليمة تمامًا :

- وما شأنك بهذا ؟

انعقد حاجبا ( هانز ) وهو يقول :

- أجب سؤالي .

أجابه ( أدوم ) فى صرامة :

- قل لى يا رجل : أهذا اختبار طيران ، أم امتحان للالتحاق

بالمدرسة الثانوية ؟

بدأ الغضب لحظة على وجه ( هانز ) ، إلا انه لم يلبث أن

استعاد بروده ، وهو يراجع طلب الاختبار ، قائلاً :

- اسمك الأول ( أدولف ) .. أنت من المعجبين بالنازي

السابق ( أدولف هتلر ) (\*) .

أجابه ( أدوم ) :

- ليس هذا من شأنك .

بدت الدهشة على وجه مدرب الطيران ، من الأسلوب الذى

يتحدث به ( أدوم ) ، وقال فى قلق :

- ألا تعرف إلى من تتحدث يا فتى ؟

(\*) ( أدولف هتلر ) ( ١٨٨٩ - ١٩٤٥ م ) : زعيم الماني ، قائد الحزب

النازي ، وأسس الرايخ الثالث ، وأصبح رئيساً للوزراء عام ١٩٣٣ م ، ثم

رئيساً للجمهورية عام ١٩٣٤ م ، وأدت سياسته إلى إشعال الحرب العالمية

الثانية ، التى انتهت بهزيمة ( المانيا ) وانتحاره .

أجابه ( أدوم ) متحدياً :

لا يعنينى أن أعرفه .. أنا هنا لإجراء اختبار الطيران

فحسب .. هل تنوون اختباري أم أعود أدراجي ؟

رمقه ( هانز ) بنظرة صارمة ، قبل أن يقول :

- هل تعتقد أنك تستطيع قيادة الطائرة بمهارة ، بهذا المزاج

العصبى ؟

ألقى ( أدوم ) نظرة مستهترة على الطائرة الصغيرة ، قبل

أن يجيب فى سخرية :

- اتقصد هذه الطائرة ؟ .. إننى أستطيع قيادتها فى أثناء

نومي ، والهبوط بها فوق رصيف صغير ، تحيط به النيران من

جانبه ، قبل حتى أن أستيقظ .

ابتسم ( هانز ) فى سخرية ، قائلاً :

- يا للغرور !

انفعل مدرب الطيران ، وهو يقول :

- هذا الرجل لا يصلح يا سيد ( هانز ) ، دعه ينصرف ، و ...

قاطعه ( هانز ) فى صرامة :

- على العكس .

ثم مال نحو ( أدوم ) مستطرداً :

- هيا .. اعرض علينا مهارتك .

قال ( أدوم ) ساخراً :

- فليكن ، ولكن حاول ألا تنبهر كثيراً .

قالها ، واتجه مباشرة نحو طائرة التدريب الصغيرة ، فقال

المدرّب فى عصبية :

- كان ينبغي أن تطرده يا مسيو ( هانز ) .



هز ( هانز ) رأسه نفياً ، وقال :

- بل دعه يريتنا مهارته ، ثم نحطم غروره بسخريتنا .  
لم يهضم المدرب هذا المنطق ، ولكنه هز رأسه مضطراً ، وعاد  
يتابع ( ادهم ) الذى قفز داخل الطائرة ، وانطلق بها على ممر  
الإقلاع فى بساطة ، ثم غمغم :

- بدايته جيدة الى حد ما .

غمغم ( هانز ) :

- لا تجعل هذا يخدعك .

ارتفعت الطائرة الصغيرة فى براعة حقيقية ، وواصلت  
انطلاقها فى خط مستقيم ، ثم لم تلبث ان ارتفعت بزاوية حادة ،  
فانعقد حاجبا المدرب فى قلق ، وهو يغمغم :

- ماذا يفعل هذا الاحمق .. طائرة التدريب لن تحتمل  
الارتفاعات الكبيرة .

أما ( هانز ) ، فلم ينبس ببنت شفة ، وهو يراقب الطائرة ،  
التي واصلت ارتفاعها طويلاً ، ثم دارت دورة رأسية ، و ...

وفجأة راحت تهوى ...

تماماً كما لو ان قائدها قد فقد سيطرته عليها ، وتركها  
تسقط من حالق ..

وفى هلع ، قفز المدرب من مقعده ، هاتفاً :

- رباح ! .. إنه يسقط ..

أما ( هانز ) فانعقد حاجباً فى شدة ، وتمتم :

- مستحيل ! .. آمن الممكن ان ..

لم يكمل عبارته ، وإن بدا التوتر واضحاً على ملامحه ، وهو  
يتابع سقوط الطائرة ، التي بدا وكأنها ستواصل ذلك السقوط



ثم مال نحو ( ادهم ) مستظرفاً :  
- هيا .. نعرض علينا مهارتك .



العشوائى ، حتى ترتطم بالأرض ، فهتف المدرب مذعوراً :  
- سيسقط .. سيسقط حتماً .

ولكن فجأة ، استعادت الطائرة توازنها ، واعتدلت ، وراحت  
تنطلق بمحاذاة الأرض ، على ارتفاع منخفض ، متجهة نحو  
حظيرة طائرات مفتوحة ، فاتسعت عينا المدرب ، وغمغم :

- ما الذى يفعله بالضبط ؟

اعتدل ( هانز ) فى اهتمام شديد ، وهو يقول :  
- يثبت مهارته .

التفت إليه المدرب فى دهشة ، قائلاً :  
يثبت ماذا ؟

أشار إليه ( هانز ) فى صرامة ، وهو يقول :  
- اصمت .. دعنا نر هذا .

كان ( أدوم ) ينطلق بالطائرة نحو حظيرة الطائرات بالفعل ،  
ثم مال بجناحيها قليلاً ، واقتحم الحظيرة بزاوية مخيفة ، وعبر  
فراغها بسرعه ، قبل أن يبرز من الباب المواجه ، ويرتفع ثانية  
بالطائرة ..

وفى آنبهار ، هتف المدرب :  
- مستحيل !

تألفت عينا ( هانز ) ، وقال فى انفعال :  
- إنه طيار حقيقى .. هذا هو الرجل الذى احتاج إليه

بالضبط .

هرش المدرب رأسه ، قائلاً فى حيرة :  
- كيف تعلم كل هذا ؟

كان ( أدوم ) ينطلق بالطائرة فى مدار حلزونى ، وهو

يرتفع بها ، ويرتفع ، ويرتفع ، ثم عاد ينخفض بزاوية مخيفة ،  
وكانه صاروخ يتجه نحو الأرض مباشرة ..

وفى توتر شديد ، غمغم المدرب :

- لابد وان يرتفع الآن .. لو تأخر قليلاً سيكون الارتفاع  
مستحيلاً ، و ..

وانحسبت الكلمات فى حلقه لحظة ، قبل أن يتابع :

- مستحيل ! لقد فقد فرصة الارتفاع .. سيرتطم بالأرض  
حتمًا .

بلغ انفعال ( هانز ) ذروته ، حتى أنه قبض على معصم  
المدرب فى قوة ، وهو يقول ، وكأنه يتحدث مع ( أدوم ) مباشرة :

- هيا .. ارتفع يا رجل .. ارتفع .. ارتفع .

شهق المدرب ، متصوراً أن الطائرة سترتطم بالأرض  
لا محالة ، ولكنها اعتدلت فجأة ، وبزاوية شديدة الصعوبة ،

وارتفعت مقدمتها فى مهارة ، فى حين انخفضت مؤخرتها ،  
واقتربت إطاراتها من الأرض ، قبل أن تلتقى بها فى نعومة

مدهشة ، وتنزل الطائرة على المهبط على نحو يثير الإعجاب ..  
وعندما قفز ( أدوم ) خارج الطائرة بعد توقفها ، لم يتمالك

المدرب نفسه ، وهتف فى انبهار :

- رائع .. أروع عرض طيران شاهدته فى حياتى .

ابتسم ( أدوم ) فى سخرية ، وهو يقول :

- لقد حذرتك من قبل .. لا تنبهر كثيراً .

كان ( هانز ) يشعر بالانبهار ، من قمة رأسه وحتى أخمص  
قدميه ، إلا أنه أخفى انفعاله هذا فى أعماقه ، وهو يقول :

- مستواك لا بأس به يا رجل .. ستفوز بالوظيفة .



### ٣ - العميل ..

خفض ( هال ) سرعة سيارته الانيقة ، عندما بلغ تلك البقعة الخالية ، عند اطراف العاصمة ، وانحرف فى طريق جانبى قديم غير مطروق ، وتوقّف عند مبنى نصف متهدم ، وغادر سيارته فى حذر ، وهو يتلقتّ حوله ، حتى سمع صوتاً يقول :  
- اظمئن .. لم يلمحك أحد .

التفت ( هال ) فى حدة إلى مصدر الصوت ، ثم زفر فى عصبية ، قائلاً :

- ( شالوم ) .. لقد أفرغتنى .

ظلتّ ملامح الإسرائيلى خاوية من أية انفعالات ، وهو يقول :

- لا بأس .. أخبرنى .. هل نجحت فى إقناع رفاقك ؟

هزّ ( هال ) رأسه نفياً ، وقال فى توتر :

- ليس بعد .. ما زالوا يشعرون بالقلق ، ويفتقرون إلى الثقة بكم .

عقد ( شالوم ) حاجبيه ، وهو يقول :

- مهمتك أن تزيل قلقهم أو تمنحهم بعض الثقة .

أجاب ( هال ) فى عصبية :

- إننى أبذل قصارى جهدى .

رمقه ( شالوم ) بنظرة طويلة ، قبل أن يقول :

- يمكنك أن تبذل جهداً أقل لو أردت .

قال ( هال ) فى حدة :

- بأن أعطيك اسم عميلنا فى الـ ( كى . جى . بى ) ..

اليس كذلك ؟

نطقها فى نفس اللحظة ، التى اقترب فيها أحد الفنيين من المدرب ، وهو يسأله :

- قل لى يا سيّدى : هل من الممكن أن ...

ويتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى وجه ( أدهم ) ، قبل أن يصرخ فجأة :

- رباه ! .. أنا أعرف هذا الرجل .

وانعقد حاجبا ( أدهم ) فى توتر ملحوظ ..

وكانت مفاجأة .

\* \* \*





قال ( شالوم ) :

- إنه ليس بالأمر العسير .

اجابه ( هال ) :

- بل هو أسخف شيء يمكن أن أفعله ، فى ظل هذه

الظروف .. لو انتى اعطيتك اسم العميل ، فما الذى يمكن أن  
يفيدنى ؟

قال ( شالوم ) :

- ستحصل وحدك على خمسة ملايين دولار .

أشار ( هال ) بسبائته ، قائلاً فى حزم :

- خطأ يا ( شالوم ) .. إنها ثمانية ملايين وليس خمسة .

ابتسم ( شالوم ) بشيء من السخرية ، وهو يقول :

- هذا لو أنك حصلت على موافقة الجميع .. ستحصل معهم

على خمسة ملايين من الناحية الواضحة ، وعلى ثلاثة ملايين

وحدك بصورة سرية ، أما لو أخبرتنا اسم العميل ، فستحصل

على الملايين الخمسة كلها وحدك ، ولن يعلم رفاقك عنها شيئاً .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفתי ( هال ) وهو يقول :

- محاولة طريفة لإغرائى يا ( شالوم ) ، ولكنها محاولة

فاشلة للأسف ، قطعوى يفوق عرضك بكثير .

انعقد حاجبا ( شالوم ) ، وهو يردد فى حذر :

- طموحك ! ؟

أشار ( هال ) بيده قائلاً :

- بالطبع هل تصوّرت اننى ساكتفى بتلك الملايين المحدودة

التي سأحصل عليها منكم ، مقابل إقناع رفاقى بالتعاون

معكم ؟ .. خطأ يا رجل .. اننى اعتبر تعاونكم معنا أشبه بمنجم

الذهب .. يظلّ يمنحنا إنتاجه ، ما دمنّا نواصل التنقيب فيه ..

عميلنا سيحمل إليكم الكثير والكثير من المعلومات ، وكلها عن

طريقى وحدى .. وفى كل مرة ، اعطيكم فيها المعلومة ، سأحصل

على مكافأة إضافية .. هذا هو طموحى الحقيقى .. منجم ذهب

لا ينضب أبداً .

انعقد حاجبا ( شالوم ) أكثر ، وهو يقول :

- حذار يا ( هال ) .. المناجم تنضب أحياناً .. أو تنهار فى

أحيان أخرى .

قال ( هال ) فى عصبية :

- أتهديد هذا ! ؟

اجابه ( شالوم ) فى سرعة :

- بل تحذير يا ( هال ) .. ما تتحدث عنه ليس طموحاً .. إنه

الطمع والجشع .

أطلق ( هال ) ضحكة ساخرة عصبية ، وهتف :

- لقد تعلّمته منكم يا أساندة الطمع والجشع عبر التاريخ ..

هل لك أن تخبرنى كيف صنعتهم إمبراطورياتكم المالية ! ؟ ..

ليس بالطمع والجشع ! ؟

قال ( شالوم ) فى غضب :

- إننا ندير أعمالاً قانونية .

هتف ( هال ) :

- ولكنها غير محترمة .. إنكم أصحاب كل الشركات ، التي

تتاجر بكل وأحط غرائز البشر .. هل اذكر لك أسماءها ، أم ...

قاطعه ( شالوم ) فى غضب صارم :

- هل تركت مهنة المحاماة ، وتحوكت إلى مصلح اجتماعى ؟



ارتفع حاجبا ( هال ) فى دهشة ، وهو يهتف :

- مصلح اجتماعى ١٩ .. أنا ؟ !

ثم تفجرت فى حلقه ضحكة ساخرة مجلجلة ، قبل أن يميل نحو ( شالوم ) ، ويشير إلى نفسه ، قائلا :

- لو اردت الحقيقة ، فانا أكثر حقارة منكم يا رجل .. تعلمت على أيديكم الجشع والطمع والخيانة والغدر ، ثم تفوقت عليكم .. أنا التلميذ الذى فاق أستاذه .

واعتدل فى حركة حادة ، مستطرداً فى صرامة :

- والذى سيريح معركته فى النهاية .

والتقط نفساً عميقاً من الهواء ، قبل أن يخيف فى حزم :

- غداً ستحصلون على موافقة رفاقى ، واحصل أنا على

الملايين الثمانية .

واتجه نحو سيارته ، وتوقف عندها ، ليلتفت إليه ،

مستطرداً :

- وعلى مكافأتى المنتظمة .

قالها ، ودلف إلى سيارته ، وانطلق بها مبتعداً ، وهو يطلق

ضحكة ساخرة أخرى ، انعقد لها حاجبا ( شالوم ) بشدة ، وراح

يتابع السيارة ببصره وهو يغمغم فى مقت :

- تظن نفسك أذكى الأنكباء أيها الدانمركى .. فليكن .. غداً

ستدرك أن أحداً لا يمكنه خداعنا قط ، وأنه عندما تحين لحظة

الحصاد ، نكون نحن الفائزين ..

والتقى حاجباه فى شدة ، وهو يخيف :

- نحن وحدنا .

وعاد يتابع السيارة فى اهتمام ..

وفى غضب ..

\* \* \*

أطل مزيج من التوتر والفضول من عيني ( هانز ) ، وهو يتطلع إلى الفنئ الذى لوح بسبأبته فى وجه ( أدهم ) ، وراح يهتف :

- لقد أطلق لحيته وشاربه ، ولكننى عرفته .

التفت إليه المدرب ، يسأله فى لهفة لم يحاول إخفاءها :

- من هو يا رجل ؟ .. من هو ؟

لوح الفنئ بسبأبته فى وجه ( أدهم ) وكانما غلبه الانفعال ،

قبل أن يهتف :

- ( أدولف زيلمان ) .

بدا الإحباط وخيبة الأمل على وجه المدرب ، فى حين انعقد

حاجبا ( هانز ) فى شدة ، وقد تصور كلاهما أن الرجل سيكتفى

بهذا الجواب ، الذى لا يضيف إليهما جديداً ..

ولكن الفنئ ازدرد لعابه ، ثم استطرده فى حماس :

- إنه أفضل طيار رأيته فى حياتى كلها .. أنا وهو كنا نعمل

فى القاعدة الجوية السوفيتية ، فى ( المانيا الشرقية ) .

غمغم ( هانز ) فى دهشة :

- ( المانيا الشرقية ) ؟

وقال ( أدهم ) فى صرامة :

- كفى يا رجل .



ولكن الفننى تابع فى انفعال :

- ثم فر ذات يوم إلى ( سويسرا ) فى اثناء زيارة رسمية ،  
ومنها إلى ( ألمانيا الغربية ) ، وهناك التحق بالعمل كطيار  
مدنى ، فى شركة ( لوفتهانزا ) ، التى التحقت بالعمل بها أنا  
أيضاً ، عندما نجحت فى الفرار إلى ( برلين الغربية ) .  
التفت ( هانز ) إلى ( أدهم ) ، وانعقد حاجباه أكثر ، وهو  
يتمتم :

- طيار مدنى ١٩

بدا الغضب على وجه ( أدهم ) ، فى حين واصل الفننى حديثه  
بنفس الحماس :

- لم يحتلم هذا طويلاً ، وتشاجر ذات مرة مع رئيسه  
المباشر ، قلقاً له اتهاماً بالسرقة ، وفصله من العمل .  
قالها ، وهز رأسه فى قوة ، قبل أن يبتسم ، هاتفاً فى  
حرارة :

- إنه لمن دواعى سعادتى أن التقي بك ثانية يا هر  
( زيلمان ) .

كانت خدعة شديدة البراعة بالفعل ، من المخابرات المصرية ..  
فظهر الفننى فى هذه اللحظة بالذات ، مع قصة متقنة ،  
يتظاهرها ( أدهم ) بالغضب والحقد ، لأن الآخرين سمعوها ،  
كفيل بمنح شخصيته مصداقية مدهشة ، وإحاطته بثقة يصعب  
دحضها ..

وفى حدة ، هتف ( أدهم ) :

- أما أنا فيؤسفنى أن التقي بك يا رجل .. لماذا لم تسرد  
ما تبقى من قصة حياتى أيضاً .. ألم تصبح ملكاً للجميع ؟  
بدا الارتباك والحرص على وجه الفننى ، وهو يتمتم :

- هل أخطأت يا هر ( زيلمان ) ؟

التفت إليه ( هانز ) ، قائلاً فى سرعة :

- كلاً يا رجل .. لم تخطئ .. هيأ ، عد إلى موقعك ، وارتكنا  
وحدنا .

ارتبك الفننى أكثر ، وغمغم :

- معذرة يا هر ( زيلمان ) .. معذرة .

وأسرع يبتعد فى سرعة ، فى حين التفت ( هانز ) إلى  
( أدهم ) ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

- إنن فانت طيار حريبى .

قال ( أدهم ) فى حقد :

- لم أعد كذلك .. لقد انتهت تلك الحقبة .

هز ( هانز ) رأسه ، وغمغم ، وهو يتأمل ( أدهم )  
فى اهتمام :

- من يدري ؟

التفت إليه ( أدهم ) بنظرة متسائلة ، فانسعت ابتسامة  
( هانز ) ومد يده يصافحه ، وهو يقول فى حرارة :

- مرحباً بك فى صفوفنا يا رجل .. الآن نلت وظيفتك بحق ..  
وبكل جدارة .

صافحه ( أدهم ) فى قوة ، وهو يبتسم ابتسامة حقيقية ، من  
أعمق أعماق نفسه .. فهذا القول يعنى أن خطة المخابرات  
المصرية قد نجحت فى هذه المرحلة ..



وبمنتهى البراعة ..

وربما يعنى ايضا أن ( أدهم ) قد انتقل إلى مرحلة جديدة ..

مرحلة ترتفع فيها درجة الخطر إلى حد جديد ..

الحد الأقصى ..

\* \* \*

« سيدتى .. إنها العاشرة .. »

همست الخادمة السويدية بتلك العبارة فى رقة ، فى أذن  
مخدومتها ( أنجريد ديلمار ) التى فتحت عينيها وتثاءبت فى  
تكاسل ، قبل أن تغمغم :

العاشرة ؟

أومات الخادمة برأسها إيجاباً ، وابتسمت قائلة :

- طلبت منى أمس أن أوقظك فى هذا الموعد ، للحاق  
بالاجتماع فى الثانية عشرة .

هزت ( أنجريد ) رأسها موافقة ، وتثاءبت مرة أخرى قبل أن  
تنهض جالسة فى فراشها ..

لم تكن تشعر أبداً أنها على ما يرام ، فى هذا الصباح ، فقد  
انتابها الأرق طويلاً فى الليلة السابقة ، وهى تفكر فى ذلك  
العرض ، الذى تحدث عنه ( هال ) أمس ..

ولم تشعر نحوه بالارتياح قط ..

( بيير ) على حق بالتأكيد ..

لا ينبغي أبداً أن تثق بالإسرائيليين ..

التاريخ كله يؤكد أنهم لا يتورعون عن سحق أقرب الناس  
إليهم ، إذا مالات لهم أدنى فائدة من وراء هذا .. ثم لماذا ترتبط  
شبكةهم بأى جهاز مخابرات ؟

لقد أنشأوها خصيصاً كشبكة مستقلة ، تعمل على جمع

المعلومات ، وبيعها لمن يدفع الثمن المناسب ..

أيا كانت هويته ..

فلماذا يكسرون القاعدة هذه المرة ؟

استغرقها التفكير ، حتى أحضرت لها خادمتها طعام  
الإفطار فى الفراش كالمعتاد ، وراحت ترتشف قرح القهوة فى  
شرود ، قبل أن تلتقط سماعة الهاتف ، وتتصل برفيقها ( بيير  
ثوردا ) ، ولم تكد تسمع صوته ، حتى قالت :

- صباح الخير يا ( بيير ) .. نعم .. أنا أستعد أيضاً لحضور  
الاجتماع ، ولكننى أردت التحدث معك قبلها .. ( بيير ) .. أنا  
اتفق معك تماماً فى رفض التعامل مع الإسرائيليين .

كانت تتوقع منه التعبير عن ارتياحه لقرارها ، لذا فقد  
تفجرت الدهشة فى كل خلية من خلاياها ، عندما فوجئت به  
يقول :

- ولكننى لم أعد أتشبث بهذا الراى يا عزيزتى .. ( هال )  
زارنى أمس ، وقضى معى أربع ساعات كاملة حتى اقتنعت  
تماماً بوجهة نظره .

هتفت ذاهلة :

- اقتنعت ! ؟ .. أنت ؟

أجابها ، وصوته يحمل الكثير من الثقة والارتياح :

- نعم يا أميرتنا الفاتنة .. ( هال ) نجح فى إقناعى تماماً .

ثم اكتسب صوته رنة حفااس ، وهو يستطرد :

- هذا الرجل عبقرى بحق .. إنه يدرك تماماً كل ما يمكن أن  
يفعله الإسرائيليون ، وكل ما يدور فى أذهانهم من خطط



لخداعنا ، ولحاولة السيطرة على شبكتنا .. واستعد لكل هذا ..  
بل ودير خطة عبقرية ، لنصبح نحن الراحين فى النهاية .

هتفت مستنكرة :

- مع الإسرائيليين .

أجابها وحماسه يتزايد :

- إنهم أوغاد خبثاء ، رضعوا الدهاء مع لبن أمهاتهم ،  
ولكنهم ليسوا الهة .. وخطة ( هال ) مذهشة .. ستجعلهم  
يتصورون أنهم نجحوا فى خداعنا ، واننا لم ننتبه إلى هذا ،  
فى حين أننا نحن الذين نخدعهم .

سألته ( انجريد ) فى عصبية :

- ( بيير ) .. هل تعرف ما يسعى إليه الإسرائيليون  
بالضبط ؟

أجابها بسرعة :

- بالطبع .. التوصل إلى عميلنا فى المخابرات السوفيتية ،  
ودفعه للعمل لحسابهم ضد السوفيت .

قالت فى حدة :

- وربما ضدنا أيضًا .

أجابها ( ثوردا ) فى حماس :

- ( هال ) توقع هذا ، واتخذ كل ما يلزم لمنع حدوثه ، بحيث  
لن يتوصل الإسرائيليون لمعرفة عميلنا السوفيتى هذا قط ،  
ويظل اتصالهم به دائمًا من خلالنا وحدنا ، وهكذا نسيطر على  
مقائيد الأمور باستمرار .

أدهشها قوله هذا بشدة ، فقالت محتدة :

- عجبًا ! .. لم تكن مفتنًا أمس بالفكرة نفسها !

ضحك قائلاً :

- أمس يختلف عن اليوم يا أميرتى .

قالت فى حنق :

- هذا يبدو واضحًا .

وكادت تقطع شفقتها السفلى بأسنانها فى غيظ ، وهى  
تستطرد :

- سأنهض الآن لارتداء ثيابى ، وسنكمل مناقشة هذا الأمر  
فى الاجتماع .

أجابها فى شيء من المرح :

- بالتأكيد .. سانتظر بك بشغف يا أميرتى ، فلا ريب عندى فى  
أنك ستكونين فاتنة كالمعتاد ، فى مكان كهذا .

انعقد حاجباها ، وهى تساله :

- ماذا تقصد بـمكان كهذا ؟ ! .. لن نلتقى فى الشركة  
كالمعتاد ؟

فوجئت بصوت هادئ يجيب من داخل الحجرة :

- كلا .. لن نلتقى فى الشركة .

انتفض جسدها فى عنف ، وهى تدبر عينها إلى مصدر  
الصوت ، وارتفع حاجباها فى دهشة مستنكرة ، وهى تحدق فى  
وجه ( هال ) ، الذى ارتكن إلى الجدار المجاور لباب حجرة  
نومها ، مستطردًا بابتسامة كبيرة :

- لقد اخترت مكانًا مبتكرًا هذه المرة .

أعادت سماعة الهاتف إلى موضعها بحركة حادة ، وهى  
تهتف فى غضب :

- ( هال ) ؟ ! كيف تدخل حجرة نومي بلا استئذان ؟ !



غمز بعينه ، قائلاً :

- لم أستطع مقاومة رؤيتك دون زينة .. هل تعلمين أنك أكثر

فتنة هكذا ؟

صرخت في وجهه :

أخرج الآن .. الآن .

لوح بيده ، وهو يغادر الحجرة ، قائلاً بنفس الابتسامة

الكبيرة :

- سأنظرك على شوق يا أميرتى .. لا تتأخرى طويلاً .

أغلق الباب خلفه ، وهى تصرخ فى غضب هادر :

- أيها الوغد .

تسللت السخريّة إلى شفتيه ، وهو يتمتم :

- يا إلهى ! .. إنها تبدو بشعة بدون زينتها .

طال انتظاره لساعة كاملة ، فى حجرة الانتظار ، قبل أن تطلّ

عليه ( أنجريد ) بكامل زينتها ، وهى تقول فى حدة :

- هل أتيت لإقناعى بالصفقة الإسرائيلية ؟

رفع حاجبيه بدهشة مصطنعة ، وهو يقول :

- إقناعك ؟ .. عجباً ! .. ألم تقتنعى بعد يا عزيزتى ؟ ! .. لقد

زرت ( ببير ) و ( هانز ) أمس ، واقتنعا تماماً ، حتى أن الأخير

اقترح أن نحفل بتوقيع عقد الصفقة ، فاخترت أنا منزلى

الجبلى للاجتماع والاحتفال معاً .

قالت فى عصبية :

- كيف يمكننا الوصول إلى منزلك الجبلى أيها العبقري ؟ ! ..

الجليد سيفلق كل الطرق الجبلية حتماً :

لوح بكفه ، قائلاً فى مزح :

- ومن يحتاج إلى الطرق الجبلية ؟

ثم غمز بعينه ، مستطرداً :

- ( هانز ) اختار طياراً جديداً بالفعل ، ومازال مهبط

الطائرات يجاور منزلى الجبلى . أم أنك نسيت هذا ؟

نطق عبارته الأخيرة فى خبت شديد ، فأنعقد حاجبها فى

غضب ، وقالت فى حدة :

- إياك أن تشير إلى هذا بانية .

أحاط كتفها بذراعه هامساً بصوت أشبه بفحيح الثعبان :

- ولكننى لا أنساه أبداً يا عزيزتى .

ضربته بمرفقيها فى صدره بعنف ، فتأوه بالم ، وهو يبتعد

عنها ، وسمعها تقول فى عصبية :

- والآن ماذا لديك لتقوله ؟

سعل لحظة ، ثم أجاب :

- نفس ما قلته لـ ( ببير ) و ( هانز ) .

قالت فى صرامة :

- لن يقلح هذا معى .

ابتسم فى ثقة قائلاً :

- اسمعى ما لىلى أولاً ..

ولنصف ساعة أخرى ، راح يلقى على مسامعها كل ما لديه .

والعجيب أنه أثبت براعته كمحام بحق ..

فعندما غادر منزلها معاً ، كانت ( أنجريد ديلمار ) قد اقتنعت

بالصفقة الإسرائيلية الجديدة ..

اقتنعت تماماً ..

\* \* \*



بدت الدهشة على وجه مساعد الطيار ، داخل الطائرة الخاصة ، لزعماء الشبكة الاسكندنافية ، وهو يتابع ( أدهم ) ببصره قبل أن يغمغم :

- اعتقد أنك تبالغ قليلاً يا كابتن ( زيلمان ) ، فالتأكد من سلامة المقاعد ووسائل الراحة ، ليس ضمن واجبات وظيفتنا .. مهمتنا هي قيادة الطائرة فحسب .

تجاهله ( أدهم ) بضع لحظات ، وهو يثبت قرص الاستماع جيداً ، أسفل أحد مقاعد الطائرة ، قبل أن يعتدل قائلاً في صرامة :

الطيار الحق يتأكد من صلاحية كل شبر من طائرته ، قبل أن يقلع بها للمرة الأولى .

تنهّد مساعد الطيار ، وهو يتمتم :

- إنن فهذا يحدث في المرة الأولى وحدها .. حمداً لله .

عاد ( أدهم ) إلى مقعد القيادة ، وراح يراجع الآلات ، والمؤشرات أمامه ، ومساعدته يراقبه في اهتمام ، ثم لم يلبث أن قال مبتسماً :

- يقولون إنك طيار حربي سابق .

مطّ ( أدهم ) شفتيه قائلاً .

- هل يحتاج الأمر إلى كاتم للصوت ؛ لمنع تسرب الأسرار

هنا ؟ !

هزّ مساعده كتفيه ، قائلاً :

- بعض الأمور لا يمكن إخفاؤها .

ثم مدّ يده إليه ليصافحه ، مستطرداً :

- اصدقائي يخاطبونني باسم ( فريدي ) .. وهذا اختصار

( فريديريك ) .

صافحه ( أدهم ) في لامبالاة ، قائلاً في شيء من الخشونة :  
- أفضل اسم ( فريديريك ) .

بدت الدهشة على وجه الرجل ، وهم بقول شيء ما ، عندما أشار ( أدهم ) إلى سيارة تقترب ، وقال بلهجة تغلب عليها السخرية :

- لقد وصل السادة .

التفت ( فريديريك ) إلى سيارة سوداء كبيرة ، قطعت ممر الإقلاع ، حتى توقفت أمام الطائرة ، وهبط منها الرجال الثلاثة مع ( أنجريد ) ، وبدعوا يصعدون إلى الطائرة ، وقال ( هانز ) مبتسماً :

- كيف حالك يا ( زيلمان ) ؟ .. هل راقت لك الطائرة ؟

مطّ ( أدهم ) شفتيه ، وهو يجيب :

- لا بأس بها .

هتفت ( أنجريد ) في دهشة مستنكرة :

- لا بأس بها ؟ .. ماذا يقول هذا الوغد ؟ !

ابتسم ( هانز ) ، قائلاً :

- إنه طيار حربي سابق ، ومن الطبيعي ألا تروقه طائرة بسيطة كهذه .

قالت في حدة ، وهي تربط حزام مقعدها :

- وما المطلوب منا ؟ .. أن نحاول استرضاءه ؟ !

ضحك الثلاثة لقولها ، ثم ضغط ( هانز ) زرّاً ، فبرز من قاع الطائرة حاجز من زجاج سميك ، فصل كابينة القيادة تماماً عن منطقة الركاب ، واسترخى في مقعده ، وهو يقول :



- الطقس رائع اليوم يا رفاق .. اعتقد ان هذه الرحلة القصيرة ستفيدنا كثيرا .

اقلعت الطائرة في نعومة مدهشة ، كشف عنها قائدها وحركته ، في نفس اللحظة التي علق فيها ( ثوردال ) ، قائلاً :

- كان ينبغي ان يشاركنا ( شالوم ) ايها ، مادامنا قد اتفقنا جميعاً على قبول صفقته .

ابتسم ( هال ) .. وهو يقول :

- اطمئن .. سيلتقى بنا هناك .

هتفت ( انجريد ) في دهشة :

- كيف ؟

هن ( هال ) كتفيه ، قائلاً :

- لست ادري .. لقد القيت عليه السؤال ذاته ، فأجاب بان لديه وسائله .

ابتسم ( ثوردال ) في سخرية ، قائلاً :

- اراهمكم على انه سيصل إلى المنزل بوسيلة تكفي

لإبهارنا .. إنها وسيلتهم دائماً لإثبات القوة .

غمغمت ( انجريد ) :

- هل تعتقد هذا ؟

كانوا يتبادلون الحديث في حرية ، حول الصفقة الإسرائيلية ، معتمدين على ذلك الحاجز السميك الذي يفصلهم عن كابينة القيادة ، دون أن يتخيل احدهم لحظة أن سماعات الاذن ، التي يضعها ( ادهم ) على اذنيه ، لم تكن تنقل إليه تعليمات برج المطار فحسب ، وإنما تنقل إليه أيضاً كل ما يدور بينهم ، من خلال قرص الاستماع ، الذي ثبته أسفل أحد المقاعد ..

وكان حديثهم بالغ الأهمية بالنسبة إليه بحق .. لقد تأكد من خلاله من أنهم قد عادوا إلى نشاطهم السابق بالفعل ، في عالم الجاسوسية ..

وانهم يعقدون صفقة مع الإسرائيليين ، بشأن المخابرات السوفيتية ..

بل والأخطر أنه عرف ان لهم عملياً في صفوف المخابرات السوفيتية .

وأنه عميل قوى بالفعل ..

ومع تدفق المعلومات إلى اذنيه ، شعر ( ادهم ) بالأسف لأن الرحلة قصيرة للغاية ، ولن تستغرق أكثر من نصف الساعة ،

مضت بسرعة البرق ، ولاح المنزل الجبلى ، الذى تحيط به أشجار السرو من كل جانب ، ويمتد على مسافة منه ممر هبوط ،

معد خصيصاً للطائرة الخاصة ..

وكما ينبغي أن يفعل الطيار ، ضغط ( ادهم ) زر جهاز الاتصال الداخلى ، وقال في لهجة جافة :

- وصلنا إلى وجهتنا .. سيتم الهبوط بعد دقائق معدودة .

قالها ، وهو يدور حول المكان ، ثم يبدأ فى الهبوط نحو الممر ، الذى تناثرت فوقه بعض قطع الحديد ، التى لم تنجح فى

إخفائه تماماً ، مما يوحى بأنه هناك من يتولى أمره بصفة منتظمة ..

وفى هدوء ، اقترب ( ادهم ) بالطائرة من ممر الهبوط ، و ...

وفجأة ، انطلقت تلك الرصاصة ..

رصاصة مجهولة ، أصابت الإطار الأمامى المنفرد للطائرة ، فانفجر بدوى عنيف ، وصرخت ( انجريد ) فى رعب :



#### ٤ - هبوط ..

لم يكن التراجع عن الهبوط ممكناً بحق في هذه المرحلة ..  
لقد اقتربت الطائرة كثيراً من ممر الهبوط ، وارتفعت  
مقدمتها بالفعل استعداداً لتلامس إطارها الخلفيين مع  
الأرض ..

ومن الواضح أن ذلك الذي أطلق النار ، وأصاب الإطار  
الأمامي ، يعرف الكثير عن مراحل هبوط الطائرات ..  
وعن عواقب نسف الإطار ، في هذه اللحظة بالتحديد ..  
وبكل زعر الدنيا ، صرخ ( فريديك ) ، وهو يحدق في الممر ،  
الذي يقترب في سرعة مخيفة :

- لن نفلح .. لم يمكننا تفادي الارتطام .

ومع آخر حروف كلماته ، انطلقت الرصاصات مرة أخرى  
نحو جسم الطائرة ، واخترقته في عدد من المواضع ، فصرخت  
( أنجريد ) ثانية ، وانثنى جسدها ، في محاولة منها لدفن  
وجهها بين ركبتيها ، في حين صاح ( ثوردال ) :

- إنه هجوم .. بعضهم يحاول التخلص منا .

امتقع وجه ( هال ) ، وهو يهتف في ارتياح :

- ولكن لماذا .. لماذا ؟

أما ( هانز ) فعلى الرغم من دقة الموقف وخطورته ، انحصر  
تفكيره في نقطة واحدة مثيرة ..

كيف يمكن أن يتصرف الطيار الجديد في موقف هكذا ؟ !

خبرته تؤكد أن النجاة من هذا الموقف أمر عسير للغاية ..

ولكنه ليس مستحيلاً ..

- ماذا حدث ؟ .. ماذا حدث ؟

هتف ( هال ) في ارتياح :

- إنه أحد الإطارات .. لقد انفجر .

تشبث ( ثوردال ) بمقعده في رعب ، وصرخت ( أنجريد )

ثانية ، في حين انعقد حاجبا ( هانز ) في شدة ، دون أن يتبس

بينت شفة ..

فبحكم خبراته السابقة كطيار ، كان يدرك جيداً أنه في هذا

الارتفاع ، ومع حركة الطائرة ، لم يعد التراجع عن الهبوط

ممكناً ..

وإن انفجار أحد إطارات الطائرة ، في تلك المرحلة

بالتحديد ، لا يمكن أن يعنى سوى أمر واحد ..

الارتطام بالممر في عتف ، وفقدان الطائرة لتوازنها ، و ...

والموت ..

الموت بلا رحمة :

\* \* \*





وفى نفس اللحظة ، التى دارت فيها هذه الفكرة فى رأسه ،  
انعقد حاجبا ( أدهم ) فى شدة ، وجذب إليه عجلة  
القيادة ، و ( فريدريك ) يواصل صراخه :  
- مستحيل .. مستحيل .

ارتفعت مقدمة الطائرة أكثر ، فاندفع إطاراها الخلفيان نحو  
ممر الهبوط ، واحتكا به بالفعل ، ولكن ( أدهم ) زاد من سرعة  
الطائرة ، وقلب جناحيها ، وغير مقياس توازنها ، وكأنه يستعد  
للإقلاع وليس للهبوط ..

ولسته امتار كاملة ، انطلقت الطائرة فوق الممر ، على  
إطارها الخلفيين فحسب ، دون أن تنخفض مقدمتها ،  
وصرخات ( أنجريد ) لا تنقطع لحظة واحدة ، و ( فريدريك )  
يصرخ مرتاعا :

- ماذا تفعل ؟ .. ماذا تفعل بالله عليك ؟ !

لم يجب ( أدهم ) السؤال قط ، وهو يدفع عجلة القيادة إلى  
الأمام فى ببطء مدروس ، ويزيد السرعة أكثر وأكثر ..  
وارتفع الإطاران الخلفيان ثانية عن الأرض ، وبدأت الطائرة  
تعلو ، وكأنها تفلح بالفعل ..

وفى أنبهار تام ، اتسعت عينا ( فريدريك ) ، وغمغم :

- مستحيل ؟

أما ( هانز ) فقد تألفت عيناه فى إعجاب حقيقى ، والطائرة  
تقلع ثانية دون أن يلمس إطارها الأمامى الأرض لحظة واحدة ،  
وهتفت ( أنجريد ) :

- هل .. هل نجونا ؟ !

اعتدل ( ثورداال ) ، وهو يغمغم مبهورا :

- أعتقد هذا ..

وفى حماس ولؤه الانفعال ، لَوَّحَ ( هال ) بقبضته ، هاتفا :

- هذا الطيار الجديد رائع .

وضغط زر إزالة الجاذب ، الذى يفصلهم عن كابينة القيادة ،  
وهو يستطيعه :

- سامحك مكافأة خاصة يا ( زيلمان ) عندما ..

قاطعه ( أدهم ) فى صرامة :

- الزم مقعدك يا سيد ( هال ) .. الخطر لم يزل بعد .

امتقع وجه ( أنجريد ) ثانية ، وهى تعتم مذعورة :

- لم يزل بعد .. لماذا ؟ .. دعنا نبتعد عن هنا بأقصى سرعة ،

ولنعد أدراجنا إلى ( هلسنكى ) !

أجابها ( أدهم ) بلهجة جافة :

- لم يعد هذا ممكنا .

اتسعت عيناها فى ارتياح ، وحبس الرعب الكلمات فى

حلقها ، فى حين انعقد حاجبا ( هانز ) فى شدة ، وهو يسأل :

- لماذا ؟ .. هل أصيبت البوصلة (\*) ؟

أجاب ( أدهم ) :

- بل أصيب خزان الوقود ، وخسرنا أكثر من نصفه حتى

الآن .

صرخت ( أنجريد ) :

- نصفه ؟ ! .. ربا .. هل سنسقط وسط الجبال ؟

( \* ) البوصلة : جهاز عتيق ، يستخدم لتحديد الاتجاه ، وهى - من  
حيث المبدأ - إبرة مغناطيسية معلقة ، تتحاذى مع المجال المغناطيسى  
للحيط بالكرة الأرضية ، أى أنها تشير إلى القطبين المغناطيسيين . وهذان  
القطبان لا يتطابقان على القطبين الجغرافيين ..



أجابها ( أدهم ) فى صرامة ، وهو يدور بالطائرة :  
- إننا نبذل قصارى جهدنا لتفادى هذا يا سيّدتى ، ولكن  
لابد وأن نجد مكاناً صالحاً للهبوط .

اتسعت عينا ( ثوردال ) ، وعاد يغوص فى مقعده ، ويتشبّث  
به فى قوة ، فى حين أطلقت ( أنجريد ) شهقة قوية ، وصرخت  
فى رعب :

- لا أريد أن أموت الآن .. لا أريد أن أموت الآن .

وامتقع وجه ( هال ) بشدة ، وهو يتمتم :

- لا .. مستحيل ! .. مستحيل !

وعقد ( هانز ) حاجبيه فى شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة  
كعادته ..

أما ( فريدريك ) ، فقد تعلّقت عيناه بمقياس الوقود ، الذى  
يشير إلى انخفاض المخزون بسرعة مخيفة ، وسال ( أدهم ) فى  
شحوب :

- ماذا نفعل يا كابتن ؟ .. لا يوجد مكان واحد فى الجوار  
صالح للهبوط .. كلها منحدرات مغطاة بالجليد ، وساحات  
لممارسة رياضة التزلّج .

التقى حاجبا ( أدهم ) أكثر ، وهو يفحص المنطقة كلها  
ببصره ، قبل أن ينحرف بالطائرة بغتة ، قائلاً فى حزم :  
- فليكن .. القول المأثور يقول : إن لم تجد ما تحب ، فأحب  
ما تجد .

سأله ( فريدريك ) فى دهشة :

- ماذا تعنى ؟

لم يجب ( أدهم ) هذه المرة أيضاً ، ولكنه بدأ مرحلة الهبوط

بالفعل ، متجهاً نحو المنحدرات المغطاة بالجليد ، فصرخت  
( أنجريد ) :

- ماذا يفعل هذا المجنون ؟ ماذا يفعل ؟

وعلى الرغم من صراخها ، واصل ( أدهم ) هبوطه ، وعينا  
( فريدريك ) تتسعان فى رعب أكثر وأكثر ، وهو يغمغم :

- لا يوجد شبر واحد مستقيم .. كلها منحدرات يا كابتن ..

لا يوجد شبر واحد صالح للهبوط .  
تجاهل ( أدهم ) كل ما يحدث حوله ، وواصل هبوطه نحو  
المنحدر الجليدى ، المدّ لرياضة التزلّج ، فاحتبست أنفاس  
الجميع فى رعب هائل ، وتعلّقت عيونهم بالنوافذ ، التى تنقل  
إليهم مشهد الجليد الأبيض المعتدّ إلى مالا نهاية ، والذى يقترب  
بسرعة مخيفة ، و ..

ولامس الإطاران الخلفيان الجليد ..

وواصلت الطائرة هبوطها ..

وانخفضت مقدّمتها ..

انخفضت أكثر مما ينبغى ، لتلامس المنحدر ..

وصرخت ( أنجريد ) فى عنف ، مع تلك الارتجاجة التى  
صاحبت لحظة التلامس ، ثم تحوّلت صرختها إلى ما يشبه  
النواح ، عندما بدأت الطائرة انزلاقها فوق المنحدر بسرعة  
كبيرة ..

وبكل الرعب فى أعماقه ، صرخ ( ثوردال ) :

- ماذا تفعل بنا أيها المجنون ؟

ومرة أخرى ، تجاهل ( أدهم ) ما حوله ، وركّز تفكيره كله  
فى السيطرة على الطائرة ، التى واصلت انزلاقها السريع ، كما  
لو كانت زلاجة ضخمة ، و ( فريدريك ) يهتف مدعوراً :



- وماذا بعد ؟ .. ستواصل انطلاقها حتى ترتطم بالأشجار .

اجابه ( ادهم ) فى حزم :

- لن نصل إلى الأشجار .

سأله فى توتر شديد :

- كيف ؟

اجابه ( ادهم ) ، وهو يمسك عجلة القيادة فى قوة :

- هذا المنحدر ينتهى ببحيرة كبيرة ، يتجمد سطحها فى

المعتاد ، فى هذه الفترة من السنة ، وسنصل إليها قبل أن نبلغ

منطقة الأشجار .

انتفض جسد ( فريدريك ) ، وهو يهتف :

- نصل إليها ؟ .. هل تعتقد أن هذا كاف لإنقاذنا ؟ .. أنت

واهم يا رجل .. بالسرعة التى ننتقل بها ، سنرتطم بسطح

البحيرة ، ونحطمه ، ونغوص فى أعماق المياه الثلجة ، حتى

نلقى حتفنا .

قال ( ادهم ) فى صرامة :

- لن يحدث هذا .

هتف ( فريدريك ) :

- وكيف ؟ .. أنا واثق من أن ..

قاطعه ( ادهم ) فى صرامة أكثر :

- اصمت يا رجل .. لا وقت لدى لمحاورتك .. اصمت .

ابتلع ( فريدريك ) لسانه فى توتر ، وراقب الموقف فى ذعر ،

والطائرة تواصل انزلاقها المخيف فوق الجليد ، حتى لاحت

البحيرة من بعيد ، فحبس ( فريدريك ) أنفاسه ، وراح قلبه

يخفق فى عنف شديد ، فى حين ازداد انعقاد حاجبيه ( ادهم ) ،



ومرة أخرى تجاهل ( ادهم ) ما حوله  
وركز تفكيره كله فى السيطرة على الطائرة .



وتمتعت شفتاه بهمسات غير مسموعة ، ويده تتجه نحو أحد الأزرار في لوحة القيادة ، و ...

وفي اللحظة المناسبة بالضبط ، ضغط ( أدهم ) الزر .. وانطلقت من مؤخرة الطائرة مظلات الطوارئ (\*) .. كلها ..

ومع انطلاقها ، نشأت مقاومة مباغته للهواء .. وانخفضت سرعة الطائرة ..

انخفضت في نفس لحظة انتقالها ، من المنحدر الجليدي ، إلى سطح البحيرة المتجمد المستقيم ..

وارتجت الطائرة في عنف ، عندما لامس إطارها الأمامي المنفجر سطح الجليد ، وتشقق جزء من السطح المتجمد أسفلها ، إلا أنه لم ينهر ، فواصلت طريقها بسرعتها الجديدة فوق البحيرة ، وادار ( أدهم ) عجلة قيادتها في ببطء وحذر ، وهو يجذب فراملها في رفق مدروس ..

واتسعت عيناه ( فريدريك ) في رعب ، وصرخت ( أنجريد ) ثانية ، والطائرة تتخذ مساراً منحنياً ، منزلقة نحو نهاية البحيرة ، حيث منطقة الأشجار المرتفعة ، التي راحت تقترب ، وتقترب ، وتقترب ..

ثم تجاوزت الطائرة سطح البحيرة ..

تجاوزته متجهة نحو الأشجار العالية المتقاربة ، وارتطم جناحها بشجرتين متجاورتين ، وجسمها يعبر بينهما ، فتحطم

( \* ) في بعض أنواع الطائرات ، يتم تزويد جهاز الطوارئ بعند من المظلات التي تفتح عند الاحتياج إليها لتخفيف سرعة الطائرة على ممر الهبوط ، إذا ما دعت الحاجة لهذا ، وعلى الطيار أن يطلق العدد المناسب من هذه المظلات وفقاً لتقديره .

الجناحان في عنف ، وتطايرت شظاياهما في كل مكان ، في حين مالت المقدمة ، وارتجت الطائرة في قوة ، ثم مالت قليلاً ، و ... وتوقفت ..

ولثوان ، ران على الطائرة كلها صمت رهيب ، قبل أن يقطعه ( أدهم ) وهو يقول في هدوء تشويه لكنه ساخرة :

- محطة الوصول إليها السادة .. نشكركم على ربط الأحزمة والامتناع عن التدخين .

هتفت ( أنجريد ) :

- هل .. هل نجونا ؟

صرخ ( هال ) :

- بالتأكيد .. ألم أقل لكم إن هذا الطيار الجديد رائع ؟

غمغم ( فريدريك ) ، وهو يطلق زفرة متوترة :

- بل هي معجزة .

ارتسمت على شفتي ( أدهم ) ابتسامة ساخرة ، وهم يحيطون به ، ويهتفون ببراعته في الهبوط ، ويمتدحونه لإنقاذ

حياتهم ، وعقله يحمل فكرة لا يمكن أن تخطر ببال أحدهم قط ..

فكرة تقول : إن هذه كانت أصعب مراحل الخطة ..

أصعبها على الإطلاق ..

\* \* \*

تحرك مدير المخابرات المصرية في مكتبه بتوتر شديد ، وهو يفرك كفيه في عصبية ، ووقف يتطلع لحظة إلى فناء من أفنية

مبنى المخابرات ، في ( حدائق القبة ) ، وعقله يحمل ألف سؤال وسؤال ، حتى ارتفع صوت مدير مكتبه ، عبر جهاز الاتصال

الداخلي ، وهو يقول :



- أخبار جديدة من ( هلسنكي ) يا سيدي .

اندفع المدير نحو جهاز الاتصال ، وضغط زرّه قائلاً :

- إلى بها بسرعة يا رجل .

عبر الرجل الباب الذي يفصلهما ، وقدم له تقريراً مطبوعاً ،

وهو يقول بابتسامة ارتياح :

- عملية الهبوط تمت بنجاح ، والجميع عادوا إلى الفيلا ،

التي يقيم فيها ( هال ) ، ومنحوا سيادة العقيد ( أدوم ) مكافأة

مالية ضخمة .

قرأ المدير التقرير في لهفة ، ثم تنهّد في ارتياح ، قائلاً :

- حمداً لله .. كانت أصعب جزء من الخطة .

قال الرجل :

- وتنطوى على مخاطرة كبيرة !

أوماً المدير برأسه موافقاً ، وعاد إلى خلف مكتبه ، وهو

يقول :

- كل جزء من عملنا ينطوى على مخاطرة كبيرة .

قال مدير مكتبه مبهوراً :

- ولكن هذا العمل بالذات كان ينطوى على مخاطر شتى ..

إطلاق النار على إطار الطائرة ، وخزان وقودها ، والاعتماد

تماماً على مهارة سيادة العقيد ( أدوم ) ، وقدرته على التعامل

مع الطوارئ .. ألا يبدو هذا مبالغاً إلى حد ما ؟

ابتسم المدير قائلاً :

- هذا ما ينبغي أن يكون بالضبط .. خططنا الرئيسية كانت

تعتمد على فعل هذا في مكان آخر ، ولكن ( ن - ١ ) ، أبلغنا في

الصباح أنهم سيوجهون إلى منزل ( هال ) الجبلي ، وطلب

تعديل الخطة ، بحيث يحدث الهجوم الوهمي هناك ، فهذا كفيل

بمحو أية ذرة من الشك في أمره ، وإلقاء طن من الثقة به في

قلوبهم ، وخاصة بعد أن ينقذ حياتهم .

سأله الرجل :

- ماذا لو أنه فشل في هذا ؟

تنهّد المدير ، قائلاً :

- كانت ستصبح خسارة فادحة بحق .

ثم عاد يبتسم ، مستطرداً :

- ولكن مع رجل مثل ( ن - ١ ) ترتفع احتمالات النجاح

لتفوق كثيراً احتمالات الفشل .. ثم إن أحداً من رجال الشبكة

الاسكندنافية ، أو حتى من الإسرائيليين ، لا يمكنه أن يشك

لحظة واحدة في أمر ( أدوم ) ، أو في أن ما حدث مجرد خطة

مفتعلة ، فبالوسيلة التي تم بها الأمر ، لا يمكن إلا أن

يجزموا بأن ( أدوم ) قد أنقذ حياتهم بالفعل ، وسيدبنون له

بالفضل لفترة طويلة .

علّق الرجل ، قائلاً :

- لا اعتقد أنها ستكون طويلة ، مادام سيادة العقيد خلفهم .

تنهّد المدير ، وشرّد بصره قليلاً ، وهو يقول :

- اتعشّم هذا يا رجل ، فاعتباراً من هذه اللحظة تنقطع

صلتنا عملياً بـ ( ن - ١ ) وتبدأ مرحلة الارتجال .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في قلق واضح :

- ومرحلة الخطر الحقيقي .

قالها وعاد يلتقط التقرير المطبوع ، والقلق في أعماقه

يتضاعف .. ويتضاعف .. ويتضاعف ..

\* \* \*

٦٣

٦٢



انعتقد حاجبا الإسرائيلي ( مائير شالوم ) بشدة ، وهو يستمع إلى ( هال ) ، الذي راح يروى له فى حماس حادث المنزل الريفى ، وكيف نجح الطيار الجديد فى الهبوط ، وفى إنقاذ حياتهم بمعجزة ، ولم يكد ( هال ) ينتهى من روايته ، حتى ساله ( شالوم ) فى اهتمام :

- كيف يبدو هذا الطيار الجديد ؟ .. ومن أين أتى ؟

أشار ( هال ) بذراعيه وهو يقول :

- إنه طويل ، عريض المنكبين .. أشقر الشعر .. كث اللحية والشارب ، له عينان زرقاوان ، وهو المانى الجنسية ، اسمه ( أدولف زيلمان ) ، كان يعمل فى السابق فى شركة ( لوفتهانزا ) ، ثم فصلوه من العمل .

كرّر ( شالوم ) :

- ( أدولف زيلمان ) .. المانى .. شركة ( لوفتهانزا ) .. عظيم . تطلع إليه ( هال ) لحظة فى دهشة ، قبل أن يساله :

- ماذا دهاك يا ( شالوم ) ؟ .. تشكّ فى هذا الرجل الذى انقذ حياتنا ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفתי ( شالوم ) وهو يقول :

- لقد انقذ حياتكم ، ولم ينقذ حياتى أنا .

هزّ ( هال ) رأسه فى بطاء ، وهو يغمغم :

- يا لك من نثب حذر !

أجابه ( شالوم ) :

- الحذر هو الذى أبقي على حياتى ، حتى بلغت هذا

العمر يا رجل .

ثم أشار بيده ، مستطردا :

ولكن دعنا من طياركم الجديد هذا ، وبراعته المذهلة ، وأخبرنى .. هل انحسم امر الصفقة .

أجابه ( هال ) فى حماس :

- بالطبع .. أخبرتك أننى قادر على إقناع الجميع .

ابتسم ( شالوم ) ابتسامة باردة ، وهو يقول :

- عظيم .. متى يمكننا بدء التعاون إذن ؟

أجابه بسرعة :

- فوراً لو أردت .

تراجع ( شالوم ) واطلّ من عينيه بريق أشبه بنثب حقيقى ، وهو يسال :

- أتعنى أنه بإمكاننا الاتصال بعميلكم السوفيتى على الفور ؟

قهقه ( هال ) قبل أن يلوح بيده قائلاً :

- ألا تعمل أبداً يا ( شالوم ) ؟ ! .. أخبرتك من قبل أن الاتصال بعميلنا السوفيتى لن يتم إلا من خلالنا .

ومال نحوه مستطردا :

- ثم إنكم لم تدفعوا المبلغ المتفق عليه بعد .

التقط ( شالوم ) نفساً عميقاً ، ورمقه بنظرة طويلة ، قبل أن يقول :

- لست أظنكم تتوقعون الحصول على المبلغ كله فوراً .

بدأ الغضب على وجه ( هال ) ، وهو يقول :

- ماذا تعنى ! .. ألم نتفق على ...

قاطععه ( شالوم ) بسرعة :



- ستحصلون على المبلغ كاملاً في النهاية بالطبع .. واعنى الملايين الثمانية كلها ، ولكن ..

توقف عند هذا الحد ، وعاد يتطلع إلى وجه ( هال ) ، الذي سآله في عصبية :

- ولكن ماذا ؟

ابتسم ( شالوم ) قائلاً :

- إننا يهود يا عزيزي ( هال ) ، وطبيعيتنا تمنعنا من دفع سنت واحد ، قبل أن نتيقن من أنه سيتجه إلى هدفه .

قال ( هال ) بعصبية أكثر :

- هل لك أن توضح ما ترمى إليه ؟

أوماً ( شالوم ) برأسه مرتين ، قبل أن يتطلع إلى عينيه مباشرة ، قائلاً :

- نريد عينة أولاً يا ( هال ) .. شيء يوضح أسلوب التعامل وفاعليته .

التقى حاجبا ( هال ) ، وهو يقول :

- مثل ماذا ؟

هز كتفيه ، مجيباً :

- بعض المعلومات من المخابرات السوفيتية مثلاً .

هتف به ( هال ) :

هل تمزح ، أم ماذا ؟

عاد ( شالوم ) يهز كتفيه ، قائلاً :

- مطلقاً .. هذا يحدث في كل الصفقات ، في العالم أجمع .. نريد أن نطلع أولاً على كفاءة وجودة ما لديكم ، ثم ندفع المطلوب دون مناقشة .

أشار إليه ( هال ) ، وهو يقول في حدة :

- اسمع يا رجل .. لو تصوّرتم أننا سنمنحكم بعض

المعلومات المجانية ، فأنتم ..

قاطعهُ ( شالوم ) بسرعة :

- ومن تحدّث عن معلومات مجانية ؟ .. إننا سنمنحكم

مليونتي دولار في البداية ، ثم تحصلون على الباقي بعد مراجعة

المعلومات ، التي سيحضرها عميلكم السوفيتي .

تطلع إليه ( هال ) لحظة في شك ، ثم سآله في عصبية :

- مليوناً دولار للشبكة ، أم ..

لم يتمّ عبارته ، ولكن ( هال ) فهم ما يرمى إليه ، فابتسم في خبث ، وهو يجيب :

- سندفع ثلاثة ملايين بالطبع .. مليونين للشبكة ، والثالث

سنودعه في حسابك الخاص في ( سويسرا ) .

هزّ ( هال ) رأسه ، قبل أن يفهم :

- أه .. هذا أفضل بالتأكيد ..

ثم عاد يشير إليه مستطرداً في صرامة :

- ولكن عليكم أن تعلموا جيداً أننا لن نقبل أية شروط أخرى .

ابتسم ( شالوم ) مغمغماً :

- بالتأكيد .

ثم أشار بيده ، مضيفاً :

- هل تحصل على الشيكين الآن ؟

تألّقت عينا ( هال ) ، وهو يجيب :

- بالطبع .. بالطبع .



استغرق الأمر نصف ساعة أخرى ، لحسم الأمور المالية ، ثم انصرف ( هال ) حاملاً الشيكين ، ومطاً ( شالوم ) شفتيه ، متمتماً :

- جشع .. جشع وغبى .

ثم لوح بيده على نحو خاص ، فبرز أحد رجاله من الحجرة المجاورة ، وقال له ( شالوم ) :

- ذلك الطيار الجديد ( أدولف زيلمان ) .. أريد منك أن تجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عنه .

سأله الرجل في اهتمام :

- هل تشك في أمره يا سيدي ؟

أوما ( شالوم ) برأسه إيجاباً ، وقال :

- بالتأكيد .. قلائل هم من يمتلكون مثل مهارته التي يتحدثون عنها ، ثم إنه ألماني ، ونحن نشك في كل ألماني ، منذ ( هتلر )<sup>(\*)</sup> ، وظهوره المفاجئ في عالم الشبكة الاسكندنافية يثير قلقي .

قال الرجل في سرعة :

- إنه لم يظهر فجأة يا سيدي .. لقد أعلن السيد ( هانز جوردان ) عن اختبار للطيران وللطيارين الجدد ، و ... قاطعه ( شالوم ) :

- أعلم هذا يا رجل .. أعلم أن كل شيء مناسب ومنطقي تماماً ، ويسير على نسق لا يمكن أن يتطرق إليه الشك ، ولكنني كرجل

(\*) عند اندلاع الحرب العالمية الثانية ، اعتقل ( أدولف هتلر ) آلاف اليهود ، لاقتناعه بأن جشعهم واستغلالهم كان السبب الرئيسي لهزيمة ( ألمانيا ) ، في الحرب العالمية الأولى .

مخبرات قديم ، اعتدت أن أشك في أصابعي ، لو أنها انتظمت على نحو شديد الدقة ، فخبيراتي علمتني أن الحياة الطبيعية تحوى في المعتاد بعض الأخطاء البشرية ، أو القصور الأدبي ، حتى أنني لم أتوقع منها العكس قط .

قالها ، وصمت لحظة ، ثم انعقد حاجباه . وهو يتابع :

- ثم إن وقوع حادث عارض للطيار السابق ، وإصابته بكسر في ساقه ، واضطرار ( هانز ) للبحث عن طيار آخر ، في هذا التوقيت بالذات ، كلها بدأت تثير في نفسي الشكوك . وشرد لحظة ، ثم أضاف :

- وعندما تشتعل نيران الشك في أعماقي ، لا توجد وسيلة لإطفائها سوى المعلومات .. المعلومات والحقيقة .. الحقيقة وحدها .

وعندما نطق بعبارة الأخيرة ، كان بالفعل يشبه الذئب .. الذئب المفترس .

\* \* \*





## ٥ - الخطوة التالية ..

مط ( ثوردا ل ) شفتيه ، وهو يجلس حول مائدة الاجتماعات في مبنى الشركة ، ولوَّح بيده ، قائلاً :  
- كلاً يا ( هانز ) .. هذه الخطوة تبدو لي متسرَّعة للغاية .. لا يمكنك أن تعرض على ذلك الطَّيار الانضمام إلينا صراحةً ، مجرد أنه أنقذ حياتنا .. هذا امر وذاك امر آخر تماماً .. إنه بارع في قيادة الطائرة ، وكلنا نشهد له بهذا ، ولقد منحناه مكافأة مجزية ، ولكن ماذا لو أنه لا يميل لمجال الجاسوسية ، أو أنه يعمل بالفعل لحساب آخرين .  
قال ( هانز ) في صرامة :

- شكوكك لا مجال لها يا ( بيير ) .. الرجل يروق لي منذ البداية ، واعتقد أنه يناسب ما نحتاج إليه بالضبط .. هل نسيت عملية طائرات ( الفانتوم ) الجديدة ؟ .. سنحتاج حتماً إلى طيار بارع من أجلها ، وانت تعلم أن هذا ما خططنا له ، عندما طلبنا طياراً بمواصفات خاصة .  
تدخل ( هال ) ، قائلاً :

- هذا صحيح يا ( هانز ) ، ولكن لا داعي للعجلة .. الرجل موجود ، والراتب الذي يتقاضاه لن يجعله يتخلى عنا بسهولة .. دعنا ندرسه أكثر ، ونختبره مرة ومرة ، قبل أن نكشف أمرنا أمامه هكذا .

انعقد حاجبا ( هانز ) ، وكانما لا يروق له ما يسمعه ، ثم التفت إلى ( أنجريد ) قائلاً :

- ما رأيك ؟

هزَّت كتفيها ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة عابثة ، وهي تجيب :

- إنه وسيم للغاية .

ثم انعقد حاجباها في صرامة مباغته ، وهي تضيف :

- ولكن انضمامه إلينا بهذه السرعة امر آخر .

زفر ( هانز ) في حق ، وقال :

- فليكن .. من الواضح أنني لن أربح هذه المناقشة قط ..

سننتظر بعض الوقت ، قبل أن نقاتح ( زيلمان ) بالامر .

تراجع ( هال ) بمقعده ، وهو يقول :

- عظيم .. هذا يطرح مشكلة ( زيلمان ) جانباً ، ويضعنا أمام

النقطة التالية في جدول الأعمال .. ما رأيكم في المطلب

الإسرائيلي ؟

عقد ( ثوردا ل ) حاجبيه ، وهو يقول :

- لقد تمادوا كثيراً حقاً .. لماذا يتعاملون معنا ، ماداموا غير

واثقين من كفاءتنا .

واندفعت ( أنجريد ) تقول في حدة :

- لقد حذرتكم منذ البداية .

هبَّ ( هال ) يقول في سرعة ، محاولاً تهدئة الموقف :

- إنهم لم يطالبوا بأمر شاذ يا رفاق .. هذا إجراء طبيعي ،

بالنسبة لموقف كموقفنا .. المبلغ ضخم ، ولا بد أن يتأكدوا من

أنهم سيحصلون على المقابل المنشود .

بدا الغضب على وجوههم لحظة ، وسال ( هانز ) :

- وما المطلوب منا بالضبط ؟

هزَّ ( هال ) كتفيه ، محيئاً :



- بعض المعلومات ، عن المخابرات السوفيتية .

سأله ( ثوردال ) :

- أية معلومات ؟

أوما ( هال ) برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم .. أية معلومات .. أنهم فقط يحاولون التأكيد من

فاعلية عميلنا هناك .

تبادلوا النظرات الصامتة لبضع لحظات ، ثم قالت ( أنجريد ) :

- فليكن .. أعطهم آخر ما وصلنا من عميلنا السوفيتي .

هو ( هال ) رأسه نفياً ، وقال :

- هذا لا يصلح يا عزيزتي .. ( شيمون ) اتصل بي في الصباح

الباكر ، وطلب معلومات محدودة ، لتحديد مدى براعة العميل ،

والفائدة المرجوة منه .

تبادلوا النظرات مرة أخرى ، وغمغمت ( أنجريد ) :

- لست أشعر بالارتياح لهذا .

قال ( هانز ) :

- ولا يوجد مبرر للشك فيه أيضاً .. دعونا نطلب هذه المعلومات

الجديدة من عميلنا السوفيتي ، وبأكبر قدر ممكن من الحذر .

قالت في حدة :

- أخشى أن يراقبوا اتصالاتنا به ، ويمكنهم تحديد موقعه

وهويته بالضبط .

أجابها ( ثوردال ) في ثقة :

- هذا مستحيل يا أميرتي .. إننا نبث رسالتنا عن طريق

الاقمار الصناعية ، من أقصى الاتحاد السوفيتي إلى أقصاه ،

وأي شخص يمكنه التقاطها .

وأشار ( هال ) ببسبأته ، مضيقاً :

- المهم أن يفهم ما تعنيه .

مطت شفقتها ، وهي تهرأ رأسها ، مغممة :

- لا بأس .. أنتم أكثر دراية مني بهذا .

أدار ( هال ) عينيه من وجوههم ، ليطمئن إلى أنه قد ربح

جولته ، قبل أن يقول في ارتياح تام :

- عظيم .. فلنطلب المعلومات في عميلنا إذن .

قالها بكل الثقة ، دون أن يتصور لحظة واحدة ، أنه ، وبكل

نكائه وحذره ، قد وقع في الفخ الإسرائيلي ..

وقع فيه حتى الخناغ ..

\* \* \*

اطلق ( فريدريك ) من أعماق أعماق صدره زفرة حارة ،

وتتملأ في مجلسه . وهو يقول في ضجر :

- اعترف أنك قد أنقذت حياتنا في براعة يا كابتن ( زيلمان ) ،

ولكن تحطم الطائرة أمر يؤسف له بحق .

أجابته ( أدهم ) في هدوء :

- التامين سيتكفل بكل الخسائر .

ابتسم ( فريدريك ) وهو يقول :

- المشكلة ليست مشكلة تامين .. إنها مشكلة وقت الفراغ ،

الملل الناشئ عن عدم وجود عمل ما .. ألا تفتقد الطيران بالله عليك .

أجابته ( أدهم ) في شيء من البرود :

- الطائرة تحطمت أمس فحسب .

هو ( فريدريك ) كتفيه ، وقال :

- وعلى الرغم من هذا فانا أفتقدها بشدة .



مط (أدهم) شفتيه ، ونهض قائلاً :

- مادام لا يوجد عمل ، فلا داعى للجلوس هنا .

ساله ( فريدريك ) فى دهشة :

- إلى أين ؟

اجابه ( أدهم ) وهو يغادر المكان :

- سأتجول قليلاً فى المدينة .

هتف ( فريدريك ) :

- ولكن السيد ( هانز ) طلب منا ألا نغادر المكان ..

وبالتحديد أنت .

تجاهل ( أدهم ) القول تماماً ، وهو يصفق الباب خلفه فى

خشونة ، ويبتعد فى خطوات سريعة ..

لم تكن شخصية المستهتر القظ تشبه - من قريب أو بعيد -

شخصيته الحقيقية ، إلا أنها كانت تناسب تماماً الطيار الألماني

الهارب من ( المانيا الشرقية ) ، والذي لم يصادف نجاحاً فى

عالمه الجديد ، على الرغم من براعته وقدراته ..

ثم إنها كانت سناراً جيداً لتحركاته الخلفية ..

فى الوقت الذى تصوّر فيه ( فريدريك ) أن ( أدهم ) يخالف

أوامر ( هانز ) فى استهتار ، كان بطلنا يستقل السيارة

الصغيرة ، التى استأجرها بصورة علنية ، وينطلق وكأنه فى

طريقه إلى قلب المدينة ، إلا أنه لم يلبث أن انحرف عن مساره

بغثة ، واتجه مباشرة إلى حى الأثرياء ، على مشارف ( هلسنكى ) ..

لم يكن طراز السيارة الصغيرة يناسب ذلك الحى ، الذى بدت

فيلاته الفاخرة أشبه بالقصور ، لذا فقد أوقفها خارج المكان ، فى

منطقة منعزلة تماماً ، وتلفت حوله فى حذر ، حتى تأكد من أن

أحداً لا يراقبه ، ثم انتزع عن وجهه ذلك القناع الدقيق ، الذى

يحمل وجه ( أدولف زيلمان ) ، وثبت على وجهه قناعاً آخر بوجه

مختلف ، قبل أن يغادر السيارة ، ويسير فى خطوات سريعة

واسعة ، عبر الشوارع الواسعة الهادئة ، وكانما يعرف هدفه

بالتحديد ..

وبعد عشر دقائق من السير المتصل ، بلغ الهدف ..

الفيلا التى يقيم فيها ( باتون هال ) .

كان الحديث الذى استمع إليه فى السيارة ، يؤكّد له أن ( هال )

هو العقل المدبر للشبكة الاسكندنافية ، وأن المكان الوحيد ، الذى

يمكن العثور فيه على أية معلومات إضافية هو منزله ، أو مكتبه

فى الشركة ..

ولأنه درس خريطة المنزل ، وراجعها مرتين على الأقل ، وهو

يستقل الطائرة ، من ( القاهرة ) إلى ( لندن ) ، فقد كان يعلم جيداً

أن الفيلا تضم ثلاثة من الحراس ، ونظام إنذار متطوراً ، يجعل

اقتحامها أمراً صعباً للغاية ..

بالنسبة لشخص عادى ..

أما بالنسبة لمحترف مثله ، فهناك دائماً وسيلة ..

ومدخل لآى نظام أمنى ، مهما بلغ تعقيده ..

وفى هدوء ، ضغط ( أدهم ) جرس بوابة الفيلا ، ووقف

ينتظر ، كما ينبغى أن يفعل أى زائر عادى ..

ولثوان ، بدا وكان الفيلا خالية تماماً من البشر ، ثم لم يلبث

رجل قصير بدين أن ظهر عند بابها ، وتطلّع إلى ( أدهم ) عبر

الحديقة ، بنظرة مقعّة بالشك والقلق ، قبل أن يضغط زر جهاز

اتصال داخلى ، ويقول :



- من أنت ؟ وماذا تريد ؟

اجابه ( ادهم ) فى بساطة ، وبلغة فرنسية سليمة :

- أنا هنا للإلقاء نظرة على القفلا ، قبل أن أشتريها .

هتف الرجل فى دهشة ، وهو يجيبه بفرنسية ركيكة :

- تشتريها ؟ .. ومن قال إن القفلا معروضة للبيع ؟

هز ( ادهم ) كتفيه ، وقال :

- الإعلان .. ذلك الإعلان فى صحيفة ال .. ال .. لست أذكر

اسمها فى الواقع ، ولكننى أنكر الإعلان .. فيلا للبيع .. السداد

فورى .. الثمن مغر للغاية .. أليست هذه كلماتكم ؟

بدت الحيرة على وجه الرجل ، واستدار يهتف مناديا زميله

الذى أسرع إليه ، يسأله عما يريد ، فقال :

- هل تجدى الفرنسية ؟ .. هذا الرجل هناك يقول شيئا عن

القفلا ، أظننى لا أجيد فهمه جيدا .

انتقلت حيرته إلى زميله ، الذى أجاب فى خشونة :

- مادمت لا تفهم ، فاطرده على الفور .. هذه أوامر السيد

( هال ) .

انحدر حاجبا ( ادهم ) ، وقال فى غضب ، وهو يمد يده

ليقبض على أحد قضبان البوابة المعدنية :

- اسمع يا هذا .. إننى ..

صاح أحد الرجلين فى جزع :

- لا .. لا تفعل هذا .

وصرخ الثانى :

- احترس .

ولكن تحذيريهما وصلا بعد فوات الاوان ..

لقد قبض ( ادهم ) على البوابة المعدنية بالفعل ..

قبض باصابعه على أحد قضبانها ، الذى يسرى فيه تيار

كهربي قوته ثلاثة الاف فولت (\*) ..

وأمام عيون الرجلين ، جحظت عينا ( ادهم ) ، وانطلقت من

حلقة شحنة قوية ، وراح جسده ينتفض فى عنف ..

وصرخ أحد الحارسين :

- رياه .. إنه لم ينتبه إلى التحذير .

ومع آخر حروف كلماته ، انهيار جسد ( ادهم ) أمام البوابة

المعدنية للفيلا ..

البوابة التى يسرى فيها تيار كهربي ..

وبقوة ثلاثة الاف فولت ..

\* \* \*

توقفت ( انجريد ) أمام المرأة الكبيرة فى حجرتها ، تتحسس

شعرها فى عناية ، وتطمئن على بقعة زينتها ، قبل أن ترفع أحد

حاجبيها وتخفضه فى إعجاب نرجسى ، ثم تخرج إلى الردهة ،

حيث يجلس ( ثوردال ) فى انتظارها ..

كانت تحمل على شفتيها ابتسامة كبيرة ، وهى تتوقع رد

فعله ، عندما يراها فى تلك الثوب الأنيق الجديد ، ولكن

حاجبيها انعقدوا فى ضيق ، ذهب مع ابتسامتها ، عندما رآته

( \* ) الفولت = وحدة قياس القوة الدافعة الكهربية ، ويعرف الفولت

الدولى بأنه القوة الدافعة الكهربية ، التى تولد تيارا قدره ( امبير ) دولى

واحد ، إذا أثرت على موصل مقاومته ( أوم ) دولى واحد ، وتقاس القوة

الدافعة الكهربية بواسطة جهاز خاص ، اسمه ( الجلفانومتر ) .



يقف شارداً أمام النافذة ، يراقب الحديقة الكبيرة ، فاتجهت إليه ، وسالته في توتر :  
- فيم تفكر ؟

التفت إليها في ببطء ، ورفع كأسه إلى شفتيه ، وارثشف منه رشفة ، قبل أن يجيب :  
- هناك امر يقلقني بشدة .

قالت وقد ضايقها أن يحمل معه متاعب العمل إلى منزلها :  
- أهو امر الصفقة الإسرائيلية ؟

هز رأسه نفيًا ، ولوح بكاسه ، قائلاً :  
- كلاً .. هذا الأمر لم يعد يقلقني على الإطلاق .

أحنقها قوله بشدة ، وغمغمت :  
- ماذا يقلقك إذن ؟

تنهد في قوة ، وشرد ببصره لحظة أخرى ، قبل أن يجيب :  
- ( أدولف زيلمان ) .

انعقد حاجباها ، وهي تقول في شيء من العصبية :  
- كنت أظننا حسنا امره بالفعل .

لوح بسبابته ، وارثشف رشفة أخرى من كأسه ، وقال :  
- لست أتحدث عن رغبة ( هانز ) في ضمه إلينا ، وإنما عن

الرجل نفسه .. هناك أمور تجعلني قلقًا من ناحيته .  
جذب حديثه اهتمامها وانتباهها ، فسالته :

- مثل ماذا ؟  
تنهد مرة أخرى ، وقال :

- عندما كنا في الطائرة ، ألقى عليه ( هال ) سؤالاً ، فاجابه مباشرة ، وخاطبه باسمه ، على الرغم من أنه لم يلتق به من قبل

قط ، والمفترض أنه لا يعرف منا سوى ( هانز ) خاصة وأن احداً لم يقدم نفسه له أبداً .

انتقل إليها قلقه وشكه ، فالتقى حاجباها ، وهي تتمتم :  
- من المحتمل أنه سمع احداً يخاطب ( هال ) باسمه ، في

إثناء ركوبنا الطائرة .  
هز رأسه نفيًا ، وهو يقول في توتر :

- ربما .. وإن كنت لا أذكر أن احداً قد خاطب الآخر باسمه قط ، حتى تم رفع الحاجز العازل للصوت .

وارثشف رشفة أخرى من الكاس ، مستطردًا :  
- ثم إن هذه ليست نقطة الشك الوحيدة .

امسكت كتفه في انفعال ، وهي تسال :  
- ماذا هناك أيضًا ؟

لوح بيده ، مجيبًا :  
- المفترض أن ( زيلمان ) هذا الماني الجنسية ، وأن هذه أول

زيارة له إلى ( فنلندا ) ، وعلى الرغم من هذا فقد كان يعرف طريقه جيدًا ، وهو يقود الطائرة إلى المنحدر الجليدي ، ثم وهو

يتجه بها إلى حيث البحيرة المتجمدة .  
تضاعفت الشكوك في أعماقها ، وهي تقول :

- ربما درس خرائط المنطقة ، متصورًا أن هذا سيكون جزءًا من الاختبار .

قال ( ثوردال ) :  
- ربما .

ثم انعقد حاجباها في شدة مستطردًا :  
- وربما لا .



تطلعت إليه لحظة في ارتياح ، ثم تراجعت هاتفة :

- ( بيير ) .. إنك تثير خوفى .

أجابها فى حزم :

- هذا أفضل من تجاهل الشكوك يا أميرتى .. إننى أصبر على

أن ( هانز ) قد تعجل كثيراً فى تعيين ذلك الرجل ، وكان ينبغى

أن نتحرى أمره أولاً ، والاكتفى بالأوراق التى قدمها لنا

التقى حاجبها أكثر وأكثر ، وسألته فى توتر :

- ( بيير ) .. ما الذى تتوقع أن يكونه هذا الرجل بالضبط ؟

رمقها ( ثوردال ) بنظرة متوترة ، ثم ارتشف رشفة أخرى من

كأسه ، قبل أن يجيب فى حزم واقتضاب :

- جاسوس .

وانتفض جسداً فى عنف ..

\* \* \*

تأملت عينا الذئب الإسرائيلى ( شالوم ) فى ظفر ، وهو

يستمع إلى ( هال ) عبر الهاتف ، قبل أن يقول ، فى صوت يذل

قصارى جهده ، ليزيل كل مابه من نبرات الفوز :

- إننى فقد أرسلمت تطلبون المعلومات فى عميلكم السوفيتى

بالفعل .. عظيم يا ( هال ) .. هذا يثبت حسن نواياكم بالفعل ،

ثم أنهى الاتصال ، وهو يستطرد فى سخرية :

- وغباكم أيضاً :

سأله أحد رجاله :

- هل يمكننا الاستفادة من اتصالهم بعميلهم السوفيتى

بالفعل ؟

أجاب ( شالوم ) فى ارتياح :

- بالطبع .

هز الرجل رأسه فى حيرة ، وهو يقول :

- ولكن كيف ؟ .. لقد قضيت ليلتى كلها أمس أقلب الأمر فى

رأسى على كل الوجوه ، ولكننى لم أجد وسيلة واحدة

للاستفادة من هذا .. إنهم يستخدمون جهاز بث خاصاً ، يمكنه

استغلال الأقمار الصناعية فى نقل الرسائل ، وهذا الأسلوب

يبث الرسالة فى مساحة واسعة للغاية ، ومن المستحيل تحديد

الشخص الذى سيستقبل هذا البث ، بل ومن المستحيل حتى

تحديد فى أى نصف من نصفى الاتحاد السوفيتى سيتواجد

عند استقباله للبث .

ابتسم ( شالوم ) وقال فى شىء من الزهو :

- لو أن الكل يفكرون بهذا الأسلوب ، فلا عجب فى أن

يلقبوننى بالذئب ، وإن كنت أفضل الثعلب .

أشار الرجل بسبابته ، قائلاً :

- إننى فائتم تعتمدون على إرسال العميل للمعلومات .. لو أن

هذا صحيح ، فلست أظنه يصلح يا سيدي ، إذ إن العميل

سيتخذ حتماً كل الحذر ، وهو يبث المعلومات ، مما سيصعب

معه أيضاً تحديد موقعه .

استرخى ( شالوم ) فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام

وجهه ، وهو يقول :

- إننا سنعتمد بالفعل على إرسال العميل للمعلومات ، التى

سيحصل عليها ، ولكن ليس بالشكل الذى تتصوره .

سأله الرجل فى شغف :

كيف ؟



سال (شالوم) نحوه ، وهو يقول :

- بنوع المعلومات نفسها .

انعتقد حاجبا الرجل ، واطل التساؤل في عينيه ، فتابع

(شالوم) في شيء من الجدل والزهو :

- المعلومات التي طلبنا من هؤلاء الحمقى الحصول عليها ،  
عن طريق عميلهم السوفيتي ، لم يتم تحديدها عشوائيا ، وإنما  
عكف خبراءنا على تنسيقها بمنتهى الدقة ، فعندما يرسلها  
العميل ، وبناء على ما نمتلكه منها بالفعل ، سيمكننا تحديد  
القطاع الذي يعمل فيه ، داخل المخابرات السوفيتية ، وعندئذ  
يعد الخبراء أسئلة جديدة ، ترشدنا أجوبتها إلى موقعه في ذلك  
القطاع ، ثم يأتى دور المجموعة الأخيرة من الأسئلة ،  
التي لا يمكن أن يجيب عنها سوى شخص بعينه .

والتقط نفمنا عميقا ، ملا به صدره كله ، قبل أن يتراجع في  
مقعده ، مستطردا في ظفر :

- وهكذا نكون قد توصلنا إلى معرفة عميلهم السوفيتي  
بمنتهى الدقة ، دون أن ينتبهوا إلى هذا .

اتسعت عينا الرجل في انبهار ، وهتف :

- يا للشيطان ! .. إنها خطة عبقرية بحق يا سيدي .

أشار (شالوم) بيده ، قائلا :

- إنك لا تعمل في جهاز مخابرات بسيط يا رجل .

وافق الرجل بإيماءة من رأسه في حماس ، ثم سبّاله في  
اهتمام :

- قل لي يا سيدي .. ماذا ستفعل بهم ، بعد أن فتوصل إلى  
معرفة عميلهم السوفيتي ؟

رمقه (شالوم) بنظرة جانبية ، قبل أن يهز كتفيه ، ويقول :

- لن تعود لنا حاجة بهم .

سأله الرجل في فضول :

- اتعنى أننا سننتهى صفقتنا معهم يا سيدي ؟

هز (شالوم) رأسه نفيا ، وابتسم ابتسامة جدلة ، وهو

يجيب :

- لن نترك منظمة منافسة تواصل عملها ضدنا يا رجل .

اتسعت عينا الرجل في انبهار ، وهم بقول شيء ما ، لولا أن

اندفع أحد الرجال داخل المكان ، وهو يقول :

- سيّد (شالوم) .. لقد أحضرت كل المعلومات المطلوبة .

رفع (شالوم) عينيه إليه في لهفة ، وهو يقول :

- اعطني إياها .

اختطف الورقة بسرعة من يد الرجل ، وراح يقرأها في

انفعال ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه في توتر ، قائلا :

- عجباً ! .. لم أتوقع هذا قط .

سأله الرجل الأول :

- هل اتت المعلومات بجديد يا سيدي ؟

أجابه (شالوم) في ضيق :

- كلاً .. (أدولف زيلمان) طيار حربي بالفعل ، قرّ من

(ألمانيا الشرقية) والتحق بالعمل لفترة من الوقت في

شركة (لوفتهانزا) ، قبل أن يتم فصله لأسباب تتعلق بالشرف

والأمانة ، ثم انقطعت أخباره بعدها تماما .

ورق عينيه عن الأوراق ، وهو يضيف في توتر أكثر :

- عجباً ! .. كيف أخطأت حاستي إلى هذا الحد هذه المرة ؟



لم يكذب بلقى تساؤله ، حتى ارتفع رنين الهاتف ، فاخطف  
سماعته فى لهفة ، وهو يقول :

- لعله ( ماير ) ، الذى أرسلته لمراقبة ( زيلمان ) هذا .

وضع السماعة على أذنه ، وهو يقول :

- ( شالوم ) .. من المتحدث ؟

اتاه صوت ( ماير ) مفعماً بالانفعال ، وهو يقول :

- أدون ( شالوم ) .. لن يمكنك أن تتصور قط ما وقعت عليه .

واقتسعت عيناه ( شالوم ) فى شدة ، وهو يستمع إليه ، وخفق

قلبه فى قوة ، كما لو كانت داخله قنبلة موقوتة ..

هذا لأن المعلومات التى حملها ( ماير ) كانت خطيرة بحق ..

خطيرة إلى أقصى حد .

\* \* \*

## ٦ - الحقيقة ..

لم يكذب ( أدوم ) يسقط أرضاً ، أمام البوابة المكهربة ، حتى  
هتف أحد الحراس الثلاثة بزميليه :

- يا إلهى ! .. أسرعاً بطلب سيارة إسعاف .. هذا الغيبى

أمسك البوابة ، دون أن يقرأ التحذير عليها .

وضغط زر فتح البوابة ، وهو يعدو نحوها بكل قوته ،

فانفتحت فى ببطء ، وتلاشى منها التيار الكهربى مؤقتاً ،

فانحنى بفحص ( أدوم ) ، وهو يقول فى انزعاج :

- اتعشّم ألا يكون قد لقي مصرعه ، وألاً ..

بتبر عبارته بغنة وهو يحدّق فى ذلك القفاز المطاطى

السميك ، الذى التصق بكف ( أدوم ) فى لون يصعب تمييزه

عن جلده الحقيقى ، وقفزت إلى ذهنه فكرة ، جعلت جسده

يرتجف ، وهو يتعشّم :

- عجباً ! .. مع هذا القفاز المطاطى ، من المستحيل أن يسرى

التيار الكهربى فى جسده (\*) .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى هبّ ( أدوم ) واقفاً على قدميه ،

وهو يقول فى سخرية :

- أهنئك يا رجل .. ستحصل على درجات جيدة فى مادة

الفيزياء (\*\*) .

ثم هوت قبضته على فك الرجل كالقنبلة ، مستطرداً :

( \* ) المطاط : مادة عازلة من التيار الكهربى .

( \*\* ) الفيزياء : هى دراسة ظواهر طبيعية محدودة ، لكشف القوانين

العامة والخواص المشتركة لها ، ويمكن تقسيم هذه الدراسات بصفة عامة

إلى ستة مجالات :

الضوء ، والصوت ، والحرارة ، والكهرباء ، والمغناطيسية ، والذرة ،

وخواص المواد ، وهناك فرع آخر يعتمد على المجالات الكيميائية أيضاً ،

ويعرف باسم ( الفيزيو كيمياء ) .



- وعلى صفر في الإحساس الأمنى .  
 رأى الحارس الذى يقف عند القिला ما حدث ، فأتسعت  
 عيناه ، وهتف :

- يا إلهى !.. إنها خدعة .  
 كانت يده تقفز نحو مسدسه ، الذى يبعد عنها ثلاثين  
 سنتيمترا فحسب ، إلا أنه فوجئ بـ ( أدهم ) يقطع الأستار  
 العشرين ، التى تفصله عنه ، عبر حديقة القिला ، فى وقت أقل  
 مما قطعته يده لتقبض على مسدسه ، ووجد يمسك معصمه  
 بغتة بإصابع من فولاذ ، وهو يقول ساخرا :  
 - معذرة يا رجل .. هل أربك وجودى ؟

شبهق الرجل فى قوة ، عندما لوى ( أدهم ) معصمه بيسراه ،  
 وأجبره على إفلات مسدسه ، فى نفس اللحظة التى غاصت فيها  
 قبضته اليمنى فى معدته ، كما لو أنها مطرقة هائلة من  
 الصلب ، جعلته ينثنى فى ألم ، فتحركت يد ( أدهم ) اليمنى فى  
 سرعة ، لتلتقط المسدس ، قبل أن يسقط أرضا ، ثم ارتفعت  
 قبضته اليسرى ، بعد أن تخلت عن معصم الرجل ، وهوت على  
 مؤخرة عنقه بضربة عنيفة ، أسقطته فاقد الوعي ، فى نفس  
 الوقت الذى اندفع فيه الحارس الثالث خارج المنزل ، وهو يحمل  
 مسدسه ، ولكنه فوجئ بمسدس ( أدهم ) يلتصق بعنقه ، وسمع  
 هذا الأخير يقول فى هدوء مثير :

- دعنى أمتحك لغرا طريفا يا رجل .. ماذا ينبغى أن يفعل  
 حارس أمن ، عندما يباغته هجوم ما ، ويجد زميليه أمامه  
 فاقدى الوعي ، وقوه مسدس ملتصقة بعنقه ؟ .. هل يصر على  
 المقاومة ، أم يفضل الاستسلام ؟

ارتجف الرجل ، وألقى مسدسه فى سرعة ، وهو يجيب :



ثم هوت قبضته على فك الرجل كالقنبلة .



- أع .. اعتقد انه سيفضل الاستسلام ..

ابتسم ( أدهم ) قائلاً :

- عظيم .. إجابة صحيحة .. هيا .. استدر لتواجهنى ..

استعد الرجل يواجهه ، وهو يقول :

- هانذا .. ولكن لماذا ؟

هوى ( أدهم ) على فكه بكلمة كالثبيلة ، مجيباً :

- لأننى أكره أن أضرب رجلاً فى ظهره ..

سقط الحارس الثالث قاعد الوعى بدوره ، فهزأ ( أدهم )

كتفيه ، وغمغم :

- يتبغى أن يدقق الأوغاد أكثر ، فى اختيار حراسهم .. هذا

أمر يثير الشفقة بحق ..

ثم جذب الحارسين إلى الداخل ، وكذلك فعل مع الحارس

الثالث ، عند بوابة الفيلا ، قبل أن يبدأ عملية البحث ..

كان يتحرك فى سرعة وخفة ، ويفحص كل شىء تقريباً ..

الجدران ، والأرضيات ، وقطع الأثاث ، وغيرها ..

كان واثقاً من وجود مكان ما ، يحتفظ فيه ( هال ) بكل

أسرارهم ، وربما بكل أسرار الشبكة الاسكندنافية أيضاً ..

ومن أن هذا المكان ليس بعيداً عن متناول يده ، ليمكنه

الرجوع إليه وقتما يشاء ..

ولكن أين ؟

أين هذا المكان ؟

استغرق منه البحث نصف ساعة كاملة ، قبل أن يغمغم فى

حيرة :

- عجباً ! .. لا يمكننى أن أصدق أبداً أن ذلك الوغد يخالف

القواعد المعتادة لعالم الأوغاد .. سيدهشنى حقاً لو انه يمتلك

البراعة الكافية لإخفاء أسرارهم فى مكان آخر ..

لم تكن فكرة وجود مكان آخر هذه تروق له كثيراً ؛ فدراسته

لشخصية ( هال ) تؤكد له أنه من الضرورى أن يخفى المحامى

أسرارهم فى مكان يسهل الوصول إليه بسرعة وقت اللزوم ..

مكان يكون دائماً فى متناول يده ..

ولكن منزله لا يحوى هذا المكان ..

وهذا قرار خبير ، لا يشق له غبار فى هذا المجال ..

فاين يمكن أن يكون ؟

أين ؟

قبل أن يتوصل عقله إلى جواب شاف ، أو ينجح فى تفسير

هذا التناقض ، التفتت أذناه بغتة صوتاً خافتاً ، يأتى من

مسافة متر واحد ، خلفه مباشرة ..

وبكل سرعة ، استدار ( أدهم ) إلى مصدر الصوت ، فى نفس

اللحظة التى تحرك فيها الحارس ، الذى استعاد وعيه مبكراً ،

ليصوب إليه مسدسه ، و ..

ويطلق النار ..

وعلى الرغم من أن الحارس قد تحرك بخفة حقيقية ، وانتظر

حتى أصبحت المسافة التى تفصله عن ( أدهم ) أقصر من أن

يخطئ هدفه ، ومن أن عامل المفاجأة كان لصالحه مائة فى

المائة ، إلا أن الرصاصة التى أطلقها ، من مسافة متر واحد ، لم

تنجح فى إصابة الهدف ..

www.Liilas.com/vb3

www.Liilas.com/vb3

www.Liilas.com/vb3

www.Liilas.com/vb3

www.Liilas.com/vb3

www.Liilas.com/vb3



فعندما استدار (أدهم) ، ورأى الحارس أمامه ، يصوب إليه مسدسه ، انطلق عقله يعمل بسرعة البرق ، متجاوزاً عامل المفاجأة ، وتألقت سرعة استجابته المدهشة ، فانخفض برأسه ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها الرصاصة ، وشعر بها تتجاوزته بسنتيمترات قليلة ، وقدمه ترتفع لتغوص فى معدة الحارس ، الذى تاوّه فى ألم ، ولكن قدم (أدهم) الثانية أخirst تاوّهاته بركلة محكمة ، أصابت أرنبة أنفه مباشرة ، وبفجته ثلاثة امتار إلى الخلف ، ليرتطم بالجدار فى قوة ، ويسقط عائداً إلى حالة فقدان الوعي ..

ولكن الرصاصة انطلقت بالفعل ، ولا ريب فى أنها ستدوى كالقنبلة ، فى هذا الحى الهادئ الصامت ..

وهذا يعنى أنه لم يعد هناك مجال للبقاء ..

حتى ولو لم يخل بعد لغز مخزن الأسرار ..

لذا ، فقد غامر (أدهم) الفيلا بأقصى سرعة ، من بابها الخلفى ، وتحرك فى خطوات واسعة ، عائداً إلى سيارته الصغيرة ، وهناك انتزع قناعه ، واستعاد قناع (زيلمان) ، وأحكم وضعه على وجهه جيداً ، ثم انطلق بالسيارة عائداً إلى المطار فى هدوء ..

ومن بعيد ..

من مسافة تزيد على الكيلو متر ، كانت هناك عينان تتابعانه ، عبر منظار مقرب شديد القوة ..

وعندما خفض صاحب العينين منظاره ، كان قلبه يخفق فى انفعال ، وهو يتمتم :

- لن يصدق أدون (شالوم) هذا .. لن يصدق أبداً ..

والتقط سماعة هاتف سيارته ، ليجرى محادثة هاتفية بالغة الأهمية ..

محادثة مع (شالوم) ..

الذئب الإسرائيلى الأرقط ..

\* \* \*

اتسعت عيننا (شالوم) فى شدة ، حتى كادت تقفز من محجريهما ، وهو يستمع إلى (ماير) ، قبل أن يغمغم :

- مستحيل ! .. مستحيل !

ثم أنهى المحادثة ، والذهول يملأ كل ذرة من ملامحه ، فسأله الرجل الذى يقف أمامه فى قلق :

- ماذا حدث يا سيدي ؟

التفت إليه (شالوم) ، وحدق فى وجهه لحظة ، قبل أن

يجيب :

- (زيلمان) زائف ..

كان جواباً مقتضباً للغاية ، إلا أنه جعل الرجل يهتف منزعاً :

- زائف ؟

لوح (شالوم) بكفه فى الهواء ، وانفجرت شفثاه ، وكأنما يهيم بقول شيء ما ، إلا أن الكلمات انحبست فى حلقه بعض الوقت ، قبل أن تندفع من شفثيه فى عنف ، وكأنما تحررت من عقالها عنوة ، وهو يهتف :

- ليت الأمر يقتصر على هذا ..

التقى حاجبا الرجل فى قوتر شديد ، وهو يسأل :

- ماذا هناك أيضاً ؟



أشار ( شالوم ) بسبائته ، وهو يجيب في انفعال :  
- الرجل الذي ينتحل شخصية ( أدولف زيلمان ) ليس  
شخصاً عادياً .

بدا القلق على وجه الرجل ، وهو يسأل :

- من هو يا سيدي ؟

هز ( شالوم ) رأسه في شيء من الذهول ، وكأنه لا يستطيع  
الخروج من صدمته ، ثم تطلع إلى الرجل بنظرة شاردة ، وقال  
وكانه يتحدث مع نفسه :

- ( ماير ) لم ير وجهه .. ولكنه شرح لي كيف أبدل هيئته  
ببراعة مذهلة ، وكيف تغلب على حراس الفيلا بسرعة البرق ..  
وطوال عملي في ( الموساد ) ، لم أر سوى رجل واحد ، يمكن أن  
ينطبق عليه هذا .

وارتجف صوته مع جسده ، وهو يستطرد :

- ( أدهم صبرى ) .

قفز الرجل من مكانه ، وانتفض جسده في عنف ، وكأنه  
لدغه ثعبان سام ، وكاد يلتصق بالجدار ، وهو يهتف مرتاعاً :

- أدهم صبرى .. وما شأنه بنا ؟

انعقد حاجبا ( شالوم ) بشدة ، مع ذلك الانفعال المبالغ ،  
وصاح في الرجل غاضباً :

- ماذا أصابك يا رجل ؟ هل جننت ؟ .. لماذا يخيفك  
( أدهم صبرى ) إلى هذا الحد ؟ .. إنه مجرد رجل واحد .

هتف الرجل مستنكراً :

- مجرد رجل واحد ؟ .. كلاً يا سيدي .. إنه ( أدهم صبرى ) ..  
الرجل الذي حطم كل رموزنا ، وكل عمالقة المخابرات ، في العالم

أجمع تقريباً .. إنه رجل المخابرات الوحيد ، الذي لا يمكن أن  
يوصف بأنه ( مجرد ) رجل واحد .

تضاعف غضب ( شالوم ) مع هذا الجواب المستفز ، وصرخ :

- قلت لك : إنه مجرد رجل واحد .

ثم تراجع مستطرداً في مقت :

- رجل يمكن أن يلقي مصرعه ، مثل أى رجل آخر .

هز الرجل رأسه ، متمتماً :

- ليس بهذه البساطة .

التفت إليه ( شالوم ) بحركة حادة ، وهم بقول شيء ما ، إلا  
أنه أحجم عن هذا في اللحظة الأخيرة ، وارتسمت على ملامحه  
علامات التفكير العميق ، قبل أن يتمم :

- بالتأكيد .. ليس بهذه البساطة .. رجل مثله يحتاج إلى  
خطة محكمة ، تضمن أن يلقي مصرعه ، دون أن يثير مشات  
المشكلات من حوله .

قالها ، وغرق لحظات في تفكير عميق ، ثم التقط سماعة  
الهاتف وطلب رقمًا ما ، ولم يكذ يسمع صوت محدثه حتى قال :

- ( هال ) .. إنه أنا .. ( شالوم ) .. أعلم أنك أقنعت رفاقك

بشأن العميل السوفيتي ، ولكنني لم أتصل بك لهذا ، وإنما

أردت أن أخبرك أن فيلتك قد تعرضت للاقتحام عنوة منذ قليل ..

جحظت عينا ( هال ) ، عندما سمع هذه العبارة ، وصرخ :

- فيلتى أنا ؟ .. أية فيلا ؟ .. أعنى .. كيف لم يبلغنى

رجالى ؟

أجابته ( شالوم ) في صرامة :

- رجالك لم يخبروك ؛ لأنهم جميعاً فقدوا وعيهم .



شحب وجه ( هال ) ، وهو يقول :

- فقدوا وعيهم ام .. أم لقوا حتفهم !

اجاب ( شالوم ) :

- بل فقدوا وعيهم فحسب .. الرجل الذى اقتحم فيلتك ليس

من الطراز الذى يقتل لمجرد القتل .

سأله ( هال ) فى توتر شديد :

- هل تعرفه ؟ .. هل تعرف الرجل الذى اقتحم فيلتى ؟ ..

اسمع يا ( شالوم ) .. لو أنك المسئول عن هذا قسوف ..

قاطعه ( شالوم ) فى غضب :

- كف عن سخافاتك هذه يا رجل ، واستمع إلى جيداً ..

الرجل الذى اقتحم فيلتك جاسوس مصرى ، نجح فى التسلل

إليكم .. بل وفاز بإعجابكم وثقتكم أيضاً .

احتبست الكلمات فى حلق ( هال ) لحظة ، قبل أن تخرج فى

صعوبة ، مختنقة متحسرة ، وهو يغمغم فى انفعال :

- من هو يا ( شالوم ) ؟ .. من هو ؟

اجابه ( شالوم ) من صرامة :

- ( زيلمان ) .. طياركم الجديد ( أدولف زيلمان ) .

جحظت عينا ( هال ) من فرط الذهول والانفعال ، وكانت

أصابعه تعصر سماعة الهاتف ، وهو يكرر :

- ( زيلمان ) .. يا للشيطان ! .. أنت واثق يا رجل ؟

اجابه ( شالوم ) فى حزم :

- تمام الثقة .

احتقن وجه ( هال ) فى شدة ، وهو يهتف :

- اللعنة ! .. ( هانز ) الغبى .. أقحم علينا جاسوسنا ..

اللعنة ! .. اللعنة !

ثم اكتسى صوته بغضب ومقت شديدين ، وهو يستطرد :

- ولكن هذا الأمر لن يستمر طويلاً .. سأقتل ذلك

الجاسوس .. الآن .

صاح به ( شالوم ) فى حدة :

- كلاً .. إياك أن تفعل .

هتف ( هال ) فى دهشة :

- ماذا ؟ .. أى قول هذا يا ( شالوم ) .. هل تحاول منعى من

التخلص من ذلك الجاسوس ؟

اجابه ( شالوم ) فى حزم :

- مطلقاً .. إنما أحاول منعك من ارتكاب حماقة سخيفة ،

ستجعل الرجل يدرك أننا كشفنا أمره ، دون أن نتجح فى

التخلص منه .. إننى أحاول قتله بوسيلة مضمونة يا رجل ..

هل تفهم ؟

سأله ( هال ) فى عصبية :

- ( شالوم ) .. أديك خطة محدودة ؟

اجابه ( شالوم ) فى سرعة :

- بالطبع .

ثم استدرك فى شىء من الحزم :

- ولكن هذه الخطة تحتاج إلى الكثير من الدقة والحكمة ،

وهذا يستلزم أن نناقشها جميعاً .

سأله ( هال ) فى توتر :

- ما الذى تقصده بكلمة ( جميعاً ) هذه ؟



أجابه ( شالوم ) :

- أقصد كلكم يا ( هال ) .. لابد أن اجتمع بكم جميعًا ،  
لأعرض عليكم الخطة الوحيدة المضمونة ، للتخلص من رجل  
مثله ..

والتقى حاجباه مرة أخرى ، وسال المقت من كلماته ، وهو  
يضيف :

- رجل مثل ( أدهم صبرى ) .

ومع تلك اللهجة العنيفة ، أدرك ( هال ) أن أمر هذا  
الجاسوس بالتحديد ليس بسيطًا أو هينًا ..  
ليس كذلك أبدًا ..

\* \* \*

امتقع وجه ( أنجريد ) فى شدة وانتفض جسدها فى عنف ،  
وهى تحدق فى وجه ( شالوم ) ، داخل تلك الفيلا المنعزلة ، التى  
اختارها للاجتماع ، وهتفت بصوت خرج فى صعوبة من بين  
شفثيها :

- ( جاسوس ) ؟ .. ( أدولف ) جاسوس ؟

أدار ( شالوم ) عينيه فى الوجوه الذاهلة المذعورة ، قبل أن  
يقول :

- نعم يا سيدتى .. جاسوس .. ( أدولف زيلمان ) الذى يعمل  
لديكم ، ليس هو ( أدولف زيلمان ) الحقيقى .. إنه ضابط  
مخابرات مصرى .

قال ( هانز ) فى توتر شديد :

- ضابط مخابرات مصرى ؟

أوما ( شالوم ) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى صرامة :

- نعم .. ضابط مخابرات مصرى .. وليس مجرد ضابط  
مخابرات عادى .. بل هو ضابط مخابرات فذ ، من طراز نادر  
نريد ، لا يمكن أن يتوافر مثله فى كل عشرة أجيال .. ضابط  
مخابرات يحمل اسم ( أدهم صبرى ) .

لم يكذب بنطق الاسم ، حتى انتفض ( ثوردال ) فى عنف ،  
وارتد بمقعده إلى الخلف ، كما لو أن الاسم قد أصابه فى صدره  
كالرصاصة ، حتى أن المقعد سقط به أرضًا ، واشترك دويه مع  
صرخته ، وهو يهتف :

- ( أدهم صبرى ) ؟

التفت إليه زملاؤه فى دهشة ، فى حين قال ( شالوم ) فى  
صرامة :

- أخفض صوتك يا رجل .. الجدران لها أذان كما يقولون .  
وارتجف صوت ( أنجريد ) ، وهى تسال ( ثوردال ) فى  
دهشة قلقة :

- هل تعرف هذا الرجل يا ( بيير ) ؟

نهض ( ثوردال ) فى عصبية وهو يقول :

- أعرفه ؟ .. إننى أعرفه خير المعرفة يا ( أنجى ) .. لقد  
احتكتت به مرة واحدة ، كدت ألقى مصرعى خلالها .. إنه ليس  
رجل مخابرات عادى بالفعل .. إنه شيطان .

ثم التفت إلى ( شالوم ) ، وارتجف صوته ، وهو يستطرد :

- كيف يمكن القضاء على رجل كهذا يا ( شالوم ) ؟

وقبل أن يجيب الإسرائيلي ، قال ( هانز ) فى غضب :

- أنت واثق من قولك هذا يا ( شالوم ) ؟ .. لقد اختبرت



( زيلمان ) بنفسى ، ومن العسير أن أصدق أنه ليس طياراً محترفاً .

قال ( شالوم ) فى حزم :

- ( أدهم صبرى ) شخص يمكن أن تصفه بالمحترف ، فى كل المجالات تقريباً ، فهو جيد قيادة الطائرات بأنواعها ، والمركبات ، وحتى الدبابات .. قلت لكم : إنه ليس رجلاً عادياً .  
لوح ( هانز ) ببسبائه فى وجهه ، قائلاً :

- كلامك هذا لا يبدو منطقياً يا رجل .. كيف يتفوق شخص واحد فى كل هذه المجالات ، فى هذه السن الصغيرة .

قال ( شالوم ) إلى الأمام ، وقال فى حدة غاضبة :

- اسمع يا سيّد ( هانز ) .. الأمر أعقد من أن ننشغل عنه بصراعات داخلية .. إننا أمام خطر يواجهكم ويواجهنا ، ولابد لنا من أن نحسم أمره بسرعة ، قبل أن ينسفنا جميعاً ، ومواجهته لن تكون أبداً مواجهة تقليدية ؛ فخصمنا قادر على التصدى لجيش كامل ، لو منحته الفرصة ليستعد لهذا .. وخبرتى معه تقول إنه من العسير مباغتته بقتال مباشر .  
تمتم ( ثوردال ) فى توتر :

- بل من المستحيل ! .

تنهّد ( شالوم ) ، وقال :

- إن من المحتم أن نجد وسيلة مبتكرة للتخلص منه ، وإلا فلن نظفر به قط .

سألت ( أنجريد ) متوترة :

- مثل ماذا ؟

صمت ( شالوم ) طويلاً ، وهو يتطلع إلى وجوههم ، ثم قال :

- الخطة التى توصّلت إليها جديدة ، وتناسب مع الشخصية التى ينتحلها ( أدهم صبرى ) ، ولكنها ستتكلّف مبلغاً باهظاً ، يربو على الثلاثة ملايين دولار .

هتف ( هال ) مدعوراً :

- ثلاثة ملايين ؟ .. ولماذا ندفع كل هذا المبلغ ؟ .. لماذا لا نطلق النار على رأسه مباشرة ؟ .

أجاب ( شالوم ) فى صرامة :

- لو أنك تجد فى نفسك القدرة على إطلاق النار على رأسه مباشرة ، فانهب وافعل .

انعقد حاجبا ( هال ) فى شدة ، وهو يقول :

- ليس من الضروري أن أطلق النار عليه بنفسى .. يمكننى أن أستاجر قاتلاً محترفاً ليفعل هذا ، مقابل أقل من عشر هذا المبلغ .

أشار إليه ( شالوم ) ، قائلاً :

- لو أن المال هو كل ما يقلقك ، فلا داعى للقلق ، إذ إنكم لن تدفعوا سنتاً واحداً من هذا المبلغ ، بل ستدفعه حكومتى كله ، وبدون أية شروط .

قال ( هانز ) فى دهشة :

- حكومتك ستدفع ثلاثة ملايين دولار ، للتخلص من رجل مخابرات واحد ؟

هز ( شالوم ) رأسه ، مجيباً :

- كلاً يا سيّد ( هانز ) .. ليس للتخلص من رجل واحد ،

وإنما لوضع الحكومة المصرية كلها فى مازق حرج ، يسىء إليها عالمياً ومحلياً .. فقد أبلغت ( تل أبيب ) بالموقف ، وعكف



خبراً وأنا على دراسته ، طوال الساعات الماضية ، ثم توصّلوا إلى خطة مدهشة .

ثم تألّقت عيناه في شيء من الزهو ، وهو يستطرد :

- وأعترف بأن الفكرة فكرتي منذ البداية ، ولكن الخبراء طوروها إلى حد كبير .

ساله ( ثوردال ) :

- ومادامت الخطة خطتكم ، وأنتم الذين ستمولونها ، فما حاجتكم لنا إذن ؟

ابتسم ( شالوم ) وهو يجيب :

- الخطة لا يمكن تنفيذها بدونكم .

سالته ( أنجريد ) في حيرة :

- ولماذا ؟

اتسعت ابتسامته ، حتى برزت أنياب الذئب في فكه ، وهو يجيب :

- لأن حجر الأساس في هذه الخطة هو الطائرة الجديدة ، التي ستصلكم غداً من شركة التأمين ، بدلاً من الطائرة التي تحطّمت على الجليد .

تبادل أربعتهم نظرة متوترة ، ثم قال ( هانز ) في عصبية :

- ( شالوم ) .. إنك لم تجب سؤالاً في صراحة .. أنت واثق

من أن ( زيلمان ) جاسوس ؟ .. الديك دليل على هذا ؟

رمقه ( شالوم ) بنظرة صارخة ، قبل أن يجيب في حزم واقتضاب :

- بالتأكيد .

ثم استند بكفيه إلى منضدة الاجتماعات ، ومال إلى الأمام ، وهو يستطرد :

- عندما أخبرني جاسوس بأمر ( زيلمان ) وتأكدت من عنف الهجوم ، الذي قام به رجل واحد ، على فيلتيك يا ( هال ) ، أرسلت أحد رجالى لفحص وتفتيش جسم الطائرة ، التي تحطّمت في الجبال ، ولقد بذل الرجل جهداً حقيقياً ، قبل أن يعثر على هذا .

قالها ، والتقط من جيبه قرصاً صغيراً ، في حجم عملة معدنية بسيطة ، ورفعها أمامهم بين سبابته وإبهامه ، مضيفاً :

- تطلّعوا إليه جيداً أيها السادة .. إنه جهاز تصنّت صغير ، نطلق عليه في عملنا اسم ( المشاغب ) ، هذا لأنه ، وعلى الرغم من صغر حجمه ، يمتلك قدرة مدهشة على نقل كل الأصوات ، وتمييز بعضها عن بعض في وضوح تام .. باختصار .. إنه جهاز التصنّت المثالي ، بالنسبة لرجل يرغب في سماع ما يدور في اجتماع كبير .. وهذا ( المشاغب ) عثرنا عليه تحت المقعد ، الذي كنت تجلس عليه يا ( ثوردال ) .

شحب وجه ( ثوردال ) وهو يقول :

- يا للشيطان ! .. إذن فقد استمع إلى كل ما رددناه حول الصفة !

أجابه ( شالوم ) في حزم :

- بالضبط .. ( أدهم صبري ) أصبح يعرف الكثير .. وربما أكثر مما ينبغي ، وهذا يعني أن القضاء عليه أصبح حتمياً .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد :

- هل تعلمون لماذا التقيت بكم لأول مرة الآن فحسب ؟ .. لأنه فيما مضى كنت أخشى أن تنتبه أجهزة المخابرات الأخرى إلى لقائنا ، وبالأخص جهاز المخابرات المصري .. أما الآن ، وبعد أن



تأكدت من أن تعاوننا صار أمراً علنياً ، بالنسبة للمصريين بالذات ، فلم يعد يعنني كتمان اجتماعاتنا كثيراً .  
قال ( هال ) في عصبية :

- هل تعنى أن ( أدهم ) قد أبلغ مالدیه لرؤسائه بالفعل ؟  
هز ( ثوردال ) رأسه نفياً ، وهو يسبق ( شالوم ) إلى الجواب ، قائلاً :

- ليس كل مالدیه .. ربما أبلغهم بأمر وجود تعاون بيننا وبين الإسرائيليين ، ولكنه لا يستطيع سرد كل التفاصيل في برقية شفرية .. إنه يدخرها في المعتاد لتقريره النهائي .. وهذا يعنى أن التخلص منه الآن يخفى هذه التفاصيل إلى الأبد .  
ابتسم ( شالوم ) ، وهو يقول :

- منطق رائع يا عزيزى ( ثوردال ) ، إلا أنه يؤسفنى أن أخبرك أن خططنا لا تعتمد على القضاء على ( أدهم صبرى ) ، وإنما تعتمد على المحافظة على حياته ، حتى يصل إلى أولئك الذين سيتولون أمر التخلص منه .

بدت عبارته الأخيرة غامضة للغاية ، حتى أن الدهشة ارتسمت على كل الوجوه ، وبالذات وجه ( أنجريد ) ، التى سألت في حيرة :

- ما الذى يعنيه هذا التناقض ؟

النقط ( شالوم ) نفساً عميقاً ، قبل أن يقول :

- سأشرح لك يا سيكتى .

نطق عبارته ، واعتدل ، وراح يشرح لهم خطته ..

والواقع أنها كانت بالفعل خطة مبتكرة وجديدة .. بل ورهيبية ..

رهيبية إلى أقصى حد .

## ٧ - خطة الذئب ..

على الرغم من أن ( أدهم ) قد استلقى فى فراشه منذ العاشرة مساءً ، إلا أن النوم لم يتسلل إلى جفنيه إلا فى الرابعة ويضع دقائق صباحاً ..

لقد قضى ليلته ساهراً مسهداً ، يفكر فى أمر ( هال ) ، والشبكة الاسكتدنافية ..

إنه واثق من أن ( هال ) يحتفظ بكل أسرار الشبكة ..

وفى مكان قريب منه للغاية ..

ولكن فيلته نظيفة تماماً ..

لا توجد خزائن سرية ، أو أرضيات مزدوجة ، أو حجرات

خفية ..

أو حتى جدران متحركة ..

وهذا يعنى أن ( هال ) يحتفظ بأسراره فى مكان آخر ..

ولكن أين ؟ ..

أين ذلك المكان القريب والبعيد فى آن واحد ؟ ..

أين ؟ ..

ظلت الفكرة تؤرقه ، وأبت أن تفارقه ، وهو يعيد دراسة

الموقف مرات ومرات ، حتى غلبه النوم ..

وحتى فى نومه ، لم تفارقه الفكرة قط ..

لقد رأى نفسه يتسلل مرة ثانية إلى الفيلا ، التى بدت خالية

تماماً ، من ( هال ) والحراس ..

وحتى من الأثاث ..

وعندما أبدى دهشته من هذا ، فوجئ بمدير المخابرات إلى

جواره ، يقول :



- لن تعثر على أى شىء هنا يا ( ن - ١ ) .

ولأن الأحلام لا تخضع بالضرورة للمنطق ..

ولأن التائم لا يدرك هذا أبدًا فى حينه ..

فقد بدا وجود المدير منطقيًا تمامًا ، فسأله ( أدهم ) فى اهتمام :

- لماذا يا سيدي ؟

أجابه المدير فى هدوء :

- لأن ( هال ) محام ، وهو أنكى من أن يحتفظ بما يدينه فى قبيلته .

قال ( أدهم ) فى حيرة :

- أين يحتفظ بالأسرار إذن ؟

أشار المدير بيده ، قائلاً :

- ربما هناك .

التفت ( أدهم ) إلى حيث يشير المدير ، ورأى أمامه امرأة ضخمة ، تغطى جدارًا كاملاً من جدران القिला ، وتنعكس فوقها صورتها كلها ..

وكان هناك فارق جوهري بين الفيلما وصورتها المنعكسة ..

فالفيلما كانت خالية تمامًا من الأثاث ، فى حين كانت الصورة المنعكسة كاملة الأثاث ..

ولأنه حلم ، لم يبد هذا أيضًا غير منطقيًا ، ولكن ( أدهم ) تساءل : كيف لم ير هذا الجدار الزجاجي من قبل ؟ ..

وعندما التفت ليلقى السؤال على المدير ، لم يجده إلى جواره ..

بل ولم يجده فى الفيلما كلها ..

وفى دهشة ، هتف :

- أين أنت يا سيدي ؟

انبعث فجأة صوت يقول :

- أنت تائم .. هيا .. استيقظ .. هيا ؟

لوهلة ، بدا الصوت وكأنه جزء من الحلم ، ثم استيقظت

حواس ( أدهم ) بفتنة ، وأدركت أن الصوت يأتى من عالم

الواقع ، ممزجًا بدقات على باب حجراته ، فهبَّ جالسًا على

طرف فراشه ، وألقى نظرة سريعة على ساعته ، التى أشارت

عقاربها إلى الرابعة والنصف صباحًا ، ثم قال باللغة الألمانية :

- من بالباب ؟

أتاه صوت ( هانز جوردان ) ، وهو يقول :

- إنه أنا يا ( زيلمان ) .

قال ( أدهم ) متصنعا الغضب والخشونة ، وهو يرتدى قناع

( زيلمان ) فى إحكام :

- هل تعرف كم الساعة الآن يا سيّد ( هانز ) ؟

أجابه ( هانز ) :

- نعم .. أعرف .. ولكننى أريدك الآن لأمر هام .

التقط ( أدهم ) مسدسه ، ودسّه فى حزامه ، وهو يقول :

- انتظر لحظة إذن .

ثم ارتدى قميصه فى سرعة ، وفتح الباب ، وهو يثأب

متعمدًا ، ويقول :

- اتعشّم أن يكون أمرًا هامًا بحق يا سيّد ( هانز ) .

لقى ( هانز ) نظرة سريعة على الحجرة ، ثم قال :

- إنه كذلك يا ( زيلمان ) .. إنه كذلك .



وتقدم بضع خطوات داخل الحجرة ، قبل أن يجلس على المقعد الوحيد بها ، ويضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، مستطرداً :

- الطائرة الجديدة ستصل في السادسة ، ومن الضروري أن تستعد لاستقبالها .

هتف ( أدهم ) في دهشة :  
- في السادسة صباحاً ؟ ! .. ياله من موعد !  
هز ( هانز ) رأسه نفياً في بطله ، ثم تطلع إلى عيني ( أدهم ) مباشرة ، وقال :

- بل ستصل في السادسة مساءً .

انعقد حاجبا ( أدهم ) في غضب ، وهو يقول :

- في السادسة مساءً ؟ ! .. أتوقظني في الرابعة والنصف صباحاً لتخبرني أن الطائرة ستصل بعد أكثر من اثنتي عشرة ساعة ؟ !

أجابه ( هانز ) في صرامة :

- قلت أيضاً : إنه من الضروري أن تستعد لاستقبالها .

قال ( أدهم ) في عصبية تناسب شخصية ( زيلمان ) :

- وهل يحتاج هذا الاستعداد لنصف يوم كامل ؟

أجابه ( هانز ) في صرامة :

- ربما يحتاج إلى ما هو أكثر من هذا .

مط ( أدهم ) شفثيه معترضاً ، وجلس على طرف الفراش ، قائلاً :

- هل لك أن تخبرني كيف ؟

صمت ( هانز ) طويلاً وهو يطلع عليه ، قبل أن يميل نحوه فجأة ، قائلاً :

- ( زيلمان ) .. لقد رشجتك للعمل معنا .

تظاهر ( أدهم ) بالدهشة ، وهو يقول :

- ولكنني أعمل معكم بالفعل يا سيد ( هانز ) .

هز ( هانز ) رأسه ، وقال :

- أنت تعمل رسمياً مع الشركة ، وليس معنا يا ( زيلمان ) .

سأله ( أدهم ) :

- وما الفارق ؟

ابتسم ( هانز ) ابتسامة كبيرة ، وهو يجيب :

- الفارق ضخم للغاية يا ( زيلمان ) .

ثم نهض ، مستطرداً :

- هيا بنا .. سأشرح لك كل شيء في الطريق .

سأله ( أدهم ) في حذر حقيقي :

- في الطريق إلى أين ؟

تنهد ( هانز ) مجيباً :

- ستعرف بعد قليل .. لا تتعجل الأمور .

لم تمضى ربع الساعة ، حتى ضمتهم سيارة ( هانز ) ،

التي انطلق بها في الطريق الذي يتجه إلى الحدود السودانية ،

فسأله ( أدهم ) :

- إلى أين نذهب بالضبط ؟

أجابه ( هانز ) :

- إلى مخزننا الخاص يا ( زيلمان ) .

سأله ( أدهم ) متظاهراً بالبساطة :

- مخزن الشركة ؟ !

هز ( هانز ) رأسه نفياً ، قبل أن يجيب :



- بل مخزننا الخاص يا (زيلمان) .

ثم رمقه بنظرة خاصة ، مستطرداً :

- مخزن الشبكة الاسكندنافية .

شعر (أدهم) بدهشة حقيقية ؛ لأن (هانز) صارحه بالامر على هذا النحو ، وبعد أيام معدودة من عمله معه ، وبدت دهشته واضحة في صوته ، وهو يكرر :

- الشبكة الاسكندنافية ؟ !

قال (هانز) في اهتمام :

- نعم يا (زيلمان) .. الشبكة الاسكندنافية .. اعلم ان

المصطلح جديد على مسامعك ، ولكنني سأشرحه لك جيداً ..

وطوال ربع ساعة كاملة ، راح (هانز) يشرح له امر شبكة

التجسس في صراحة تامة ، ادهشت (أدهم) كثيراً ، فلم يحاول

إخفاء دهشته هذه ، حتى لا يثير شكوك (هانز) ، وإنما سآله :

- قل لي يا سيّد (هانز) : لماذا تكشف لي كل هذه الامور

الخطيرة ؟ .. ألا تخشى ان أبلغ الشرطة مثلاً ؟

ابتسم (هانز) ، وهو يقول :

- يمكنك ان تقول إن لي نظرة ثاقبة للأمور ، ويمكنني

بسهولة تحديد الشخص الذي أمنحه ثقتي .

كتم (أدهم) ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

- هكذا ؟ !

أجابه (هانز) :

- بالتأكيد يا (زيلمان) .. أنت طيار مثلي ، وكلانا يمكن فهم

الآخر جيداً ، وأنا أعلم ان عمل الطيار المدني لطائرة خاصة هذا

لا يناسبك قط ..

ثم التفت إليه ، مستطرداً بلهجة خاصة :

- ولكن العمل الجديد سيناسب مواهبك حتماً .

قالها ، وهو ينحرف عن الطريق الرئيسي ، ويتجه نحو

مخزن كبير ، فسآله (أدهم) :

- أهذا هو مخزنكم السري ؟ !

ضحك (هانز) ، قائلاً :

- ما تراه أمامك هو مخزن الشركة الرسمي ، أما مخزننا

السري ، فهو تحته مباشرة .

توقفت السيارة عند المخزن ، وقاده (هانز) إلى الداخل ، ثم

إلى قبو يختفي بابه خلف عدد من الصناديق ، وأشار إلى

مجموعة من صناديق الذخيرة ، قائلاً :

- ها هي ذى بضاعتنا الحقيقية .

لم يستطع (أدهم) إخفاء دهشته الحقيقية ، وهو يقول :

- الذخيرة ؟ ! هل تتاجرون في الأسلحة والذخيرة ؟ !

أجابه (هانز) في حماس :

- بالطبع يا (زيلمان) .. إنها تجارة رابحة للغاية ، وتدر

علينا الملايين .

ثم وضع يده على كتف (أدهم) ، مستطرداً :

- وستدر عليك أرباحاً خيالية أيضاً يا رجل .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول في حذر :

- هل تطلب مني العمل لحسابكم في تجارة الأسلحة يا سيّد

(هانز) ؟

هزّ (هانز) رأسه نفيّاً ، وقال :

هو (هانز) رأسه نفيّاً ، وقال :

هو (هانز) رأسه نفيّاً ، وقال :

هو (هانز) رأسه نفيّاً ، وقال :

هو (هانز) رأسه نفيّاً ، وقال :

هو (هانز) رأسه نفيّاً ، وقال :

www.lilias.com/vb3

www.lilias.com/vb3

www.lilias.com/vb3

www.lilias.com/vb3



- بل اطلب منك ان تتعاون معنا كشريك كامل يا (زيلمان) ،  
وان تبدا هذا التعاون الليلة بالتحديد .  
سأله (أدهم) في حذر :  
- الليلة ؟ !

أوما (هانز) برأسه إيجاباً ، وقال :  
- نعم يا (زيلمان) .. الليلة سنتقل أول شحنة من الأسلحة  
إلى زبائننا .. هل تقبل هذا العمل ، مقابل مائة ألف دولار ١٤ ؟  
لم يشعر (أدهم) بالارتياح ، إزاء هذا العرض ، واستيقظ في  
أعماقه شعور قوى بالقلق والحذر ، وبأن (هانز) وأفراد شبكته  
الاسكندنافية يخفون أمراً ما ، خلف هذا العرض السخى ، إلا أن  
رفض موقف كهذا لم يكن يتناسب قط مع شخصية  
(زيلمان) ، لذا فقد سال في اهتمام واضح :

- وأين هؤلاء الزبائن ؟

أجابه (هانز) بسرعة :

- سينظرونك في بخت خاص ، بالقرب من (ستوكهولم) ،  
في البحر البلطي .

قال (أدهم) ساخراً :

- عظيم .. وهل تتوقع منى الهبوط على سطح الماء ؟

أجابه (هانز) في هدوء :

- بالطبع .. الطائرة الجديدة مزودة بالواح إضافية عند  
إطاراتها ، تسمح لها بالهبوط فوق سطح الماء .

ثم وضع يده على كتفه ، مستطرداً في حماس :

- صدقني يا (زيلمان) .. إنها صفقة العمر بالنسبة لك  
يا رجل .

صمت (أدهم) قليلاً ، وقد تضاعف قلقه وحذره مرات  
ومرات ، إلا أن الدور الذي يلعبه جعله يبتسم ، ويقول في  
اهتمام :

- ومن يمكنه رفض مثلها يا سيد (هانز) ؟

امتأ وجه (هانز) كله بابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

- عظيم .. عظيم يا (زيلمان) .. دعنا إذن نعد البضائع ،  
فهذا يحتاج إلى عدة ساعات .

أوما (أدهم) برأسه إيجاباً ، وهو يرسم على شفثيه  
ابتسامة باهتة ، أما في أعماقه ، فقد تصاعد القلق ، حتى بلغ  
ذورته ..

هناك شيء ما حتماً وراء هذا العرض ..

شيء قد يحمل له الخطر ، أو ...

أو حتى الموت ..

\* \* \*

بدت الدهشة على وجه (فريدريك) ، وهو يحدق في وجه  
(أدهم) ، قبل أن يقول في حيرة :

- ماذا تعنى بأنك ستقود الطائرة وحدك الليلة يا كابتن  
(زيلمان) ؟ ! المفترض دائماً ، طبقاً لقوانين الطيران ، أن

يصحبك مساعدك .

أجابه (أدهم) في حزم :

- إنها ليست رحلة رسمية يا (فريدريك) ، بل مجرد اختبار  
للطائرة الجديدة .

قال (فريدريك) في ضيق :

- وكيف يمكنك أن تخبرها دون طيار مساعد ؟ !



اعتدل ( أدهم ) ، وانعقد حاجباه في صرامة ، وهو يجيب :

- سل السيد ( هانز ) .. إنها أوامره .

صمت ( فريدريك ) لحظة ، وهو يراقبه في توتر ، ثم قال في

عصبية :

- وهل تحتم أوامره أيضاً فحص الطائرة الجديدة بهذه

الطريقة ؟ إنك تعكف على فحصها منذ أكثر من نصف الساعة ،

حتى أنك راجعت المحرك بنفسك ، وفحصت جسمها من الخارج

مرتين ، وقلبت مقاعها ، وحتى أجهزة الاتصال بها ، ماذا هناك

بالضبط ؟

اجابه ( أدهم ) في خشونة :

- أخبرتك أنني لا أستقل طائرة جديدة ، قبل أن أفحص كل

شبر منها .

قال ( فريدريك ) في عصبية :

- أنت واثق من أن هذا هو السبب الحقيقي ؟

رمقه ( أدهم ) بنظرة صارمة ، قبل أن يجيب في خشونة :

- ليس هذا من شأنك .

لم يكن بإمكانه حقاً أن يروى له السبب الحقيقي ، الذي

يدفعه إلى كل هذا الحرص ..

إنه واثق تمام الثقة ، على الرغم من عدم وجود أدلة قاطعة ،

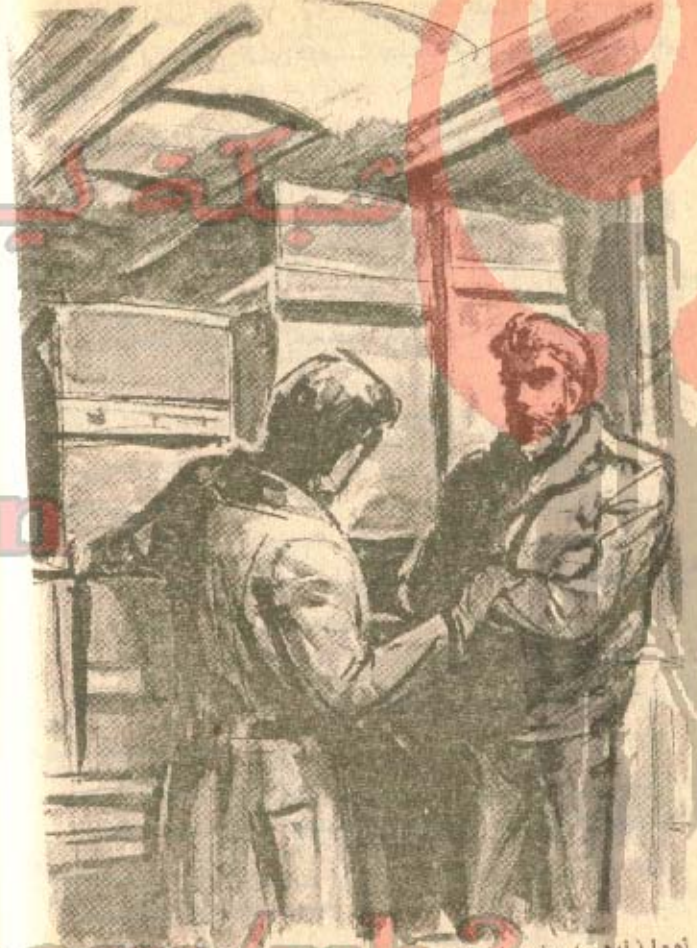
على أن ( هانز ) ورفاقه يضمرون أمراً ما من هذه الرحلة الليلية ..

ولقد وضع في ذهنه كل الاحتمالات ..

ربما وضعوا قنبلة ما في الطائرة ! ..

ولكنه فحص كل شبر منها بالفعل ، ولم يعثر على أدنى أثر

لآلة قنابل ..



أوما ( أدهم ) برأسه إيجاباً ، وهو يرسم على شفطيه ابتسامة كبيرة ..



حتى شحنة الأسلحة ، التي سيحملها إلى أولئك الزبائن ،  
بالقرب من ( ستوكهولم ) (٤) ، فحصها بنفسه بمنتهى الدقة ،  
ولم يجد فيها ما يخيف ، أو حتى يثير الشك ..  
ما الذي أعدوه إذن ؟ ..

هل سيبلغون الشرطة بأمره ، عندما يقلع حاملاً شحنة من  
الأسلحة غير القانونية ؟ ..

ولكن لم يمكن أن يفيدهم هذا ؟ ..

كل ما سيحدث هو أن الشرطة ستلقى القبض عليه ، بتهمة  
محاولة التهريب ، وهو يقود طائرته الخاصة ، وهذا يضعهم  
أيضاً في موضع الشبهات ؟ ..

أم أنهم يختبرونه بهذه الرحلة ؟ ..

ربما كانوا كذلك بالفعل ، ولكن لماذا يشعر في أعماقه بذلك  
القلق المبهم ، الذي ينبعث دائماً من غريزته ، عندما يواجه أمراً  
لا يروق له ، حتى ولو توافق مع العقل والمنطق السليم ؟ ..

لماذا ؟ ..

لماذا ؟ ..

« ماذا تفعل هنا ؟ .. »

انطلق السؤال من بين شفطي ( هانز ) في هرامة ، فانتفض  
جسد ( فريدريك ) في توتر ، وهو يقول :

« لا شيء يا سيّد ( هانز ) .. لا شيء .. فقد أتيت لألقى التحية  
على كابتن ( زيلمان ) ، قبل أن ينطلق في رحلته المنفردة هذه .

( \* ) ستوكهولم = عاصمة ( السويد ) .. تقع على منفذ بحر ( المازان )  
إلى البحر البلطي ، لها ميناء كبير ، ومركز لمناه السفن ، وصناعة الآلات  
والمنسوجات والكيماويات والمطاط ، وهي مقر لجامعة بولية ، ومركز ثقافي  
وفني .

قالها ، وهو يضغط حروف كلمة ( المنفردة ) في قوة ، وكأنها  
يكرّر عدم اقتناعه بما يحدث ، ولكن ( هانز ) أجابه في صرامة :

« لا شأن لك بالقواعد التي نتبعها في الطيران ، فمهما بلغت  
خبرتك ، لن تتفوّق علينا قط ، أنا و ( أدولف ) ..

غمغم ( فريدريك ) :

« اعترف بهذا دون مناقشة ..

أشار إليه ( هانز ) إشارة صارمة ، وهو يقول :

« هيا .. عد إلى برج المراقبة ، فسأستبادل حديثاً قصيراً مع  
كابتن ( زيلمان ) ، قبل أن يقلع .

أوما ( فريدريك ) برأسه ، غمغماً في ضيق :

« كما تأمر يا سيّد ( هانز ) .. كما تأمر .

والقى نظرة سريعة على ( أدهم ) ، قبل أن يغادر الطائرة في  
سرعة ، ويبعد عن المكان كله في خطوات سريعة ، راقبه خلالها  
( هانز ) بعض الوقت ، ثم أخرج من جيبه مظروفاً ، وناوله  
« ( أدهم ) قائلاً :

« خذ يا ( زيلمان ) .. خمسون ألف دولار كمقدّم ، والباقي  
ستحصل عليه عند العودة ، وبعد أن يبلغنا زبائننا بتسلم  
الشحنة .

النقط ( أدهم ) المظروف ، ودسّه في جيبه ، قائلاً :

« أعتقد انه ينبغي أن ألق على الفور ، حتى أصل في الوقت  
المحدود .

مدّ ( هانز ) يده يصفحه ، وهو يقول :

« بالتأكيد .. اذهب الآن يا ( زيلمان ) وانتبه جيداً .. لا تريد

أية متاعب .



قال ( أدهم ) فى حزم :

- اطمئن .

وعلى بعد عشرين متراً ، وقف ( هانز ) يراقب إقلاع ( أدهم ) بالطائرة فى صمت ، وراقبها ببصره ، حتى اختفت فى الأفق ، وسط ظلام الليل ، وفى هدوء ، برز ( شالوم ) من داخل برج المراقبة ، وسار عبر ممر الإقلاع ، حتى توقف إلى جوار ( هانز ) ، الذى قال فى شيء من الارتياح :

- هل أتيت دورى جيداً يا سيد ( شالوم ) ؟

أوما الذئب برأسه ، مجيباً :

- بالتأكيد يا سيد ( هانز ) .. بالتأكيد .

تنهد ( هانز ) ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

- هل تعتقد أنه شك فى أمرى ؟

أجابه ( شالوم ) مبتسماً :

- بالتأكيد .. رجل مثله لا يمكن أن يمر عليه موقف كهذا فى بساطة ، ولكنه سيعتصر عقله بحثاً عما يؤيد شكوكه ، وسيبذل قصارى جهده لفحص كل شيء فى الطائرة .

ثم اتسعت ابتسامته ، وامتلأت زهواً وشماتة ، مع استطراده :

- ولكنه لن يتوقع ما ينتظره قط .

وانطلقت من بين شفطيه ضحكة جذلة قصيرة ، قبل أن يضيف :

- الشيء الوحيد الذى يؤسفنى ، هو أننى لن أكون هناك ، لأرى ما سيرسم على وجهه ، عندما يكشف خدعتنا .

ابتسم ( هانز ) وقال :

- ولكن عزاءنا الوحيد هو أنه لن يكشف الخدعة ، إلا بعد قوات الأون ، وعندما يصبح التراجع مستحيلاً .

قالها ، واشترك الاثنان فى ضحكة طويلة ..

وشريرة ..

\* \* \*

لأد ( أدهم ) بالصمت تماماً ، وهو ينطلق بالطائرة الجديدة طويلاً فوق البحر ، وعقله مازال يبحث عن تفسير للقلق الذى يعتريه ..

ومن الناحية المنطقية ، لم يكن هناك دليل واحد يؤيد قلقه وشكوكه ..

لقد بذل جهداً حقيقياً لإنقاذ أفراد الشبكة الاسكندنافية ، وأثبت لهم إخلاصه ، ومهارته فى الطيران ، ومن المؤكد أن هذا قد ترك أثراً قوياً فى أعماقهم ، دفعهم إلى اتخاذ قرار سريع بضمه إليهم ..

وهذه الرحلة مجرد اختبار لقدراته ..

ولإخلاصه ..

هذا هو التفسير المنطقى الوحيد ..

ولكن من قال : إن كل فى شيء هذا العالم يخضع للمنطق ؟ ! ..

فبالنسبة لرجل مثل ( أدهم صبرى ) ، خاض أهوالاً يشيب لها الولدان ، وواجه الخطر عشرات المرات ، واقترب من الموت حتى كاد يشتم رائحته ، يكون هناك دائماً أمر يفوق أى منطق فى الكون ..

إنه الغريزة .. غريزة الشعور بالخطر ..

تلك الغريزة التى يمتلكها كل مخلوق حي ، والتى تنمو



وتقوى أكثر في أعماق كل مقاتل ، والتي بلغت ذروتها تقريباً ،  
عند الرجل الذي يحمل لقباً فريداً ، لا يناقسه فيه أى رجل  
مخابرات ، فى العالم أجمع ..  
لقب ( رجل المستحيل ) ..

وفى أعماقه ، كانت تلك الغريزة تصرخ وتئن ، معلنة وجود  
خطر قريب ..  
قريب للغاية ..  
ولكن أين ؟ ..  
أين ؟ ..

وأصل انطلاقه بالطائرة لنصف ساعة أخرى ، وعيناه  
تراقبان كل المؤشرات فى لوحة القيادة فى حذر ، وعقله يواصل  
البحث عن تفسير لقلقه ، و ..  
وفجأة ، انتبه إلى أمر ما ..  
إلى مجموعات النجوم فى السماء ..

فطبقاً لخبرته السابقة فى الملاحة البحرية ، ولما لقَّنه إياه  
والده فى صباه ، لا ينبغي أن تكون تلك المجموعة النجمية فى  
مواجهته ، عندما يتجه إلى ( ستوكهولم ) ..  
كان ينبغي أن تكون عندئذ إلى يساره ، وليس أمامه  
مباشرة ..

ووجودها فى هذا الموضع ، يعنى أنه يتجه نحو الجنوب  
مباشرة ، وليس إلى الجنوب الغربى كما ينبغي ..

وفى دهشة متوترة ، تعلقت عيناه بالبوصلة ، فى لوحة  
القيادة ، والتي تشير إلى أنه يتجه بالفعل نحو الجنوب الغربى  
وليس نحو الجنوب ..

ولكن كيف ؟ ..

كيف ؟ ..

وقبل أن يتم تساؤله ، أو يتوصل إلى تفسير هذا الخلل فى  
البوصلة ، ارتفع من جهاز اللاسلكى فى الطائرة صوت صارم  
يقول :

- أنت داخل مجال جوى محظور .. حدد هويتك ، أو نتخذ  
الإجراءات الدفاعية مباشرة .. أكرر ..

وانعقد حاجبا ( أدهم ) فى شدة ، وهو يستمع إلى النداء ،  
الذى راح يتكرر بلا انقطاع ، وبلغه أكدت الشكوك التى تفجرت  
فى أعماقه منذ البداية ..

باللغة الروسية ..

وكان هذا يعنى أنه لم يكن يتجه أبداً نحو ( ستوكهولم ) ،  
وإنما نحو آخر مكان يرغب فى الذهاب إليه ، فى قلب شتاء  
قارص كهذا ..

إلى الاتحاد السوفيتى ..

وفى غضب ، غمغم ( أدهم ) :

- يا للأوغاد !! .. لقد أحسنوا لعبتهم بحق ..

ثم التقط بوق جهاز اللاسلكى ، وقال بالروسية :



- دخول المجال لم يكن مقصوداً .. خلال فى البوصلة أدى إلى ..

وبتر عبارته بغثة ، وهو يحدث فى الجهاز ..  
فطبقاً لحركة مؤشره ، كان من الواضح أنه لا يصلح للبث ..  
لقد أفسدوه بحيث يعمل كجهاز استقبال فحسب ..  
ومعنى هذا أن السوفيت لن يستقبلوا تفسيره لاختراق  
مجالهم الجوى قط ..  
وأنهم سيتعاملون معه باعتباره دخيلاً يعتدى على مجالهم  
الجوى وحدودهم الآمنة ..

وسيستخدمون معه كل وسائل الدفاع الجوى ..  
وبلا استثناء ..

ولا توجد وسيلة لتفادى هذا ..  
إلا إذا ....

قفزت الفكرة إلى رأسه بغثة ، فاستدار بالطائرة بحركة حادة  
واعترض ذهنه لتعديل الاتجاهات ، طبقاً لمعامل الخلل ، الذى  
أصاب البوصلة ، والذى قاده إلى الاتحاد السوفيتى ، ثم انطلق  
محاولاً العودة من حيث أتى ..

وفى غياب البوصلة ، ومع الطيران الليلى ، لم يكن من  
الممكن أبداً أن يدرك كم توغل فى المجال الجوى للاتحاد  
السوفيتى ، ولكنه انطلق بأقصى سرعة ، تسمح بها محركات  
طائرة مدنية خاصة صغيرة ..

ومن اللاسلكى ، ارتفع ذلك الصوت السوفيتى الصارم ،  
يقول :

- حدد هويتك ، ولا تحاول الفرار .. إننا نحدرك .. حدد  
هويتك ..

تجاهل ( أدهم ) النداء ، وهو ينطلق بأقصى سرعة للطائرة ،  
فى خط مستقيم ، و ...

ولكن فجأة ، أدرك أن محاولته لن يكتب لها النجاح أبداً ..

ولم يكن هذا القرار يحتاج إلى خبرة فى عالم الطيران ..

فأمامه مباشرة ..

وعلى يمينه ويساره ..

وحتى من خلفه ..

ظهر سرب من الطائرات المقاتلة ، يحاصره بصواريخه  
المقاتلة ..

سرب من الطائرات السوفيتية .

\* \* \*





انطلقت ضحكة ( انجريد ) عالية مجلجلة ، وهى ترفع كاسها عاليًا ، وتهتف فى حماس شديد :  
- نخب الذئب العجوز .. أبرع إسرائيلى عرفته ، فى حياتى كلها .

وجرعت كأسها دشعة واحدة ، والجميع يتبادلون النخب ، ثم سعلت ووجهها يحتقن ، ويزداد احمرارًا ، قبل أن تسال :  
- قل لى يا ( شالوم ) : كيف فعلت بالرجل هذا ١٩ .  
وضحك ( ثوردال ) ، هاتفاً :

- نعم .. أخبرنا ايها النخب الأرقط ، كيف جعلته يخترق المجال الجوى للسوفيت ، دون أن يدري ١٩

ابتسم ( شالوم ) فى زهو واثق ، وهو يقول :

- لم يكن الأمر بهذه الصعوبة يا سادة .. لقد زود خبراءنا بوصلة الطائرة الجديدة بجهاز خاص ، به مغناطيس قوى ، يبدأ عمله فور إقلاع الطائرة ، فيتحرك فى بطنه نحو الشمال الغربى ، بحيث تنحرف نحوه بوصلة الطائرة ، حتى تثبت فى تلك الاتجاه ، ومع القيادة الليلية ، واعتماد الطيار اعتمادًا رئيسيًا على البوصلة لتحديد اتجاهه ، كان من الطبيعى أن يتجه ( أدهم صبرى ) بطائرته نحو الجنوب ، فى اتجاه الاتحاد السوفيتى مباشرة ، وهو يتصور أنه يتجه إلى الجنوب الغربى ، نحو ( ستوكهولم ) .

قال ( هانز ) فى إعجاب :

- يا للبساطة !

هتف ( هال ) فى حماس :

- بل قل يا للعبقريّة !

ثم رفع كاسه ثانية ، مستطردًا :

- نخب السيد ( شالوم ) .. انكى رجل ( موساد ) فى العالم .

جرع الجميع كئوسهم ، بعد أن ردوا النخب خلفه ،

وسالت ( انجريد ) ( شالوم ) فى اهتمام :

- لماذا لم تقرب كاسك يا ( شالوم ) ؟

ابتسم ( شالوم ) ، وهز كتفيه ، قائلًا :

- إننى لا أشرب الخمر أبدًا يا سيدتى .

هتفت فى دهشة :

- حقًا ١٩ .. هل أقلعت عنها ؟

هز رأسه نفثًا ، وهو يقول :

- بل لم أقربها فى حياتى قط .

ارتفع حاجباها فى دهشة حقيقية هذه المرة ، ثم لم تلبث أن

انفجرت ضاحكة وهى تقول :

- يا للطرافة ! .. هذا يشبه أفلام السينما القديمة ، التى لم

يعد يشاهدها أحد .. البطل المثالى ، الذى لا يشرب ولا يدخن ..

قل لى يا عزيزى ( شالوم ) : هل تفعل هذا عن اقتناع .

ابتسم ( شالوم ) دون أن يجيب ، ثم أدار عينيه عنها وهو

يقول بصوت مرتفع :

- أخشى أن أصدم مشاعركم ايها السادة ، ولكن على الرغم

من أن مراقبينا قد أكدوا لنا أن طائرة ( أدهم صبرى ) قد عبرت

المجال الجوى السوفيتى بالفعل ، منذ ما يقرب من نصف

الساعة ، إلا أن هذا لا يعنى أن خطتنا قد نجحت .



هوت عبارته على رؤوسهم كالصاعقة ، وحدثوا في وجهه  
بدهشة ، تملزج بشيء من التوتر والخوف ، قبل أن يقول  
( هال ) بصوت مبجوح :

- ماذا تعنى يا ( شالوم ) ؟

اجاب ( شالوم ) بصوت قوى :

- سبق أن أشرت إلى أن ( أدهم صبرى ) هذا ليس رجل  
مخابرات عادى ، وأنه يمتلك عدداً لا بأس به من المهارات  
المختلفة ، وهذا يعنى أن مجرد اختراقه للمجال الجوى  
السوفيتى ، لا يعنى بالضرورة ، وقوعه فى قبضتهم .

قال ( هانز ) فى ضيق :

- لماذا تضيف على هذا الرجل صفات اسطورية يا سيد  
( شالوم ) ؟ .. كلنا نعتزف بأنه بارع بحق ، ولكنه ليس  
( سوبر مان ) (\*) .. هل تعلم ما الذى يفعله السوفيت ، مع طائرة  
تخترق مجالهم الجوى ، وترفض الاستجابة لنداءاتهم ؟

او ما ( شالوم ) برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

- نعم .. إنهم يرسلون مقاتلاتهم لإجباره على الهبوط .

قال ( هانز ) :

- عظيم .. هل تعتقد أن ( أدهم ) هذا يستطيع عندئذ رفض  
الانصياع لأوامرهم ، فلا يهبط حيث يقودونه ؟  
عقد ( شالوم ) حاجبيه ، قائلاً :

( \* ) سوبر مان = شخصية ابتكرها ( جوشاستر ) و ( جيرى سيجال )

عام ١٩٣٧ م ، وهى لرجل جاء من كوكب آخر ( كريبتون ) ، واكتسب قوة  
خارقة على الأرض ، استخدمها لعمل الخير وتحقيق العدالة .

- لا يمكن التنبؤ ابداً بما سيفعله ( أدهم صبرى ) ، فى أى  
موقف .

قال ( هانز ) فى حدة :

- إنه لن يتصدى للمقاتلات السوفيتية بطائرة مدنية على

الأقل .

صمت ( شالوم ) لحظة ، قبل أن يجيب فى ببطء :

- لا .. لست أظنه يفعل هذا .

اندفع ( ثوردال ) يقول :

- وحتى لو فعل ، ونجح فى خداعهم ، وفر من مقاتلاتهم ،

سينتقلون مباشرة إلى الخطوة التالية .

أشار ( هال ) بسبابته ، قائلاً :

- صواريخ ( سام - ٩ ) (\*)

ضجكت ( أنجريد ) ، وقالت :

- لا تقل لنا : إنه سيفلت من الصواريخ أيضاً !

صمت ( شالوم ) تماماً ، واكتست ملامحه بقناع جامد ،

وتركهم يواصلون ضحكهم وسخريتهم بضع لحظات ، قبل أن

يقول فى صرامة :

- دعونا نفترض أنه سينجح فى الإفلات من كل هذا .

التفتوا إليه فى دهشة واستنكار ، فتابع فى حدة :

- هذا أفضل من أن نفغر أفواهنا ذهولاً وارتياحاً ، إذا

ما حدث هذا بالفعل .

( \* ) ( سام - ٩ ) = صواريخ دفاعية ( أرض - جو ) ، من ابتكار

السوفيت ، يمكنها إصابة أهدافها بدقة كبيرة ، ولقد استخدمنا أحد أجيالها

السابقة ( سام - ٦ ) ، فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ م ، وكانت مفاجأة مذهلة

للإسرائيليين .



انتقل الصمت إليهم جميعاً ، وتبادلوا نظرة تفيض بالقلق ،  
قبل أن تسأل ( أنجريد ) :

- ماذا لو فعل حقاً ؟

وهتف ( هال ) :

- هل سيعود لينتقم منا ؟

مط ( شالوم ) شفتيه ، وقال :

- كلاً ..

لست أظن براعته - مهما بلغت - تتيح له العودة  
إلى هنا .. إنها فقط قد تساعد في مراوغة السوفيت بعض  
الوقت ، قبل أن يقع في قبضتهم .

ثم انعقد حاجباه في شدة ، وهو يستطرد :

- وعندئذ يحين دور عميلكم .

بدا القلق عليهم ، وتمتم ( هانز ) في حذر :

- عميلنا ؟

أوما ( شالوم ) براسه في صرامة ، وهو يقول :

- نعم أيها السادة .. عميلكم السوفيتي .. عندما يصبح  
( أدهم ) في قبضته ، فعليه أن يتولى بنفسه عملية القضاء  
عليه .

ساد الصمت لثوان ، ثم ارتفع صوت ( هانز ) ، وهو يقول :

- ما لم ينسفه السوفيت مع طائرته أولاً .

هتف ( شالوم ) في حدة :

- كلاً .. ليس الطائرة .

ثم التقى حاجباه ثانية ، وهو يضيف :

- الطائرة تحمل الجزء الأكبر من خطتنا ، وأكثر ما يهمنى  
هو أن يعثر عليها السوفيت سليمة .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ذئب مفترس ، مع استطرادته :

- بهذا فقط يتحقق الهدف كاملاً .

وتطلع الجميع إلى ابتسامته المخيفة في قلق ، وقد انتابهم

في آن واحد شعور مقلق بالشفقة على ( أدهم صبرى ) ..

وعلى أنفسهم ..

\* \* \*

حاصرت المقاتلات السوفيتية طائرة ( أدهم ) من أربعة

اتجاهات ، وانبعث من جهاز اللاسلكى أمامه صوت خشن ،

يقول باللغة الإنجليزية :

- إننا نتحدث إليك بالإنجليزية ، في حالة عدم فهمك

للسوفية .. حذّر هويتك فوراً ، واتبعنا إلى حيث نقودك ، وإلا

فسنضطر لإطلاق صواريخنا عليك بلا تردد .

شعر ( أدهم ) بالحنق ، لأن جهاز اللاسلكى عاجز عن

الإرسال ، وحاول أن يلوح بيده لقائد إحدى الطائرات

السوفيتية ، إلا أن الظلام حال دون أن ينتبه السوفيت إلى

إشاراته ، فتحرك إلى حيث تقوده المقاتلات ، وهو يتمتم :

- يا للأوغاد ! .. لقد أفسدوا جهاز اللاسلكى عمداً ، حتى

يضعونى فى هذا المازق الحرج .

قالها ، وقبض على عجلة القيادة فى قوة يديه ، ثم راح

يحلّ جهاز اللاسلكى بيمينه ، فى محاولة لإصلاح الخلل فيه ،

وإبلاغ السوفيت بموقفه ..

ولم يكن هذا سهلاً ..

كانت الطائرات السوفيتية التى تحاصره تنحرف إلى اليمين ،



فى طريقها إلى أحد المطارات الحربية على الأرجح ، وهو مضطر  
للانصياع لها ، واللاسلكى مثبت بلوحة القيادة جيداً ..

ولكنه استجاب أخيراً ..

وفى سرعة ، جذب ( أدهم ) اللاسلكى خارجاً ، وبحث  
بأصابعه عن أسلاكه ، و ..

وفجأة ، تجمدت مشاعره كلها ، وانعقد حاجباه فى شدة ،  
وهو يحدق فى الأسلاك التى تتصل بمؤخرة جهاز اللاسلكى ،  
وفى ذلك الجسم الرائد فى قاع التجويف الخاص به ، فى لوحة  
القيادة ..

وفى هذه اللحظة فقط ، أدرك ( أدهم ) ما فعله به ( هانز )  
ورفاقه ..

فذلك الجهاز ، أمام عينيه مباشرة ، لم يكن ابداً أحد مكونات  
أى جهاز اتصال لاسلكى تقليدى ..

بل كان جهازاً خاصاً بالتجسس الجوى ..

جهاز تنحصر مهمته فى التصوير الليلى ، والتصنت على  
الإشارات والموجات العسكرية ..

ودون أن يفحصه ، كان ( أدهم ) واثقاً من أن الجهاز  
سيحوى حتماً عدداً من الأفلام ، لكل المناطق التى مرّت بها  
طائرته ، مع تسجيل لكل ما التقطته من إشارات ..

وبالنسبة للسوفيت ، كان هذا يكفى تماماً لاتهامه  
بالتجسس ..

وربما لإعدامه ..

وتصاعد فى أعماق ( أدهم ) مزيج من الغضب والحنق ،  
والثورة ..

وبدا عقله يدرس الموقف من اتجاه آخر ..

وبصورة جديدة تماماً ..

فى البداية ، وعندما أحاطت به المقاتلات السوفيتية ، كان  
يفكر فى محاولة إقناع السوفيت بحسن نواياه ، مستعيناً  
بالخلل الواضح فى البوصلة ..

وكان احتمال نجاحه فى هذا لا يتجاوز الثلاثين فى المائة ..

أما الآن ، فالاحتمال ينخفض إلى الصفر ..

وربما إلى ما هو أقل من هذا ..

وهذا يعنى أنه ، وعلى الرغم من المقاتلات التى تحاصره ،

لا ينبغي له أن يستسلم قط ..

ومهما كان الثمن ..

ولكن محاولة الفرار من هذا الحصار ، بطائرة مدنية

صغيرة ، يشبه السعى للأنقاذ المباشر ..

وفى أعماقه ، هناك ( أدهم ) :

- وما الفارق ؟ ..

وكان على حق فى متافه هذا ؛ فلو تبع المقاتلات إلى أى

مطار حربى ، سيتم إلقاء القبض عليه ، وفحص طائرته جيداً ،

طبقاً للإجراءات السوفيتية المعتادة ..

وسينكشف أمر جهاز الرصد والتجسس ..

هذا لو أنه الجهاز الوحيد ، الذى يخفى خلف لوحة

القيادة ..

والسوفيت لا يحاكمون الجواسيس طويلاً ..

وأحياناً لا يحاكمونهم إطلاقاً ..

فإما الإعدام فوراً ، أو الاعتقال مدى الحياة فى ( سيبيريا ) ..



وبالنسبة للعديدين ، يعدّ الحل الأول أكثر رحمة ..  
ومن هذا المنطلق ، اتخذ ( أدهم ) قراره بالمقاومة ..  
ووضعه موضع التنفيذ على الفور ..

وفي نفس اللحظة ، التي انحرف فيها سرب المقاتلات  
السوفيتي إلى اليمين ، استعداداً للهبوط في المطار الحربي ،  
انخفض ( أدهم ) بطائرته بغتة ، ثم أمال مقعدها إلى أسفل ،  
وتركها تهوى على نحو عشوائي ، كما فعل بطائرة التدريب ،  
في أثناء اختبارات ( هانز ) ..

وكانت مفاجأة حقيقية للمقاتلات السوفيتية التي هتف  
قائدتها في غضب :

- اللعنة ! .. إنه يحاول الفرار .

عدت المقاتلات اتجاهها ، وانطلقت خلف طائرة ( أدهم )  
الصغيرة ، التي واصلت هبوطها العشوائي لمسافة طويلة ،  
جعلت قائد السرب السوفيتي يغمغم في دهشة متوترة :

- ماذا يفعل هذا المجنون .. لو واصل الانحدار على هذا  
النحو ، سيرتطم بقمم الأشجار حتماً .

ولكن ( أدهم ) استعاد سيطرته على الطائرة بغتة ، على  
مسافة أمتار قليلة من قمم الأشجار ، وأعاد إليها توازنها ، ثم  
انطلق بمحاذاة الأرض ، وباقصى سرعة تمتلكها الطائرة ..  
وهتف أحد السوفيت مبهوراً :

- هذا الرجل بارع بحق .. أرايتم ما فعله ؟

انعقد حاجبا قائد السرب في غضب ، وقال في صرامة :

- كفّ عن الإعجاب به ، واستخدم صواريخك يا هذا .

انقسمت مقاتلات السرب إلى مجموعتين ، واصلت الأولى

طريقها إلى الأمام لتتجاوز طائرة ( أدهم ) ، ثم تدور  
لمواجهتها ، في حين انقضت عليه المجموعة الثانية ، وانطلقت  
ثلاث صواريخ نحوه في آن واحد ..

وفي حزم ، هتف ( أدهم ) وهو يميل بالطائرة إلى اليسار في  
غضب :

- ترى هي يمكنك الصمود ! ؟

جاءت انحرافته في اللحظة المناسبة تماماً ، فتجاوزه  
الصاروخ الأول ، وواصل طريقه لينفجر وسط المستنقعات ، في  
حين ارتطم الثاني بقمة إحدى الأشجار ، وانفجر على مسافة  
عشر أمتار فحسب ، فمال ( أدهم ) بسرعة إلى اليمين ،  
وانخفض جناح الطائرة على نحو مخيف ، ليتجاوزها  
الصاروخ الثالث بسرعة هائلة ، ويغوص في مياه المستنقع ،  
قبل أن ينفجر ..

وفي إحدى مقاتلات المجموعة الثانية ، هتف سوفيتي :

- رائع .. هذا الرجل رائع .. لقد تصرف ببراعة لا نظير لها ..  
انا لم أر شيئاً كهذا في حياتي قط .

قال زميل له في انبهار :

- ولكن لماذا لم يقفز بمظلة الهبوط ، ويتخلص من الطائرة  
كلها ! ؟ .. إنه يعلم أننا سنظفر بها حتماً .. لن يمكنه أبداً  
التفوق على سرب كامل من المقاتلات الحديثة !!

لم يكن الطيار السوفيتي يدرك أن ( أدهم ) ليس باستطاعته  
أبداً أن يتخلّى عن الطائرة ، ويقفز بمظلة الهبوط ..

هذا لأنه لم تكن هناك مظلة هبوط إطلاقاً ..

فتلك الحقيقية ، التي يفترض أن تحوى مظلة الهبوط



الاحتياطية ، لم تكن تضم سوى كومة من الخرق البالية ، التي لا تصلح حتى لهبوط فار صغير من طائرة ورقية ، على ارتفاع ستة أمتار عن الأرض ..

لقد أحسن الأوغاد تدبير خدعتهم بحق .. وعلى الرغم من براعة ( أدهم ) المدهشة ، التي بهرت الطيارين السوفيت ، إلا أنه لم يكد يتجاوز الصواريخ الثلاثة الأولى ، وينجو منها بمعجزة ، حتى فوجئ بمقاتلات المجموعة الأولى أمامه مباشرة ، وبصاروخين من صواريخها ينطلقان نحو طائرته ..

وانخفض ( أدهم ) بسرعة هذه المرة ، و ...

وارتطمت طائرته بقمم الأشجار ..

ومع هذا الارتطام ، تحطم الجناح الأيسر للطائرة ، فمالت إلى اليمين في عنف ، وارتطم ذيلها بجذع شجرة أخرى ، وتحطم بدوى مخيف ..

ثم وجد ( أدهم ) نفسه يهوى بين الأشجار ، التي ارتطمت بها الطائرة مرات ومرات ، في طريقها إلى الأرض بسرعة مخيفة ..

ولم يعد هناك مفر من السقوط هذه المرة ..

وبسرعة تفوق سرعة البرق ، تحرك عقل ( أدهم ) ، وأدرك أنه هالك لا محالة ، ف جذب حزام الطوارئ ، وهو يهتف :

- ليس بعد أيها الأوغاد .

وانتزع نفسه من مقعده ، وانطلق يعدو نحو باب الطائرة ، الذي تحطم تماماً .

وترك خلفه فجوة كبيرة ، والطائرة تواصل اندفاعها نحو الأرض .

ثم حدث الارتطام ..

ارتطم باطن الطائرة بالأرض الطينية في عنف ، ودارت حول نفسها على نحو مخيف ، وهى تنزلق نحو المستنقع ، وترطم بكل ما يعترض طريقها ، ومن خلفها تدوى ثلاثة انفجارات عنيفة ، قبل أن تتوقف عند حافة المستنقع ، وقد شملها صمت وسكون رهيبين ، لا يوحيان إلا بامر واحد .. أنه لم يعد بها أثر للحياة ..

أدنى أثر ..

وعبر جهاز اللاسلكى ، قال قائد السرب فى حزم :

- الطائرة المعتدية سقطت فى منطقة المستنقعات .. انتهت مهمة السرب ، وسيعود إلى القاعدة .

وعادت المجموعتان تتحدان فى سرب واحد ، انطلقا مبتعداً عن المكان بسرعة كبيرة ..

ومن موقعه ، راقب ( أدهم ) ابتعاد السرب فى اهتمام ..

كانت سرعة استجابته المدهشة قد أنقذت حياته هذه المرة أيضاً ، عندما وثب خارج الطائرة ، وتعلق بأحد أغصان الأشجار ، قبل ارتطام الطائرة بالأرض مباشرة ..

ولكنه كان يعلم أن هذا لا يعنى أبداً أنه قد نجا ..

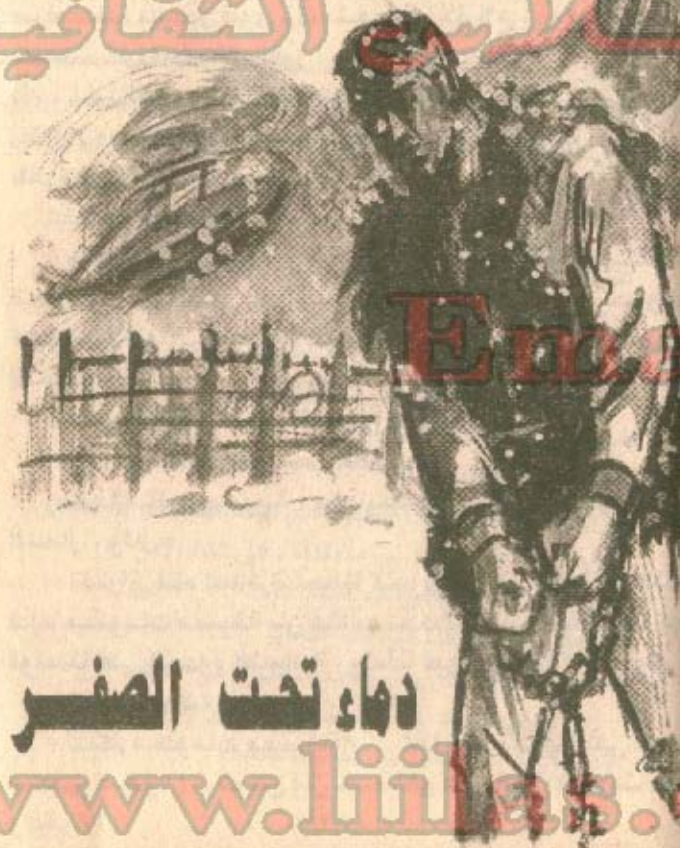
فالسوفيت لا يهدعون أبداً ، عندما يتسلل شخص ما عبر حدودهم ، أو يخترق مجالهم الجوى ..

وخاصة عندما يحصلون على أدلة تثبت أنه فعل هذا لأغراض التجسس ..



## القسم الثاني

الثقافية



دهاء تحت الصفر

www.liilas.com/vb3

ومما من قوة في الأرض ، يمكن أن تقنعهم بالتوقف عن  
البحث عنه ، قبل العثور عليه ، أو على جثته ..  
وهو يعلم أن الأوامر قد صدرت بالفعل حتمًا ، لإرسال فرقة  
للبحث عنه ، وعن حطام الطائرة ؛ فهذا هو الأمر الوحيد ، الذي  
يتحرك فيه السوفييت بالسرعة المطلوبة ..  
وتلك الأضواء التي يلمحها وسط الأشجار ، تشير إلى أن  
عملية البحث قد بدأت بالفعل ..

وهذا يعني أنه قد سقط بالقرب من منطقة عسكرية ..  
وأن القتال قد انتقل فقط من الجو إلى الأرض ..  
الأرض التي لا تحمل ذرة واحدة من الشفقة أو الرحمة ، مع  
أي تخيل ..  
الأرض السوفيتية .

\* \* \*

نهاية القسم الأول



اندفع ( يورى جلجانوف ) ، رجل المخابرات السوفيتى ، مع زميلته ( هيلجا مارونسكى ) ، نحو هليوكوبتر حربية ، تدور مراوحها بهدير قوى ، استعدادا للإقلاع ، ووثب الاثنان داخلها ، فارتفعت على الفور ، و ( هيلجا ) تسال :

- لماذا تفترض أن قلبك الطائرة ، التى سقطت بالقرب من ( تالين ) ، طائرة تجسس يا ( يورى ) .. لماذا لا تكون مجرد طائرة تجارية ضلّت طريقها إلى هناك ؟

ابتسم ( جلجانوف ) فى سخرية ، وهو يقول :

- وهل تتصورين أن طائرة التجسس ستخترق مجالنا الجوى ، وهى تحمل على جانبها كلمة ( تجسس ) بحروف كبيرة ، أم أنهم سيضعون على نوافذها الامامية منظارا اسود للتعمية ؟ !

انعقد حاجباها ، وهى تقول فى غضب :

- لا داعى للسخرية .. اجب فحسب .

رمقها بنظرة جانبية ، والهليوكوبتر تشق طريقها نحو الشمال ، وقال :

- اخترق هذه الطائرة لمجالنا الجوى لم يكن مباحا .. كانت لدينا معلومات مسبقة بأن هذا سيحدث ، حتى أننا نبهنا كل قواعدها على الحدود الشمالية ، وأعلننا فيها الطوارئ القصوى . هتفت فى دهشة :

- لديكم معلومات مسبقة ؟ .. لماذا تتحدث وكأننى لست اسمى إليكم ؟ .. ثم من أين حصلتم على هذه المعلومات ؟ وكيف ؟

ابتسم فى خبث مزهو ، وغمغم :

- لدى مصادرى .

ثم استطرد بسرعة ، قبل أن يمنحها فرصة للتعليق :

- المهم أننا كنا نتوقع ظهور طائرة تجسس ، الليلة بالتحديد ، ولهذا طلبت إعداد الهليوكوبتر ، وأمرت قائدها بأن يتأهب للإقلاع فى أية لحظة .

أدركت من أسلوبه أنها لن تحصل على الكثير ، فانعقد حاجباها الكئيب فى غضب ، وتراجعت فى مقعدها ، ولانت بالصمت بضع لحظات ، ثم لم يلبث فضولها الانتثوى أن غلب غضبها ، فسالت فى اهتمام :

- أهى طائرة تجسس أمريكية ؟

هز رأسه نفيا ، قبل أن يجيب فى اقتضاب صارم :

- بل مصرية .

أدهشها الجواب بشدة ، فاعتدلت بحركة حادة ، هاتفة :

- مصرية ؟ .. ومنذ متى يفعل المصريون هذا ؟

أجاب فى صرامة :

- لكل شيء بداية .

هزت رأسها فى قوة ؛ لتعلن عدم اقتناعها ، قبل أن تقول :

- هناك شيء لا يبدو لى منطقيا ، فى هذا الأمر .

قال ( جلجانوف ) فى صرامة أكثر :

- معلوماتنا مؤكدة فى هذا الشأن .

مطّنت شفيتها ، دون أن تجيب ، فتابع فى حزم :

- إننا حتى نعرف اسم الجاسوس الذى يقود الطائرة .

جذب قوله اهتمامها فى شدة ، فسالت :



- من هو ؟

التقط نفساً عميقاً ، ورمقها بنظرة جانبية ، قبل أن يجيب :  
( أدهم صبرى )

التقى حاجباها الكثان فى شدة ، وهى تقول فى دهشة عارمة :  
( أدهم صبرى ) ؟ ! .. اتقصد ذلك الرجل ، الذى ...  
قاطعها فى حزم :

- نعم .. أقصد ذلك الرجل ، الذى يثير جنون رؤسائنا ،  
والذى لم يشتبك معه جهازٌ مخبرات ، فى معركة ما ، إلا وانهمز  
أمامه ، كما لو أنه يواجه جيشاً جراراً .. إنه نفس الرجل  
يا عزيزتى ( هيلجا ) .. ( أدهم صبرى ) .

بدا مزيج من الدهشة والانبهار على وجهها ، قبل أن تقول :  
( أدهم صبرى ) يقود طائرة تجسس ؟ ! .. عجباً ! .. ولماذا  
يقدم رجل فذٌ مثله على عمل تقليدى كهذا .  
مطٌ شفتيه ، وهز كتفيه ، قائلاً :  
- ربما كانت للمصريين أسبابهم .  
ثم استطرد فى صرامة :

- ولكننا سنلقتهم درساً قاسياً ، لا ينسونه أبداً ، ونكبدهم  
خسارة فادحة ، عندما نسحق رجلهم المفضل على أرضنا .  
قالت فى توتر :

- لو أن خصمنا هو بالفعل ( أدهم صبرى ) ، فلن يكون من  
السهل أبداً أن نظفر به ، فما بالك بسحقه !!  
هتف فى حدة :

- لقد سقطت طائرته فى منطقة المستنقعات على أرضنا .  
أجابته فى صرامة :

١٣٨

- ولو .. مادرسناه عن ( أدهم صبرى ) هذا يؤكد أنه قادر  
على القتال كالليث ، أيا كان موقعه ، ومهما اختلفت طبيعة  
أرض الصراع .

زمجر ( جلجانوف ) ، قائلاً :

- إلا الأرض السوفيتية .. إنها تلتهم كل من يقترب منها ..  
الا تعرفين ما الذى فعلته فى ( بونابرت ) و ( هتلر ) ؟ ! .. ثم  
إننا قد اتخذنا كل الإجراءات اللازمة للسيطرة على الموقف ، فور  
سقوط الطائرة ، فحاصرنا المنطقة كلها بثلاث فرق من الجنود ،  
وفرقة من الكوماندوز ، وسنحول المستنقعات كلها إلى شعلة من  
الضوء ..

وارتسمت على شفتيه ابتسامة وحشية شرسة ، قبل أن  
يستطرد :

- لقد انتهى أمر ( أدهم صبرى ) هذه المرة .. انتهى كما  
انتهى أمر كل الغزاة السابقين ، الذين سالت دماؤهم على  
الثلوج .

والتقط نفساً عميقاً ، قبل أن يضيف :

- الثلوج السوفيتية .

واقسعت ابتسامته أكثر ..

\* \* \*

( \* ) على الرغم من انتصاراته الساحقة ، لم ينجح ( نابليون بونابرت )  
فى احتلال ( روسيا ) ، بسبب الطقس الشديد البرودة ، الذى لم يعتده  
جنوده ، فاضطر للانسحاب منها ، فى مشهد مأسوى ، نقلته إلينا الروايات  
الأدبية باقتدار ، أما ( أدولف هتلر ) فقد بدا جيشه النازى مرحلة النهاية ،  
بعد هزيمته على مشارف ( موسكو ) ، واضطراره للانسحاب أيضاً ، بسبب  
البرودة القارصة ، مما دعا بعض المؤرخين إلى القول بأن التلوج هى نوع  
( روسيا ) الحقيقى .



شعر ( أدهم ) بهدشة حقيقية ، عندما لمخ أضواء مصابيح الجنود السوفيت ، وهى تقترب منه ، على الرغم من أنه لم تمض دقائق بعد على سقوط طائرته ، وغمغم فى شىء من السخرية العصبية :

- عجباً ! .. وكأنما كانوا ينتظرون قدومى على آخر من الجمر .

كانت الأضواء تنبعث من كل جانب ، على نحو يوحي بأنهم يحاصرونه بخطة محكمة ، تم وضعها والاستعداد لها من قبل ، وعلى الرغم من هذا ، فلم يسمح للخوف أو الغضب بالسيطرة على أعصابه ، وهو يفكر فى سرعة ، بحثاً عن وسيلة للخروج من هذا المازق الحرج ..

وفى خفة ، قفز من الغصن الذى يتعلّق به إلى الأرض ، ونهذه يرتب الأمور على نحو منطقي .. وكان هدفه الأول هو الطائرة ..

فالبشء الوحيد الذى سيثير جنون السوفيت حتماً ، هو وجود أجهزة الرصد والتجسس داخل الطائرة ، وسيدفعهم هذا إلى الاستماتة فى مطارده ، وسيجبرهم على مواصلة البحث عنه دون توقف ، مهما كانت الأسباب ..

لذا ، فالخطوة المنطقية الأولى هى التخلص من دليل الإداة .. من الطائرة ..

وفى سرعة ، اتجه نحو الحطام ، وانزع غطاء خزان الوقود ، وتمتم :

- وداعاً أيتها الطائرة الجديدة ..

وبضربة سريعة مدروسة ، أصاب جسم الخزان بالغطاء المعدنى ، فانبعثت شرارة صغيرة ، و .. واشتعل الوقود ..

وبكل سرعته ، انطلق ( أدهم ) يعدو مبتعداً ..

ومن خلفه ، دوى الانفجار ..

ومع موجة التضاضط العنيفة ، التى ولّدها الانفجار ، اندفع جسد ( أدهم ) إلى الأمام ، وسقط على وجهه فوق الجليد ، الذى يغطى مساحات واسعة من الأرض المحيطة بالمستنقعات ، وزحف جسده متر أو أقل قليلاً ، قبل أن يتوقف ، وينهض واقفاً على قدميه ، ويتطّلع إلى الطائرة ، التى اشتعلت فيها النيران .. وكان له هدف مزدوج من فعل هذا ..

أولاً : سيتخلّص إلى حد ما من دليل إدانته ، الذى يكمن فى أجهزة التجسس ، المخفاة خلف لوحة قيادة الطائرة ..

وثانياً : سيضع فى رموس مطارديه احتمالاً ، ولو ضئيلاً ، بأنه قد لقى مصرعه مع هذا الانفجار ، فتخلو عملية البحث عنه من الحماس الشديد على الأقل ..

وهكذا لا يتبقى أمامه سوى سؤال واحد ..

أين يمكن أن يختبئ ؟ ..

كانت الأضواء تقترب أكثر وأكثر ، من البقعة التى اندلعت فيها نيران الطائرة المحترقة ، وعيناه تدوران فيما حوله ، بحثاً عن مكان يصلح للاختباء ..

وكان هذا أمراً محيراً بحق ..

فالمكان كله عبارة عن أرض طينية ، غطى الجليد معظم أجزائها ، وتناثرت فيها أشجار عالية ، على نحو عشوائى ،



تفصل بين كل منها والآخرى مساحة واضحة ، لا تصلح للاختباء ، كما أن جذوعها ليست بالضخامة الكافية لإخفائه ..  
أما المستنقع القريب ، وهو واحد من عدد كبير من المستنقعات ، تنتشر في المنطقة ، فقد غطت قطع الجليد أجزاء كبيرة من سطحه ، ولم تترك سوى بقع صغيرة ، لا تكفى للغوص ..

وحتى لو أنها تكفى ، فمن يمكنه احتمال مياه بلغت درجة برودتها هذا الحد ١٩ ..

وكان المازق شديداً بالفعل ..

والحصار يضيق أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ومن بعيد ، بدأت أصوات الجنود تتناهى إلى مسامعه ، وهم يتحدثون بالروسية ، وضباطهم يلقون أوامره في صرامة ، ويطالبونهم ببذل قصارى جهدهم ، لإلقاء القبض على الجاسوس ، الذى أسقطت طائرته ، ويهددونهم بالويل والثبور وعظائم الأمور ، لو أنهم فشلوا في هذا ..

ويعد دراسة سريعة ، لم يجد ( أدهم ) أمامه سوى سبيل واحد ..

وفي سرعة وخفة ، راح يتسلق إحدى الأشجار العالية ، حتى بلغ قممتها ، فاخفى بين أغصانها المتشابكة ، وكنم أنفاسه ، وجلس ينتظر ..

ولم تمض دقيقة واحدة ، حتى ظهر الجنود السوفيت ..

ومنذ اللحظة الأولى ، أدرك ( أدهم ) أن الخروج من هذا المازق لن يكون سهلاً أبداً ..

فعدد الجنود كان أضخم مما توقع بكثير ، حتى أنهم يضيقون دائرة الحصار في بطن ، وعلى نحو أشبه بسوار محكم ، بحيث لا يمكنه أن يهاجم أحدهم ، دون أن يلحظه اثنان آخران على الأقل ..

ثم إنهم لا يتحركون جميعاً في اتجاه مركز دائرة الحصار . لقد رتبهم قادتهم في حلقات متتالية ، يقل نصف قطر كل واحدة عن سابقتها ، بحيث يكون الخروج من الدائرة عملاً أشبه بالمستحيل ..

بل هو المستحيل ذاته ! ..

ولم يكن أمام ( أدهم ) ، والحال هكذا ، سوى أن يقبع في مكانه ..

وينتظر ..

ومن مكانه ، رأى الضباط والجنود يقتربون من الحطام المشتعل ، وسمع أحد الضباط يأمر الجنود بإطفاء النيران ، فأسرع فريق منهم إلى المكان ، حاملين أسطوانات إطفاء محدودة ، وكانهم استعدوا لهذا الموقف بالذات ، وراحوا يطفئون النيران في سرعة ومهارة ، حتى خمدت تماماً ، والضابط يقول بصرامته السوفيتية التقليدية :

- (أسرعوا .. لا بد أن ننتقذ ما يمكن إنقاذه ، طبقاً للأوامر ، فالمعلومات تؤكد أنها طائرة تجسس .. أسرعوا ..

انعقد حاجباً ( أدهم ) في شدة ، وهو يستمع إلى العبارة الأخيرة ..

الأخيرة ..



إن قد كانت هناك معلومات مسبقة عن وصول طائرة  
تجسس ! ..

باللأوغاد ! ..

الأمر كله كان خدعة مدبرة إذن ! ..

حديث ( هانز ) ، والعرض السخي ، وعملية تهريب  
الأسلحة ، وتغيير البوصلة ، والطائرة الجديدة ..  
كل شيء ..

وهو سقط في الفخ كالغز السانج ..

على الرغم من حذره ، وخبرته ، ومهارته ، لم يستطع تصور  
الموقف كما ينبغي ..

وما هو ذا في موقف لا يحسد عليه أبدًا ..

وفي أرض قد لا يكتب له الخروج منها قط ..

وفي أعماقه ، تولد غضب هادر ..

غضب جعله يقسم أن يدفع ( هانز ) ورفاقه ، من أقرا  
الشبكة الاسكندنافية ، الثمن غالياً ، لو استطاع العودة إليهم ..  
ولكن هذه العودة بدت له ، في تلك اللحظة بالذات ، أمراً  
عسيراً بعيد المنال ..

وإلى أقصى حد ..

لقد انتهى السوفيت من إطفاء النيران ، وبدأ الضباط  
ينظمون صفوف جنودهم ، لمواصلة عملية البحث عنه ،  
وتضييق الحصار أكثر وأكثر ..

وبنظرة سريعة ، قدر ( أدوم ) عدد الجنود المشاركين في  
الحصار بأكثر من فرقتين كاملتين ، ولمح بينهم عدداً من جنود  
الكوماندوز السوفيت ، الذين تم تدريبهم بحيث تنتزع الرحمة

من قلوبهم ، وتحل محلها شراسة وحشية ، وقوة مدهشة على  
تحمل الألم ، بالإضافة إلى مهارات ممتازة في أساليب القتال  
اليديوي ، وفي استخدام مختلف أنواع الأسلحة ..

باختصار .. كان هناك جيش سوفيتي صغير يحاصره من  
كل الجوانب ..

وفي اهتمام ، تعلقت عيناه بضابط شاب ، انهمك في توجيه  
بعض الأوامر ، لعدد من الجنود الذين التقوا حوله في حلقة  
محدودة ، ثم لم يلبثوا أن تفرقوا ، وقد أمسك كل منهم مسدساً  
من نوع خاص ، رفع فوهته إلى السماء ، ثم أطلقه بدوى مكتوم ..  
وإدرك ( أدوم ) بسرعة طبيعة القذائف ، التي أطلقتها تلك  
المسدسات ، فترجع بحركة حادة ، ليختفي بين الأغصان ، في  
نفس اللحظة التي بوب فيها عدة فرقعات في السماء ، من جراء  
تلك القذائف ، قبل أن ينبعث منها ضوء مبهر ، أحال ظلمة الليل  
إلى نهار مشرق ..

وفي بطنه ، راحت قذائف الضوء المبهر تهبط ، بوساطة  
مظلات صغيرة ، لتضيء المكان لأطول وقت ممكن ..  
وضاقت الحلقة أكثر وأكثر ..

وشعر ( أدوم ) أن فرصته في النجاة تنخفض ، وتنخفض ،  
وتنخفض ، مع كل خطوة جديدة يقدم عليها السوفيت ، وتعلق  
بصره بعدد من الجنود ، الذين وصلوا إلى المكان ، على متن  
دراجات آلية خاصة ، مجهزة بزخافات إضافية للجلد ، وقفزت  
إلى ذهنه فكرة مجنونة ..

والعجيب أنها كانت ، وعلى الرغم من جنونها ، منطقية  
للغاية ..



لقد سال نفسه : لماذا ينتظر ؟ !

ربما لا يلمحونه الآن ، ولكن هذا سيحدث إن عاجلاً أو آجلاً ..  
إنه يعرف السوفيت جيداً ..

صحيح أنهم عصبيون متزمتون ..  
ولكنهم ليسوا أغبياء ..

ليسوا كذلك أبداً ..

إنهم سيدركون - وبسرعة - أنه لم يلق حتفه داخل الطائرة ،  
وأنه ليس في مكان ما حولهم ، وسيضطعون حتماً إلى الأشجار ..  
وسيجثون عنه هناك ..

وسيكون عندئذ قد فقد - بالفعل - أى أمل فى النجاة ..  
إن فلان مبرر للانتظار ..

ولا للبقاء ..

وكعادة (أدهم) ، لم تكد الفكرة تستقر فى رأسه ، وتصادف  
هوى فى نفسه ، حتى وضعها على الفور موضع التنفيذ ..  
ودون أن يضيع ثانية واحدة إضافية ..  
وقفز ..

كان الجنود السوفيت منهمكين فى البحث عنه بين الأشجار  
عندما فوجئوا به ينقض على رؤوسهم من أعلاها كالصاعقة ..  
وفى نفس الثانية ، التى انقضت فيها ، حطمت قبضته فك  
أجدهم ، وركلت قدمه اليمنى سلاح الثانى ، فى حين قفزت  
اليمنى لتفوق فى معدة الثالث ..  
وصرخ أحد الضباط :

- ها هو ذا .

ومع صرخته ، ارتفعت فوهات المدافع الآلية نحو (أدهم)  
فى سرعة ..

وانطلقت النيران ..

وبطبيعته الفطرية ، يكره (أدهم) فى المعتاد القتل  
والتدمير ، ولا يعمل إلى اللجوء إليهما إلا مضطراً ، ولكن فى  
هذا الموقف بالذات لم يكن لديه خيار ..

لقد كانت معادلة بسيطة للغاية ..

إما هم أو هو ..

ولم يكن الاختيار عسيراً ..

وبسرعة تفوق سرعتهم مجتمعين ، اختطف (أدهم) المدفع  
الآلى ، الخاص بأحد الجنود الثلاثة ، الذين اشتبك معهم منذ  
لحظة واحدة ، ثملقى نفسه أرضاً ، وراح يطلق النار بدوره ..

ومع اللحظة الأولى ، أدرك السوفيت أى خصم يواجهون ..  
لقد أصابت كل رصاصة انطلقت من المدفع هدفها بالضبط ،  
وكانما كانت معنونة باسمه ، وتساقط الجنود كالذباب ، وهم  
يصرخون ويتأوهون ، على الرغم من أن أحدهم لم يصب فى  
مقتل ..

وقبل أن ينمحي أثر مفاجأة القتال الأول ، قفز (أدهم) واقفاً  
على قدميه ، وانطلق يعدو نحو أحد الجنود ، راكبي الدراجات  
الآلية ذات الزلاجات ، ووثب بركلة فى وجهه ، ويلقيه عن متن  
دراجته ، وهو يقول :

- معذرة يا هذا ، ولكننى مضطر لاستعارتها .

وفى غضب هادر ، هتف ضابط سوفيتى :

- أوقفوه .. لا تسمحوا له بالقرار .

ادار (أدهم) محرك الدراجة ، وهو يستدير إلى حيث يقف  
نلك الضابط ، ويطلق نيران المدفع الآلى فوق الرؤوس فى غزارة ،



فانبطح الجميع أرضاً لتفادى رصاصاته ، وخاصة بعدما راوا من براعته المدهشة فى إصابة أهدافه ..

وفى نفس اللحظة ، التى انخفضت فيها وعوسهم ، انطلق هو بالدراجة الآلية ..

واحتقن وجه الضابط السوفيتى ، ونهض يصرخ فى ثورة ، وهو يشير إليه :

- أطلقوا النار .. لا أريده حياً .

انطلقت رصاصات الجنود خلف الدراجة الآلية فى غزارة ، وشعر ( أدهم ) ببعضها يرتطم بجسمها ، وبرصاصة تغوص فى ساقه اليسرى ، إلا أن هذا لم يوقفه لحظة واحدة ، وإنما

واصل انطلاقه بين الأشجار بسرعة كبيرة ، وهو يتفادها ، ويدور حولها بمهارة مدهشة ..

وفى ثورة ، صرخ ضابط آخر :

- لا يمكن أن تسمحوا له بالفرار .. أين رجال الكوماندوز ؟ ولم تكن هناك حاجة فعلية لصرخته هذه ..

ففى نفس اللحظة التى انطلق فيها ( أدهم ) بالدراجة الآلية بين الأشجار ، انطلق رجال الكوماندوز الستة من راكبي الدراجات خلفه ..

وكانت مطاردة رهيبة ، بين الأشجار العالية ، وفوق الجليد السوفيتى ..

مطاردة بين محترفين ..

وانطلقت وصاصات رجال الكوماندوز السوفيت الستة نحو دراجة ( أدهم ) الذى انطلق بها بأقصى سرعتها ، على الرغم

من صعوبة المكان ، وانتشار الأشجار به على نحو عشوائى ..

ولأنه لم يكن ينطلق ابداً فى خط مستقيم ، فقد أخطاته كل الرصاصات تقريباً ، وخاصة عندما يدور حول جذع شجرة ، أو

ينطلق بزاوية حرجة بين جذعين آخرين ..

كان يثبت مهارة مدهشة فى القيادة ، وقدرة فذة على التحكم فى مساره واتزانه ، على الرغم من أنه لم يقدر مثل هذه

الدراجات الآلية الجليدية من قبل إلا نادراً ، ومن أن مطارديه تلقوا تدريبات طويلة ومكثفة عليها ، قبل أن يلتحقوا بالعمل

كرجال كوماندوز محترفين ..

ولأن الانطلاق بهذه السرعة ، وفى مكان كهذا ، كان أمراً شديداً الصعوبة بالفعل ، فقد فشل أحد رجال الكوماندوز الستة

فى تفادى جذع شجرة ما بالسرعة المناسبة ، فارتطم به فى عنف ، وطار عن متن دراجته الآلية لثلاثة أمتار ، قبل أن يسقط

فوق الجليد ، ويندفع جسده فوقه لثلاثة أمتار أخرى ، ثم يرتطم رأسه بجذع شجرة ثانية ..

أما الخمسة الآخرون ، فقد واصلوا المطاردة ، وهم يطلقون نيران مدافعهم نحو ( أدهم ) ، فى محاولة مستميتة لاصطياده ..

ثم لاح ذلك المستنقع بقعة ..

كان يعترض طريق ( أدهم ) ، على مسافة تقل عن عشرة أمتار ، ويمتد لمساحة واسعة ، وقد تناثرت على سطحه كتل

الجليد السميك ، وختل أجزاء أخرى منها ، فبدت منها مياه القذرة ، على الضوء الباهت ، القادم من بعيد ، من المصابيح

الصناعية فى السماء ، والتى بدأ ضوءها يخبو تدريجياً ، وهى تواصل هبوطها بالمظلات الصغيرة ..

ولم يكن هناك مجال للتوقف ، فالتوقف معناه أن تصيبه



رصاصات مطارديه الشرسة ، وأن يصبح هدفاً سهلاً لمهارتهم  
فى التصوير على الأجسام الثابتة ..

وهو يعلم أنه من المستحيل أن يخطئ مثلهم إصابة هدف  
مثله ، عندما يتوقف بغتة ، أو يستدير لمواجهة ..

وهذا يعنى أنه ليس أمامه سوى الاستمرار ..  
وفوق قطع غير مترابطة من الكتل الجليدية ..

ولأنه اتخذ قراره بسرعة البرق ، فإن ( أدهم ) لم يتوقف  
لحظة واحدة ، وإنما زاد من سرعة دراجته نسيباً ، وقفز بها من

الأرض المغطاة بالجليد ، إلى الكتل الصلبة على سطح  
المستنقع ..

وكان المشهد مبهرًا بحق ..

لقد انطلقت الدراجة تثب من كتلة جليدية إلى أخرى ، فى

ليونة مذهشة ، كما لو كانت حجراً أملس ، القاه أحدهم أفقياً  
فى براعة ، فوق سطح الماء ، من زاوية حادة ، فراح يتقاذف فوقه

فى اندفاعه إلى الأمام ..

ولأن المشهد كان مبهرًا للغاية ، فقد اتسعت عينا الاثنين من

رجال الكوماندوز ، وضغطا فرامل دراجتيهما بحركة غريزية ،  
قبل أن يبلغا المستنقع ، فتوقفت الدراجتان بغتة ، وانزلتا على

الجليد بفعل القصور الذاتى ، ثم انقلبتا براكبيهما فى عنف ..

أما الدراجات الثلاث الأخرى ، فقد انطلق بها راكبوها فوق  
الكتل الجليدية ، وقد وقر فى نفوسهم أنه مادام ( أدهم ) قد

فعلها ، فهم قادرون أيضاً على فعلها ..

والواقع أن الاثنين منهم نجحا فى هذا بالفعل  
وبنفس مهارة ( أدهم ) تقريباً ..

أما الثالث ، فقد أخطأ مساره مرة واحدة ، بفعل السرعة  
التي ينطلق بها ، وبدلاً من أن تثب دراجته الآلية إلى الكتلة  
الجليدية التالية ، سقطت فى مياه المستنقع المثلجة ، وغاصت  
فيها كالحجر ..

وهكذا عبر ( أدهم ) المستنقع ، وقد انخفض عدد مطارديه  
من ستة إلى اثنين فحسب ..

ولكن المطاردة لم تتوقف بعد ..

وفى حزم ، ضغط أحد المطارين زر جهاز الاتصال ، المثبت  
فى دراجته الآلية ، وقال :

- مازالت المطاردة مستمرة .. فقدنا ثلثى الفريق حتى هذه  
اللحظة .. الهدف يتجه نحو البقعة ( ٧ - د ) ، على متن واحدة

من دراجاتنا البخارية .. استعدوا لملاقاته ..

لم يستقبل جهاز الاتصال فى دراجة ( أدهم ) هذه الرسالة ؛  
لأن السوفيتى استخدم موجة اتصال خاصة ، استقبلها فريق

من الكوماندوز ، عند البقعة ( ٧ - د ) ، فتأهبوا لاعتراض طريق  
( أدهم ) ، واستقبلها أيضاً جهاز اللاسلكى فى الهليكوبتر ،

فانعقد حاجبا ( جلجانوف ) فى شدة ، فى حين هتفت ( هيلجا )  
فى دهشة :

- المطاردة مستمرة ١٩ .. إذن فقد نجا ( أدهم صبرى ) من  
الحصار الأول بالفعل !

لم يجب ( جلجانوف ) ، وارتسم على ملامحه مزيج من  
الغضب والنقمة ، وهو يرتك على كتف الطيار ، قائلاً :

- انطلق إلى البقعة ( ٧ - د ) مباشرة .

أطاعه الطيار دون مناقشة ، و ( هيلجا ) تقول فى شيء من  
الشماتة :



- لقد فقدوا ثلثي فريق المطاردة .  
التفت إليها ( جلجانوف ) بحركة حادة ، قائلاً في غضب :  
- إلى أي فريق تنتمين يا ( هيلجا ) ؟  
أجابته بسرعة :

- إلى فريقنا بالطبع يا ( يوري ) ، ولكنني لا أستطيع إخفاء دهشتي لبراعة ذلك الرجل .  
لوح ( جلجانوف ) بذراعه كلها في حدة ، هاتفاً :  
- هراء .. ليست مسألة براعة .. إنه محظوظ فحسب .  
كادت تنفجر ضاحكة في سخرية ، ولكنها تماسكت في اللحظة الأخيرة ، وسيطرت على انفعالها تماماً ، وهي تقول :  
- محظوظ ؟ .. هل تعتقد أن الرجل الذي ينجح في الفرار من حصار حلقى ، هو مجرد رجل محظوظ ؟  
قال في عصبية :  
- سترين .

كان ينتقم عليها بشدة ، لأنها جرأت على البوح بما يمزق كرامته بالفعل ؛ فهو يدرك مثلها أن ما فعله ( أدهم ) ، حتى هذه اللحظة ، يشف بالفعل عن براعة حقيقية ، وجراحة ومهارة مذهبتين ، ولكنه كان يأمل أن تخذله مهارته وبراعته ، عندما يفاجئه الرجال ، عند البقعة ( ٧ - د ) ..

وعندما تجاوزت الهليوكوبتر قمع مجموعة من الأشجار ، لاحظ لها مساحة خالية كبيرة ، يشقها الطريق الوحيد الصالح لسير الدراجات الآلية ، وبدت لهم فرقة الكوماندوز من بعيد ، وهي تعترضه بسيارة نصف مصفحة ، ودسته من الجنود بالمدافع الآلية ، عند البقعة ( ٧ - د ) ..

ومن الناحية المضادة ، اتضحت لهم دراجة ( أدهم ) ، وهي تنطلق نحو البقعة ذاتها بسرعة كبيرة ، وخلفها الدراجتان المطاردتان ..

وفي لهفة حقيقية ، هتفت ( هيلجا ) :  
- ها هو ذا !  
رمقها ( جلجانوف ) بنظرة غاضبة ، وقال محتداً :  
- لست أدري لماذا يلوح لي أحياناً ، أيتها النقيب ( مارونسكي ) ، أنك شديدة الإعجاب بهذا الرجل .  
كان يتوقع منها أن تفكر هذا أو تستنكره ، أو تهب للدفاع عن نفسها ، ودفع هذه التهمة عنها ، إلا أنه فوجئ بها تجيب في لهجة جافة ، تحمل نبرة تحد :  
- بالتأكيد .. أنا معجبة به للغاية .  
هتف بدهشة غاضبة :  
- إنه عدونا .

هرت كتفيتها ، قائلة :  
- ومن قال : إنه من الضروري ألا تعجب بخصمك ؟ .. قاتله بكل قوتك ، ولكن اعترف له بالمهارة والبراعة .. هذا أسلوبى .  
قال في حدة غاضبة :  
- هكذا .

ثم مطأ شفتيه بشدة ، مستطرداً :  
- فليكن أيتها النقيب ( مارونسكي ) .. سنناقش هذا عند عودتنا إلى القاعدة .  
وصرخ مضيئاً :  
- وبصفة رسمية .



بدأ انهمار الثلوج فى التاسعة والنصف تقريباً ، عندما وصل العقيد ( فيدور كوزيريف ) إلى مكتبه ، فى إدارة مكافحة التجسس ، فى المخابرات السوفيتية ، ولقد وقف إلى جوار نافذة حجرته ، يتطلع إلى الجليد المنهمر بضع لحظات ، قبل أن ينادى سكرتيه ، ويسأله فى اهتمام :

- هل من اخبار ، بشأن طائرة التجسس ، التى سقطت فى ( تالين ) ؟

لوح سكرتيه بأخر التقارير الواردة ، وهو يجيب :  
- الطائرة انفجرت ، واشتعلت فيها النيران ، ولكن رجالنا نجحوا فى إطفائها ، والخبراء فى طريقهم لفحصها الآن .  
سأله ( كوزيريف ) فى توتر :

- وماذا عن الجاسوس ؟  
مطأ السكرتير شفتيه ، وتردد لحظة ، قبل أن يجيب :  
- لقد نجح فى الخروج من الحصار .  
التفت إليه ( كوزيريف ) فى حركة حادة للغاية ، وهو يهتف :  
- نجح ؟

تراجع السكرتير فى سرعة ، وكأنما ارتطم به الهاتف ، وقال :  
- ولكن رجال الكوماندوز يطاردونه ، وبعضهم يعترض طريقه ، عند البقعة ( ٧ - د ) .  
التقى حاجبا ( كوزيريف ) وهو يقول فى عصبية :  
- وكيف يطاردونه ؟  
أجابه السكرتير :

هزت كتفها مرة أخرى فى لا مبالاة ، وأشاحت بوجهها عنه ، فكلَّم غيظه لحظات فى صعوبة ، ثم لم يلبث أن التقط بوق جهاز اللاسلكى ، وأقرغه عبره ، وهو يقول فى حدة :  
- هنا الرائد ( جليانوف ) ، من المخابرات السوفيتية ..  
لاتوجد أوامر بإلقاء القبض على الجاسوس حياً .. أطلقوا النار فور رؤيته .

نطقها وهو يرمق ( هيلجا ) بنظرة شامخة متشفية ، وكأنما يقصدها وحدها بهذا الأمر المباشر ، ولكن فريق الكوماندوز عند البقعة ( ٧ - د ) استقبل الأمر على نحو رسمى تماماً ، فاستعد الجميع بمدافعهم الآلية ، وصوبوها إلى الطريق ، و ..  
ولاحث دراجة ( أدهم ) الآلية ، وهى تنطلق نحوهم بسرعة مذهلة ..

وجذب الرجال أذندة مدافعهم فى أن واحد ..  
وانطلقت الرصاصات بدوى هائل ..  
وسالت الدماء فى غزارة ..  
على الجليد السوفيتى .

\* \* \*





- بدراجاتهم الآلية .

قال ( كوزيريف ) فى حدة :

- وكيف يفشل رجال الكوماندوز ، بكل مهاراتهم وتدريباتهم ، وعلى متن دراجاتهم الجليدية الآلية ، فى اللحاق برجل واحد ، مهما بلغت سرعة ركضه على الجليد ؟ !

- ننحسج سكرتيره فى حرج ، وهو يجيب :  
- معذرة ايها الرفيق العقيد ، ولكن الجاسوس لا يركض على الجليد .. لقد استولى على إحدى الدراجات الآلية ، و ...

قاطعه ( كوزيريف ) بصرخة هادرة :

- استولى على ماذا ؟ !

تراجع السكرتير أكثر وأكثر ، وأجاب مضطرباً :

- على دراجة بخارية ايها الرفيق العقيد .. ليست لدى أية تفاصيل عن الوسيلة ، التى فعل بها هذا ، ولكنهم يطاردونه فى إلحاح .

اظن الغضب من كل خلجة من خلجات ( كوزيريف ) ، وهو يشد قامته ، ويسال فى حدة :

- وكم تبقى منهم ؟

بدت الدهشة على وجه السكرتير ، وهو يغمغم :

- ماذا تقول يا سيدي ؟

صاح به ( كوزيريف ) كشلال هادر :

- أقول : كم تبقى منهم ؟ .. كم تبقى من أسودنا البواسل ؟

كم رجلاً منهم سقط ، قيل أن يظفروا بذلك الجاسوس .

ردد السكرتير فى دهشة :

- إنهم أفضل رجالنا ، ايها الرفيق العقيد .

صرخ ( كوزيريف ) فى وجهه :

- وهذا أفضل رجل مخابرات فى العالم .. هل يمكنك ان تفهم

هذا ؟

اتسعت عينا السكرتير عن آخرهما ، وكادت الدهشة تعصف

بنفسه ، وهو يتمتم :

- أفضل من رجال مخابراتنا ايها الرفيق ؟ !

تراجع ( كوزيريف ) أمام السؤال ، والتقط نفساً عميقاً ، يملأ به صدره ، فى محاولة للسيطرة على اعصابه ، قبل ان

يقول فى توتر :

- من يدري ؟ !

ثم عاد يلتقط نفساً آخر ، ويستطرد فى شرود :

- إنه ليس بالرجل الهين على الأقل .

أوما السكرتير براسه متفهماً ، وهو يجيب :

- لهذا خرج الرفيق الرائد ( جليانوف ) لمطاردته بنفسه .

انفقه حاجباً ( كوزيريف ) ، وهو يتمتم :

- ( جليانوف ) خرج لمطاردته بنفسه ؟ ! .. عجباً ! ..

ثم لم يصف بعدها حرفاً آخر ، وإن برزت فى ذهنه أفكار

كثيرة ..

وعجيبة ! ..

\* \* \*

فجأة ، رأى ( أدهم ) فريق الكوماندوز ، الذى يعترض

طريقه ، وهو يتحرف بالدراجة الآلية ، متجاوزاً منطقة المستنقع ..

وفى نفس اللحظة تقريباً ، انطلقت الرصاصات السوفيتية ..

كان الرجال محترفين بحق ، وكانت أصابعهم متحفة على



أزنده مدافعهم الآلية ، وما إن لمحوه ، حتى اعتصرت أصابعهم  
الأزنده ، وانطلقت رصاصاتهم بلا هوادة ..  
ولكنه أيضًا كان محترفًا ..

وبمقارنة براعته ببراعتهم ، يكن اعتبارهم مجموعة من  
الهواة ، يخطون خطواتهم الأولى في عالم الاحتراف ..  
ففى نفس اللحظة ، التى لهم فيها ، وقوهم مدافعهم  
مصوبة نحوه ، استوعب عقله الموقف كله ، ودرسه جيدًا ،  
وتوصل إلى خطة لمواجهة ..  
بل ووضعها موضع التنفيذ أيضًا ..

وبسرعة البرق ، ومع انطلاق رصاصات رجال الكوماندوز ،  
كان ينحرف بسيارته خارج الطريق المستوى ، ويثب بها نحو  
المنحدر إلى يمينه ..

وتجاوزته رصاصاتهم إلا واحدة ، مزقت جزءًا من سترته  
الجلدية ، ولحم نراعه ، قبل أن تواصل طريقها ، لتخترق جسد  
أحد رجلى الكوماندوز اللذين يطارداه ، مع عدد من  
الرصاصات الأخرى ، فانطلقت من حلقه شهقة مكتومة ، وسقط  
عن دراجته ، وتدحرج على الجليد ، الذى اصطغى بدمه ، فى  
حين انحرف رجل الكوماندوز الثانى ليوصل المطاردة فوق  
المنحدر ..

وفى غضب ، ومن موقعه فى الهيلوكوبتر ، هتف  
( جليانوف ) :

- اللعنة .. هؤلاء الأغبياء قتلوا أحد زملائهم .

ابتسمت ( هيلجا ) فى سخرية ، متممة :

- ربما لأنه محظوظ ..

رمقها بنظرة غاضبة ، ثم ربت على كتف الطيار فى حدة ،  
هاتفًا :

- لا تتوقف هنا يا رجل .. واصل تعقبه .. هيا .

كظم الطيار غيظه من هذا الأسلوب الجاف الغليظ ، وواصل  
انطلاقه خلف ( ادهم ) ، الذى راح ينحدر ببراجته الجلدية  
فوق المنحدر بسرعة مخيفة ، ورجل الكوماندوز السوفيتى  
ينطلق خلفه ، ويطلق رصاصاته نحوه فى غضب ..

ومرة أخرى ، أصابت الرصاصات جسم الدراجة الآلية  
وكابت تخترق ساق ( ادهم ) ، إلا أنه انحرف بزاوية حادة  
ليتفادها ، و ...

وفجأة ، أصابت رصاصة الإطار الخلفى للدراجة ..  
ونسفته ..

وعلى الرغم من أن الدراجة تنطلق فعليًا على زحافات  
خاصة ، إلا أن الانفجار المباغت للإطار أخل بتوازنها فى عنف ،  
فماالت على نحو مخيف ..  
وانقلبت على جانبها ..

وفى عنف ، انزلق جسد ( ادهم ) فوق الجليد وراح يتدحرج ،  
حتى توقف بالقرب من جذع شجرة كبيرة ..

وفى فرح غامر ، صرخ ( جليانوف ) داخل الهيلوكوبتر :

- سقط .. لقد سقط .. سيظفر به رجلنا الآن .

غمغمت ( هيلجا ) :

- هل تعتقد هذا حقًا ؟

انعقد حاجباه فى شدة ، وهتف محققًا :

- سترين ..



فى نفس اللحظة التى نطق فيها عيبارته ، كان رجل الكوماندوز السوفيتى ينطلق نحو ( أدهم ) مباشرة ، وهو يطلق صرخة قتالية ظافرة ، ويطلق رصاصات مدفعه فى غزارة ..  
وقفز ( أدهم ) يحتسى بجذع الشجرة الضخم ، ثم دار حوله فى خفة مدهشة ، وبرز من جانبه الآخر ، لينقض بغتة على رجل الكوماندوز ، ويثب عالياً ، ثم يكتم صرخته الظافرة بركلة قوية ، أصابت وجهه ، وانتزعته من فوق دراجته الآلية ، لتلقى به على مسافة ثلاثة أمتار ..

وبرد فعل مباشر ، ودون ان تنتبه إلى قولها ، هتفت ( هيلجا ) فى حماس :  
- لقد فعلها !!

انعقد حاجبا ( جلجانوف ) فى شدة ، وراقب ( أدهم ) ، الذى قفز فوق الدراجة التى سقط عنها السوفيتى ، وانطلق بها مواصلاً طريقه ، ثم ربت على كتف الطيار مرة أخرى ، هاتفاً فى حنق :

- قل لى يا رجل : البست هذه الطائرة مزودة بمدفع الى ؟  
اجابه الطيار بسرعة :

- بالطبع .. إنها مزودة بمدفعين .

صاح به ( جلجانوف ) فى حدة :

- ماذا تنتظر إذن ؟ .. اسحقه بهما يا رجل .

رفع الطيار أحد حاجبيه ، وهو يجيب فى ارتياح :

- على الرحب والسعة أيها الرفيق الرائد .

قالها ، ودار بالهليكوبتر ؛ ليوأجه ( أدهم ) ، الذى ينزلق بالدراجة فوق المنحدر بسرعة كبيرة ، و....

وأطلق النار ..

ولم تكن مفاجأة لـ ( أدهم ) ..

لقد توقع هذا ، واستعد له ، وتحرك بسرعة مدهشة ، فى

نفس اللحظة التى انطلقت فيها الرصاصات ..

وعلى الرغم من مهارة الطيار ، وبراعته فى إطلاق النار ، إلا

انه فوجئ بـ ( أدهم ) ينحرف بالدراجة فى حركة حادة رشيقة ،

ويتفادى الرصاصات المتهمرة ، فهتف فى حنق :

- اللعنة ! .. كيف فعل هذا ؟ !

كادت ( هيلجا ) تنفجر ضاحكة ، وهى تقول :

- من يدرى ؟ .. ربما كان محظوظاً .

صاح بها ( جلجانوف ) فى غضب :

- ماذا دهاك أيتها الرفيق ( مارونسكى ) ؟ .. هل أنساك

انبهارك بهذا الجاسوس واجبك ؟ !

قالت فى صرامة :

- ربما .. تماماً مثلما أنساكما مهارتكما .

احتقن وجه ( جلجانوف ) ، وصاح بالطيار :

- هل سمعت يا رجل ؟ .. فشلك فى إصابته جعل النساء

تسخرن منا .

عصر الطيار شفته السفلى فى غيظ ، ودار بالهليكوبتر مرة

أخرى ، ليلحق بدراجة ( أدهم ) الآلية ، ثم التف حولها

ليواجهها ، وهى تندفع نحوه بأقصى سرعتها ، وأمسك عصا

القيادة فى قوة ، وإبهامه يستعد لضغط زر مدفعها ، هاتفاً :

- قل للجاسوس وداعاً أيها الرفيق الرائد .. ستسحقه

رصاصاتنا حتماً هذه المرة .



قالها ، وهو يصوب مدفعي الهليوكوبتر نحو ( أدهم ) مباشرة ..

وضغط الزناد ..

ولكن ( أدهم ) باغته مرة أخرى ..

ففى نفس اللحظة ، التى ضغط فيها الطيار الزناد ، انحرف ( أدهم ) نحو صخرة بارزة ، واتجه نحوها مباشرة ، وتفادى الرصاصات المنهمرة ، ثم ارتطم بالصخرة على نحو مدروس ، وجذب مقود الدراجة الآلية بحركة خاصة ..

وقفز ..

قفز بالدراجة نحو الهليوكوبتر ، التى تحلق على ارتفاع منخفض ، فأتسعت عيون ركبائها ، وهم يحدقون فى ذلك المشهد ، وقد بدا لهم ( أدهم ) كساحر عجيب ، حوّل الدراجة بغتة إلى طائفة صغيرة ، اندفعت نحوهم مباشرة .

وصرخ ( جلبانوف ) فى الطيار :

- ارتفع يا رجل .. أسرع -

كان المشهد مبهرًا مذهشًا ، بالنسبة للطيار ، فتجمّدت أصابعه على عصا القيادة لجزء من الثانية ، ثم لم يلبث أن انتفض فى عنف ، وجذب عصا القيادة ، وضغط زر إطلاق النار ، وهو يصرخ :

- يا للشيطان !

وانطلقت الرصاصات تخترق جسم الدراجة الآلية ، فى نفس اللحظة التى ارتفعت فيها الهليوكوبتر ، والتى وثب فيها ( أدهم ) فى الهواء ..

وكان المشهد مزدوجًا على نحو عجيب ..



لقد توقع هذا ، واستعد له ، وتحرك بسرعة مذهلة .  
فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها الرصاصات ..



ومبهر ..

( أدهم ) يطير في الهواء والهلوكوبتر ترتفع ، والدراجة تهوى مشتعلة ، و ..

وتعلق ( أدهم ) بالإطار السفلى للهلوكوبتر ، في نفس اللحظة التي انفجرت فيها الدراجة في الهواء ، وصرخت ( هيلجا ) في ارتياح :

- احترس أيها الرفيق الطيار .. احترس .

انحرف الطيار بالهلوكوبتر في حركة حادة ، ومدّ ( جلجانوف ) يده ينتزع مسدسه من غمده ، و ..

وقوحي الثلاثة بـ ( أدهم ) داخل الهلوكوبتر ، التي وثب إليها برشاقة مذهلة ، وهو يهتف ساخرًا :

- مرحبًا أيها السادة .. هل يزعجكم وجودي ؟

أدار ( جلجانوف ) فوهة مسدسه نحوه في سرعة ، وهو يصرخ :

- لا .. لا .. ان تصل إلينا بسهولة .

تحرك ( أدهم ) بسرعة البرق ، وضرب يد ( جلجانوف ) بقبضته ، فاطاح بمسدسه ، وهو يقول :

- ولكنني وصلت بالفعل يا هذا .

ثم هوى على فك الرائد السوفيتي بكلمة كالقنبلة ، مستطردًا :

- وربما ترحل أنت .

سقط المسدس بين ساقى الطيار ، الذي أصابه الهلع ، مع دخول ( أدهم ) المفاجئ إلى الهلوكوبتر ، فانحرف بالطائرة على نحو عشوائي مذعور ، وهو يختطف المسدس ، صارخًا :

- لا .. ابتعد عني .

وضغط الزناد ..

وانطلقت الرصاصة ..

وفى نفس اللحظة التي مالت فيها الهلوكوبتر في عنف ، احتكت الرصاصة بجبهة ( أدهم ) الذي تراجع بحركة غريزية عنيفة ، و ..

واندفع جسده خارج الهلوكوبتر بغتة ..

وفى سرعة ، وثبت يده محاولة التشبث بإطار الباب ، ولكن أصابعه التي أصابها البرد والتعب لم تلتقطه جيدًا ، فافلتت يده الإطار ، واختل توازنه ، و ..

وهوى ..

هوى من الهلوكوبتر ، من ارتفاع يزيد على العشرين مترًا ، نحو المنحدر المغطى بالجليد مباشرة ..

ولم يكن هناك ما يمكن أن يتشبث به ..

وبسرعة ، ثنى ( أدهم ) ركبتيه ، وضمّهما إلى صدره ، في محاولة لاتقاء عنف السقوط ..

ولكن هذا لم يمنع ارتطام جسده بالجليد في قوة ، وتدحرجه فوقه في عنف ..

وكانت الآلام رهيبة ..

وعندما حاول ( أدهم ) النهوض ، أدرك أن نتيجة السقوط كانت فادحة بحق ..

لقد دار رأسه في عنف ، وتصاعدت صرخات الألم من كل شبر في جسده ، وفقدت أطرافه سرعة تجاوبها ..

كل هذا والطيار ينقضّ عليه بالهلوكوبتر ، و ( جلجانوف ) يصرخ ، وهو يمسك فك في ألم وغضب :

١٦٥

١٦٤



- لا تضع هذه الفرصة يا رجل .. أطلق النار .. أطلق النار  
بلا تردد ..  
وفي هذه المرة لم تكن هناك وسيلة واحدة للنجاة ..  
على الإطلاق ..

\* \* \*

« ولماذا تشعر بالقلق ؟ »  
القي رئيس جهاز المخابرات السوفييتي السؤال ، على العقيد  
( كوزيريف ) ، وهو يتطلع إليه في قلق واهتمام ، فتنهد  
( كوزيريف ) ، قبل أن يجيب :  
- من الطبيعي أن أشعر بالقلق ، عندما يصير ( جلجانوف )  
على تولي الأمر بنفسه ؛ فكلنا نعلم أن ( جلجانوف ) عصبى  
ومتهور ، وربما يفيض به الحماس ، فيغرق فيه عقله ، ويقدم  
على قتل ( ألهم صبرى ) بلا ترو أو تفكير .  
انعقد حاجبا رئيسه ، وهو يقول في حذر :  
- وماذا لو أنه فعل ؟

أجاب ( كوزيريف ) في سرعة ، وكأنه كان ينتظر هذا السؤال  
ويتوقعه :

- سنخسر بهذا أقوى قضية جاسوسية في تاريخنا .  
انعقد حاجبا رئيسه ، وأطلق من عينيه نظرة متسائلة ،  
فتابع ( كوزيريف ) :

- لقد نجحنا في إسقاط الطائرة ، ولن تمضي ساعة واحدة ،  
حتى يصدر خبراءنا تقريرهم ، الذى يؤكد وجود أجهزة رصد  
وتجسس بها ، طبقا لما بلغنا من معلومات ، فالحريق الذى  
أصاب الطائرة لن يترك الأجهزة تامة .. وعندما نعلن الأمر

للعالم أجمع ، لن يكون لدينا ما نؤيد به قولنا ، سوى حطام  
طائرة ، وجثة رجل ندعى أنه جاسوس مصرى .. أمور يمكن  
تفنيدها وإنكارها ، فما الذى يهم المصريين من جاسوس لقي  
مصرعه ؟

قال رئيسه فى حذر :  
- اتعنى أن إلقاء القبض عليه حيا ، يمثل فائدة اكبر ؟  
هتف ( كوزيريف ) فى حماس :  
- بالتأكيد .. إلقاء القبض عليه حيا يعنى وجود متهم ،  
واعترافات ، وشخص يخشى المصريون بقاءه فى قبضتنا ،  
ومفاوضات ، ومساومات .. باختصار .. حياته تعنى انتصارنا  
العلى على المصريين .  
انعقد حاجبا رئيسه ، وهو يدير الأمر فى رأسه ، ثم لم يلبث  
أن غمغم :

- يا إلهى ! .. إنك على حق بالفعل .. إنها قضية العصر .  
ثم رفع عينيه إلى ( كوزيريف ) ، مستطردا فى حماس :  
- أجز اتصالك بالرفيق ( جلجانوف ) على الفور ، وأطلب  
منه ألا يقتل ذلك الرجل .. أسرع .

تنحنج ( كوزيريف ) ، قبل أن يقول :  
- معذرة أيها الرفيق الرئيس ، ولكن فى مثل هذا الموقف  
الشديد الحساسية ، أعتقد أنه من الأفضل أن تبلغ أنت  
الرفيق ( جلجانوف ) هذا الأمر بنفسك .. سيكون لهذا وقع  
أفضل .

انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يفكر فيما قاله ( كوزيريف )  
جيدا ، ثم قال فى حسم :



- فليكن .. صلنى به .

أسرع ( كوزيريف ) يضغط أزرار الهاتف ، وهو يقول :  
- على الرجب والسعة يا سيدي ، ولكن المهم أن نصل إلى  
( جليجانوف ) ، قبل ينفذ ماريه .. وأن نحصي به فى الوقت  
المناسب ..

نعم .. ليس المهم فقط أن تجد ( جليجانوف ) يا ( كوزيريف ) ..  
المهم أن تجده فى الوقت المناسب ..  
وقبل أن ينفذ ماريه ..

\* \* \*

انعقد حاجبا مدير المخابرات المصرية فى شدة ، وهو يهتف  
فى وجه مساعده فى انزعاج شديد :

- ( أدهم صبرى ) محاصر فى الاتحاد السوفيتى ؟ .. اانت  
واثق من هذه المعلومة يا رجل ؟  
أجابه مساعده فى توتر :

- تمام الثقة يا سيدي .. عميلنا فى الاتحاد السوفيتى أرسل  
برقية شفرية لاسلكية عاجلة ، يؤكد فيها هذا .

تراجع المدير فى مقعده مبهوئا ، وهو يسأل :

- وما شأن ( أدهم ) بالاتحاد السوفيتى ؟ .. مهمته كانت  
تتحصر فى ( فنلندا ) وحدها !

هز مساعده رأسه فى حيرة ، مجيبا :

- لا أحد يدري ماذا حدث بالضبط يا سيدي ، ولكن رجالنا  
فى ( هلسنكى ) يؤكدون أن سيادة العقيد ( أدهم ) قد أُلغ  
بطائرة جديدة ، منذ أكثر من خمس ساعات ، ولم يعد بعد ، أو  
يقوم بأى اتصال لاسلكى .

شخب وجه المدير ، وهو يتمتم :

- رياه ! .. لا ريب فى أنهم أرسلوه إلى الاتحاد السوفيتى  
لسبب ما .

سأله المساعد فى قلق :

- ماذا نفعل يا سيدي ؟

قلب المدير كفيه فى حيرة ، متمتما :

- وماذا يمكننا أن نفعل ؟ .. إننا نفتقر إلى كل المعلومات  
الأساسية .

ثم اعتدل بحركة حادة ، مستطرذا فى حزم :

- اتصل فوراً بعميلنا هذا ، واطلب منه أن يوافينا بكل  
ما يمكنه من معلومات ، فور حصوله عليها .

قال المساعد فى اهتمام :

- هل نطلب منه التبخل ؟

هز المدير رأسه نفيا ، وقال :

- كلاً .. موقعه لا يسمح له بهذا .. فقط اطلب منه مدنا  
بالمعلومات .

ثم التقى حاجباه ، وهو يستطرد فى حزم :

- المهم أن يمدنا بها فى الوقت المناسب .

سأله مساعده فى قلق :

- اتخشى أن يقتلوا سيادة العقيد ( أدهم ) يا سيدي ؟

تطلع إليه المدير ، مرئداً :

- يقتلوه ؟

ثم عاد يشرد ببصره ، وهو يضيف فى حزم :

- فى بلد مثل الاتحاد السوفيتى ، لا يقلقك كثيراً أن يقتلوا  
رجلك .. وإنما يقلقك أن يظفروا به حيا .



ومطُ شفتيه ، وهزُ رأسه ، قبل أن يستطرد في مرارة :  
- فهذا هو العذاب الحقيقي ..

\* \* \*

كان الطيار يصوب مدفعي الهليوكوبتر نحو ( أدهم ) ،  
ويستعد لضغط زر إطلاقهما ، في قمة العصا القيادية ، و ...  
وفجأة انبعث صوت رئيس المضاربات السوفيتي ، وهو  
يقول في حزم :

- هنا الرئيس أيها الرفيق ( جليانوف ) .. استمع إلى  
الأوامر الجديدة جيداً .. لا تقتل الجاسوس .. نريده حياً .. اكزُرْ  
.. لا تقتله .. من المحتم أن نظفر به حياً .  
انعقد حاجباً ( جليانوف ) في شدة ، وتراجع الطيار عن  
ضغط زر الإطلاق ، وهو يقول :

- بالشيطان ! .. ثانية واحدة وكنا سنخالف أوامر الرئاسة .  
وهتفت ( هيلجا ) :

- دعنا نهبط ونلقى القبض عليه إذن ..

أجابها ( جليانوف ) في صرامة :

- لن نلقى القبض على رجل ميت .

تطلعت إليه في دهشة ، وقال الطيار في حيرة :

- رجل ميت ؟ .. الرجل يترنح بعد الصدمة أيها الرفيق

الرائد ، ولكنه قوى ، ولن يلقي مصرعه بسبب ..

قاطعها ( جليانوف ) :

- لقد لقي مصرعه برصاصاتنا ، قبل أن تصلنا أوامر

الرئاسة .

فهمت ( هيلجا ) ما يعنيه على الفور ، فانعقد حاجبها في  
شدة ، في حين هتف الطيار مستنكراً :

- هذا لم يحدث .. لقد وصلنا أوامر الرئاسة قبل أن ..

قاطعها ( جليانوف ) في صرامة ، وهو يضغط كتفيه في قوة :

- إياك أن تعرض يا رجل .. أطلق النار على الفور ،

وستحمل المسؤولية كاملة .

ردَّ الطيار ذاهلاً :

- ولكن الأوامر ..

صرخ ( جليانوف ) بثورة عارمة :

- فلتذهب الأوامر إلى الجحيم .

رفع الطيار يده عن عصا القيادة ، قائلاً :

- اذهب معها إذن أيها الرفيق الرائد ، ولكنني لن أفعل شيئاً  
كهذا قط .

صرخ ( جليانوف ) :

- أيها الوغد .

ثم دفع يده إلى عصا القيادة ، وتشبَّث بها في قوة ، وضغط

زر إطلاق النار ، في نفس اللحظة التي كان فيها مدفعي

الهليوكوبتر مصوبين نحو الهدف ، الذي لم يعد بإمكانه الدفاع

عن نفسه ..

نحو ( أدهم صبري ) ..

مباشرة .

\* \* \*



## ١١ - أسير الثلوج ..

تعلقت عينا ( أنجريد ) بساعة الحائط ، وهى تفرك كفيها فى عصبية ، فى المقر الخاص بالذئب الإسرائيلى ( مائير شالوم ) ، الذى ابتسم فى هدوء واثق ، وهو يقول :  
- اطمئنى يا سيّدتى .. لا ريب فى أن ( انهم صبرى ) فى قبضة أصدقائنا السوفيت الآن .  
التفتت إليه قائلة فى شيء من الحدة :  
- هل تظن هذا ؟ !

أومأ برأسه إيجاباً فى صمت ، فهزّت رأسها فى قوة ، قائلة :  
- ولكن ( ثوردال ) يؤكد أن هذا الرجل مدهش بحق ، وأنها لن تكون مفاجأة له ، لو سمع أنه نجا من مأزقه ، وخرج منه خروج الشعرة من العجين ، بعد أن حطّم غطرسة السوفيت ، ووضع أنفهم فى التراب .

بدأ الغضب على وجه ( شالوم ) ، وهو يقول :  
- ليس إلى هذا الحد .. الرجل بارع ولا شك ، ولكنه فى النهاية مجرد بشر ، لا يمكنه أن يتصدى للقوات السوفيتية المدربة .

هرّفت كتفها ، قائلة فى صوت خافت :

- ( ثوردال ) يقول : إنه فعل من قبل (\*) .

أجابها ( شالوم ) فى سرعة وحدة :

- ليس فى كل مرة تسلم الجرّة .

تطلّعت إليه بعينين ناعستين ، قبل أن تقول فى دلال :

(\*) راجع قصة ( الجليد الدامى ) .. المغامرة رقم ( ٥ ) .

- تبدو واثقا للغاية .

ابتسم ، مجيباً :

- بالتأكيد .. خبرتى فى هذا المجال ليست بالقليلة ، يا سيّدتى .. إننى أعلم بالضبط كيف تُعالج الأمور ، وكيف يفلّ الحديد الجديد .

اقتربت منه أكثر ، هامسة :

- أحب دائماً الرجل الذى يثق بقدراته .

رمقها بنظرة فاحصة ، وهو يقول بلهجة ذات مغزى :

- وأنا أحب دائماً المرأة التى تدرك أين صالحها بالضبط .

اقتربت أكثر وأكثر ، حتى لفحت أنفاسها وجهه ، وهى تهمس :

- حقاً ؟ !

كانت تتصور أنها ستبهره بجمالها وأنفاسها العطرة ، وأنه لن يلبث أن يذوب بين أصابعها ، إلا أنه ظلّ بارداً كالثلج ، وهو يسالها :

- ما اسم عميلكم السوفيتى بالضبط ؟

دأبت أزرار سترته بأناملها ، مجيبة فى خفوت :

- لست أدري .. لا أشغل عقلى فى المعتاد بمثل هذه الأمور .. ( ثوردال ) و ( هال ) هما اللذان يتوليان أمر العميل

السوفيتى وغيره .

التقى حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

- هراء .

ادهشتها لهجته ، فتراجعت تتطلّع إليه فى قلق ، وهو يستعطر :



- قولك هذا يعنى انه لو أصيب ( ثوردال ) و ( هال ) بمكرهه ، ستقطع صلتكم بالعمل ، وهذا أسخف ما يمكن أن يحدث ، فى شبكة منظمة .  
اغضبها أسلوبه فى التعامل معها ، فانعقد حاجبها فى شدة ، وقالت :

- ماذا تريد بالضبط يا ( شالوم ) ؟

- أجابها فى صرامة :

- اسم العميل السوفيتى .

- صرخت فى وجهه :

- كن تحصل عليه قط .

- اندفع نحوها بغتة ، وجذبها من شعرها فى قسوة ، جعلتها تطلق صيحة ألم ، وقال غاضباً :

- اسمعى يا امرأة .. أكثر ما يغضبنى فى هذا العالم ، أن تسخر منى واحدة مثلك .. سالقى عليك سؤالاً واحداً ، وأريد جواباً مختصراً واضحاً وصريحاً .. هل تريدين التعاون معى ام ماذا ؟

- صاحت فى عصبية :

- ليس وأنت تعاملنى بهذا الأسلوب .

- أقلت شعرها مرة واحدة ، وسالها فى غلظة :

- أهذا أفضل ؟

- قالت محتدة :

- بالتأكيد .. لا تنس أبداً أنك تتعامل مع سيّدة محترمة .

- هتف ساخرًا :

- سيّدة ماذا ؟ !

قالها ، ثم انفجر بضحكة قاسية خشنة ، قبل أن يستطرد :  
- أنسيت تاريخك ، أم تتظاهرين بنسيانك يا امرأة ؟ .. الا تذكرين عملك السابق فى ( ستوكهولم ) ؟ .. أنسيت كيف كوّنت ثروتك ، التى تتباهين بها الآن ؟ .. لو أنك نسيت فنحن لم ننس ، لأننا نهوى مراجعة ملفك باستمرار ، بكل ما يحويه من صور وأفلام .

- احققن وجهها فى شدة ، وهى تهتف :

- أيها الوقح .. كيف تجرؤ ؟ .. لقد كان ( ثوردال ) على حق .. لا يمكن أبداً الثقة بالإسرائيليين .. أتمنى أن يلقتكم ( أدهم ) هذا درساً قاسياً .

- قالتها ، واندفعت تغادر المكان فى عنف ، فانعقد حاجبها خلفها فى شدة ، وهو يقول فى غضب :

- سيخيب رجاؤك حتماً أيتها اللعينة ! .. ما دام كل شيء على ما يرام ، فلن يصبح ( أدهم صبرى ) هذا قادراً على تلقين الدروس لأى شخص .

- وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى مقت :

- باستثنائه هو .

- قالها ، وانعقد حاجبها أكثر ..

- وتضاعف غضبه ومقته ..

- تضاعفاً ألف مرة ..

\* \* \*

لم يكن بإمكان ( أدهم ) الدفاع عن نفسه حقاً هذه المرة .. لقد أصابته السقطة برضوض عنيفة ، وأطلقت فى جسده ألماً مبرحة ، وأفقده الكثير من صفاء ذهنه ، وسرعة استجابته المدهشة ..



وكان ( جليانوف ) يصوب إليه مدفعى الهليوكوبتر بالفعل ، و ...

ولكن ( هيلجا ) تحركت بغتة ..

وفى حركة حادة عنيفة ، جذبت جسد ( جليانوف ) هاتفة :  
- إياك أن تفعل .

جاءت الجذبة فى الوقت المناسب بالضبط ، فانطلقت رصاصات مدفعى الهليوكوبتر بالفعل ، ولكنها لم تصب هدفها ، إذ جذب ( جليانوف ) عصا القيادة على نحو غريزى ، عندما جذبته ( هيلجا ) فارتفعت الهليوكوبتر قليلاً ، وطاشت الرصاصات كلها فى الهواء ..

وفى غضب هائل صرخ ( جليانوف ) :

- ماذا فعلت أيتها المجنونة ؟

فوجئ بمسدسها يلتصق بصدغة ، وهى تجيب فى صرامة :

- أمتنع من مخالفة الأوامر أيها الرفيق الرائد .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول محدثاً :

- هل ترغبين فى أن يبقى هذا الجاسوس على قيد الحياة ؟

أجابته بنفس الصرامة :

- ليس من شأننا أن نرغب أو لا نرغب أيها الرفيق ، مادامت

أوامر الرئاسة قد صدرت بالفعل .

ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يتمتم فى حلق عصبى :

- سندفعين الثمن ، عندما نعود .

أجابته ساخرة :

- حاول أيها الرفيق ( جليانوف ) ، وستجبرنى بفعلتك على

شرح محاولتك لمخالفة الأوامر للمسؤولين .

احتقن وجهه ، وهو يتطلع إليها فى مقت ، ثم لم يلبث أن أفرغ غضبه فى وجه الطيار ، وهو يصرخ به :

- ماذا تنتظر يا رجل ؟ .. كف عن الدوران فى السماء

كالأوزة المجنونة ، وعد بنا لنلقى القبض على ذلك الجاسوس .

ومطأ شفتيه فى غضب ، مستطرداً :

- حيا ..

دار الطيار بالهليوكوبتر دورة واسعة ، وعاد يتجه إلى حيث

تركوا ( أدهم ) ، ثم هتف فى دهشة :

- يا للشيطان ! .. إنه ليس هناك .

انتفض جسد ( جليانوف ) فى عنف ، وهو يصرخ :

- ليس ماذا ؟

ومال بجسده كله ، ليلقى نظرة على المكان ، قبل أن يلتقى

حاجباه فى شدة ، ويغمغم :

- اللعنة !

فوسط الظلام والجليد ، لم يكن هناك أثر لـ ( أدهم ) ..

لقد اختفى ..

اختفى تماماً ..

وفى غضب هائل ، قال ( جليانوف ) ، وهو يلتقط بوق جهاز

اللاسلكى :

- هل رأيت ما الذى فعلته حماقتك ؟

ثم ضغط زر جهاز اللاسلكى ، مستطرداً فى صرامة :

- من الهليوكوبتر إلى فريق الكوماندوز .. الهدف اختفى

داخل المنطقة ( ٦ - د ) .. حاصروا المكان ، وحاولوا إلقاء

القبض عليه .



ورمق ( هيلجا ) بنظرة محنقة ، قبل أن يضيف :  
- والأولوية لبقائه على قيد الحياة .

فى نفس اللحظة التى ألقى فيها أوامره لرجال الكوماندوز ،  
كان ( أدهم ) يتحرك فى الم ، بين أشجار المنطقة ( ٦ - ٥ ) ..  
لقد انتهز فرصة دوران الهليكوبتر ، ودفع جسده فوق  
المنحدر ، ليتدحرج بضع دقائق ، حتى بلغ منطقة أشجار  
جديدة ، فتوقّف عندها ، ونهض واقفاً ، وساقاه تطلقان  
صرخات ألم ، وحاول أن يواصل رحلة الهروب ..  
ولم يكن الأمر سهلاً ..

فعلى الرغم من مهاراته وقدراته العديدة ، إلا أنه مجرد بشر ،  
لجسده حدوده ، مهما قاوم واحتمل ..  
وهو مصاب بطلق نارى فى ساقه ، وبرضوض وكدمات فى  
جسده كله ، والبرودة من حوله تتزايد ، والجليد ينهمر بالفعل ..  
ومن بعيد ، تعالى ضجيج يقترب ..  
ويقرب ..  
ومن كل الاتجاهات ..

وكان من الواضح أنهم يحاصرونه من جديد ..  
وفى تهالك ، التصق ( أدهم ) بجذع شجرة كبيرة ، وراح  
يتابع الأضواء ، التى تحيط به ، وعقله يبحث عن مخرج من كل  
هذا ..

والعجيب أن عقله المدهش أبى أن يطيعه هذه المرة ..  
لقد بذل قصارى جهده بالفعل ، إلا أن شيئاً ما كان يحول  
بينه وبين تركيز أفكاره على النحو المطلوب ، ليعثر على وسيلة  
مناسبة للنجاة ..

بل وكانت هناك غيبوبة سخيفة ، تقاثل فى استماتة  
للسيطرة على عقله ، وإحباط ذهنه ، ومنع أفكاره من  
الانطلاق ..

وكان عليه أن يقاوم تلك الغيبوبة أولاً ، قبل أن يسعى  
للخروج من مأزقه ..  
ولقد حاول ..  
وحاول ..  
وحاول ..

ولكن الأضواء راحت تقترب أكثر وأكثر ..  
وفجأة ، يسقط دائرة من الضوء على وجهه ، وارتفع صوت  
يهتف بالروسية :

- ها هو ذا ..  
تراجع ( أدهم ) فى سرعة ، واستنفر ما تبقى من قواه ،  
وتحرك بخطوات واسعة ، ليدور حول جذع الشجرة ، فى حين  
صاح رجل الكوماندوز السوفيتى فى انفعال :

- لقد عثرت عليه .. أسرعوا ..  
قالها ، وهو يقفز خلف الشجرة ، ولكن قبضة ( أدهم )  
استقبلته بلكمة عنيفة ، لم تحمل قوته كلها ، إلا أنها كانت  
كافية لتلقى بالرجل أرضاً فى عنف ، وقبل أن ينهض أو يستعيد  
توازنه ، أصابته قدم ( أدهم ) بركلة قوية فى وجهه ، وهذا  
الآخر يلهث بشدة ، وكأنما بذل جهداً خارقاً ، لا قبل له به ..

وباقصى ما سمحت به حالته من سرعة ، انحنى ( أدهم )  
يلتقط سلاح رجل الكوماندوز ، فى نفس الوقت الذى ارتفعت  
فيه أصوات رجال الكوماندوز الآخرين ، الذين يهرعون إلى



المكان ، ثم تهض ليطلق رصاصات المدفع نحو اقرب بقعة ضوء إليه ..

وفجأة ، برز إلى جانبه جندي آخر من جنود الكوماندوز ، وهو يرفع مدفعه ، فدار ( ادهم ) على عقبه لمواجهة ، و .. وهوى كعب المدفع الالى على رأسه ، قبل ان تكتمل استدارته ..

وفي هذه المرة ، انهارت مقاومته تماما ..

واستسلم جسده للضعف البشرى ..

وسقط ..

سقط ( رجل المستحيل ) فاقد الوعي ، فوق الثلوج

السوفيتية ..

وبين الخصوم ..

الذ الخصوم ..

واكثرهم قسوة ..

\* \* \*

هبط العقيد ( كوزيريف ) من الطائرة الهليكوبتر الصغيرة ، التي أقلته إلى موقع سقوط طائرة ( ادهم ) ، ويدا ببقايمته الفارحة وكتفيه العريضين ، ومعطف الفراء الذي يرتديه ، أشبه بدب ضخم ، وهو يتجه إلى حطام الطائرة ، ويسأل أحد الخبراء ، الذين انهمكوا فى فحصها :  
- هل عثرتم على شيء ؟

أجابه الخبير ، فى لهجة يمتزج فيها الاحترام بالحماس :

- بالطبع يا جنرال .. لقد انفجر خزان الوقود بالطائرة ، وأشعل النيران فى جسمها كله ، ولكن من حسن حظنا وسوء

حظ المصريين ، ان رجالنا نجحوا فى إطفاء النيران المشتعلة فى سرعة ، فلم تتعرض أجهزة التجسس لتلف ضخم .

قال ( كوزيريف ) فى لهفة :

- إذن فقد عثرتم عليها .

هتف الخبير :

- بالطبع يا جنرال .. ثلاثة أجهزة من طراز أمريكى حديث ،

مصنوعة بحيث تحتل وتقاوم عوامل التلف إلى أقصى حد ..

أحدها يلتقط الصور الجوية ، بالأشعة دون الحمراء ، والثانى

جهاز تصنت بالتحليل ، والثالث جهاز رسم مساحى .. إنها

طائرة تجسس ولا شك .

انعقد حاجبا ( كوزيريف ) ، وهو يسأل :

- ولكن لماذا كانت تطير على ارتفاع منخفض ، كما أكد تقرير

الرادار ؟

هو الخبير كتيه ، وأجاب :

- لست أدري يا جنرال .. المفترض أن كل هذه الأجهزة

لا يمكن أن تعمل إلا على ارتفاع كبير ، على الأقل حتى يمكنها

التقاط صور واضحة لمساحات واسعة ، ولكن ربما أصاب

الطائرة عطل ما ، اضطر قائدها للهبوط إلى هذا الارتفاع

المنخفض !

عقد ( كوزيريف ) حاجبيه بضع لحظات ، قبل أن يقول فى

صرامة :

- لن يقتنع القضاة العسكريون بهذا التفسير قط .

سأله الخبير مرتبكا :

- ماذا تقترح إذن أيها الرفيق ؟



رمقه (كوزيريف) بنظرة صارمة ، وهو يقول :  
 - لا يوجد حل ثالث .. إما أن تجد تفسيراً أكثر منطقية ،  
 أو تكتم أمر هذا الطيران المنخفض ، لتغلق باب المشكلات .  
 انخفض صوت الخبير ، وهو يسأل متوتراً :  
 - وأيهما تفضل أيها الرفيق العقيد ؟  
 أطلقت صراخاً مخيفة من صوت (كوزيريف) ، وهو يقول :  
 - أنت الخبير .

سرت قشعريرة باردة في جسد الخبير ، وتطلع إلى  
 (كوزيريف) في حذر محاولاً استشفاف ما يدور في أعماقه ،  
 خشية أن يأتي قراره مخالفاً لوجهة نظره ، إلا أن بصره ارتطم  
 بملامح قاسية ، باردة كالثلج ، جعلت صوته يرتجف ، وهو  
 يتمتم في حذر شديد :

- أعتقد أنه من الأفضل أن نتجاهل أمر الطيران المنخفض  
 هذا تماماً .. فلا توجد ضرورة للإشارة إليه .. سيفترض  
 الجميع تلقائياً أن طائفة التجسس كانت تطير على ارتفاع كبير .  
 سأل (كوزيريف) بلهجة باردة كالثلج :  
 - أمذا رأيك ؟

ارتجف الخبير ، واتسعت عيناه في ارتياح ، وهو يقول :  
 - ألا يروق لك أيها الرفيق العقيد ؟

ولثوان ، بدت له ملامح (كوزيريف) جامدة باردة ، حتى أن  
 جسده كله راح يرتجف ، وتصور أنه قد اتخذ قراراً خاطئاً ،  
 وهم بالاعتذار عنه ، لولا أن قال (كوزيريف) فجأة :  
 - لا بأس به .

ثم استدار عائداً إلى الهلوكوبتر ، وهو يضيف :

- سانتظر تقريراً رسمياً بهذا .

حبس الخبير أنفاسه ، حتى حُلقت الطائرة برجل المخابرات  
 السوفيتي ، ثم أطلق من أعماق صدره زفرة ملتهبة ،  
 وهتف :

- اللعنة ! .. مم يصنعون هؤلاء الرجال ؟

وقفن الجواب إلى عقله على الفور ، دون أن يجروا على  
 الاقتراب من شفتيه ..

إنهم يصنعون هؤلاء الرجال من أكثر المواد برودة وقسوة  
 في هذا العالم ..  
 من الثلج ..

\* \* \*

« السوفيت القوا القبض على العقيد (أدهم) .. »

هتف مساعد مدير المخابرات المصرية بالعبرة في توتر  
 عنيف ، جعل حاجبي المدير ينعقدان بأشد ما يكون ، وهو يهتف :  
 - ألقوا القبض عليه ؟

ثم نهض من خلف مكتبه ، واستطرد بتوتر أكثر عنفاً :  
 - إنها كارثة بكل المقاييس .. لو أنه رجل مخابرات عادي  
 لكانت مصيبة ، أما وهو (أدهم صبرى) ، فالكارثة مخيفة  
 بحق .. ستجد العشرات ممن يمكنهم تعرقه ، في صفوف  
 المخابرات السوفيتية ، ومنهم من لديه دافع قوى للثأر منه ،  
 ووقوعه في قبضتهم يرفع درجة الخطر المحيط به إلى مائة في  
 المائة .

تنهد مساعده ، وهو يقول :

- معذرة يا سيدي ، ولكن الكارثة هذه المرة أعنف من أن



تقتصر على الخطر ، الذي يواجهه سيادة العقيد ( أدهم ) بصفة شخصية ؛ فالسوفيت أعلنوا أنهم أسقطوا طائرة تجسس مصرية ، وألقوا القبض على قائدها ، وأن لديهم ما يثبت انتماءه إلى المخابرات المصرية ، وأكدوا أنهم سيحاكمونه في جلسة علنية ، لإثبات أن ( مصر ) تسعى للتجسس عليهم ، بعد أن طرقت خبراتهم قبيل حرب أكتوبر ١٩٧٣ م ، ولم تعد تعتمد اعتماداً مطلقاً على أسلحتهم (\*) .

هتف المدير في غضب :

- يا للسخافة ! .. هل سيتعاملون مع الأمور على نحو علني

هذه المرة ؟

أوما مساعده برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

- نعم .. وعلى نحو سافر أيضاً ، فلقد أعلن مسئولوهم أنهم سيعقدون مؤتمراً صحفياً عالمياً ، في الثالث من الشهر القادم ، لإعلان كل الحقائق والتفاصيل .

غمغم المدير في توتر بالغ :

- الثالث من الشهر القادم .. هذا يعني أنهم سيعقدون مؤتمرهم بعد أسبوع كامل .. لماذا لم يعقدوه فوراً ؟ !

تردد المساعد لحظة ، قبل أن يغمغم في حذر :

- ربما لأنهم يعرفون سيادة العقيد ( أدهم ) جيداً .

رفع المدير عينيه إليه ، وسأله في قلق :

( \* ) قبيل حرب أكتوبر ببضعة أشهر ، اتخذ الرئيس الراحل ( محمد أنور السادات ) قراراً جريئاً وشجاعاً بطرد كل الخبراء السوفيت ، بعد أن تمادوا في تدخلهم في الشؤون العسكرية الداخلية ، حتى وصل بهم الأمر إلى حد منع بعض العسكريين المصريين من دخول قواعدهم .

- ماذا تعنى يا رجل ؟ !

تردد المساعد مرة أخرى ، ثم حسم أمره ، وأجاب :

- أعنى أن السوفيت لن يترددوا في استخدام أعنف وسائلهم ، وأكثرها قسوة ووحشية ، للحصول على اعتراف صريح بالتجسس ، من سيادة العقيد ( أدهم ) يا سيدي ، وهذا يحتاج إلى بعض الوقت ..

تلاقى حاجبا مدير المخابرات في شدة ، وهو يستوعب عبارة مساعده ، التي تجمّدت لها الدماء في عروقه ، وانخفض لها كيانه كله ..

نعم .. السوفيت لن يدخروا جهداً لإجبار ( أدهم ) على الاعتراف ..

و ( أدهم ) لن يبلّ بمثل هذا الاعتراف قط ، حتى ولو مرّ قوه إرباً ..

وهذا يعني أن الأيام القادمة ستحمل لـ ( أدهم ) عذاباً رهيباً ..

عذاباً بلا رحمة ..

وبلا حدود .

\* \* \*





لم يدرك (أدهم) كم مضى من الوقت ، قبل أن يستعيد وعيه ، ويفتح عينيه في بطنه ، ولكنه وهو يفغل ، كان يستعيد ذاكرته كلها بسرعة البرق ، ويدرك جيداً أنه أسير في قبضة السوفيت .. وعلى الرغم من هذا ، فلم ترتجف في جسده شعرة واحدة .. فقط أدار عينيه في المكان الذي يرقد فيه في فضول واهتمام ، ليتعرف موقفه بالضبط ..

كان من الواضح أنه يرقد داخل زنزانة رطبة ضيقة ، لها سقف يرتفع خمسة أمتار ، وجدران تشقق على نحو مؤسف ، تتوسط أحدها ، وعلى ارتفاع ثلاثة أمتار ، نافذة صغيرة ، يغطيها زجاج مزدوج مضاد للرصاص ، مكون من طبقتين سميكتين ، يبلغ سمك كل منهما ست سنتيمترات ، وبينهما قضبان فولاذية قوية ..

أما الباب ، فكان صغيراً متيناً ، تم صنعه من صلب قوي ، وفي منتصف ثلثه العلوي نافذة صغيرة للغاية ، تغطيها أيضاً قضبان من الصلب ..

وكان (أدهم) يرتدى ثوباً جافاً رمادي اللون ، وقد ضمد أحدهم إصاباته على نحو جيد ، ومن الواضح أنهم انتزعوا الرصاصات من ساقه أيضاً ..

وفي حذر ، نهض (أدهم) جالساً على طرف الفراش الصغير في ركن الزنزانة ، وعيناه تجوسان المكان ثانية .. ثم فتحت تلك النافذة الصغيرة في أعلى الباب ، وأطل منها وجه عريض قاس ، حذبه صاحبه بنظرة صارمة ، من عينيه الباردتين الزرقاوين ، قبل أن يقول بالروسية :

- لقد استيقظ أيها الرفيق .

قالها ، ثم أغلق النافذة الصغيرة في عنف ، وسمع (أدهم) صوت رتاج ضخمة ينزاح ، وانتبه في تلك اللحظة بالتحديد إلى أن قدميه مكبلتان بأغلال فولاذية مثبتة بسلسلة إلى الجدار ، ليضمنوا عدم فراره ، وحشدوا أطول هذه السلسلة ، حتى لا يمكنه بها بلوغ الباب قط .. وعلى الرغم من بقاء موقفه وصعوبته ، ابتسم في سخرية ، مغمغماً :

- رباة ! .. يبدو أنك ، حتى وأنت بين أيديهم ، مازلت تثير خوفهم وذعرهم يا (أدهم) .

انفتح الباب في هذه اللحظة ، وأطل منه وجه (كوزيريف) ، الذي رماه بنظرة طويلة صامتة ، قبل أن يسأله بالإنجليزية :

- إنني فقد استعيت وعيك .

أجاب (أدهم) بالروسية ، في هدوء ساخر :

- بالطبع يا عزيزي (كوزيريف) .. من العار أن يفقد المرء

وعيه ، ولا يستمتع بجناح فاخر كهذا !

انعقد حاجبا (كوزيريف) بشدة ، وهو يقول :

- هل تعرفني ؟ .. هل سبق لنا أن التقينا ؟

أجاب (أدهم) ، وهو يلوح بإصابعه على نحو مسرحي :

- معذرة يا عزيزي (كوزيريف) ، ولكنني سأجيب سؤالك

الثاني قبل الأول .. كلاً يا رجل .. إننا لم نلتق من قبل قط ،

وعلى الرغم من هذا فلدي ملف كامل عنك .. اسمك (فيدور

فيزيسكي كوزيريف) .. مدير إدارة مكافحة التجسس الداخلي

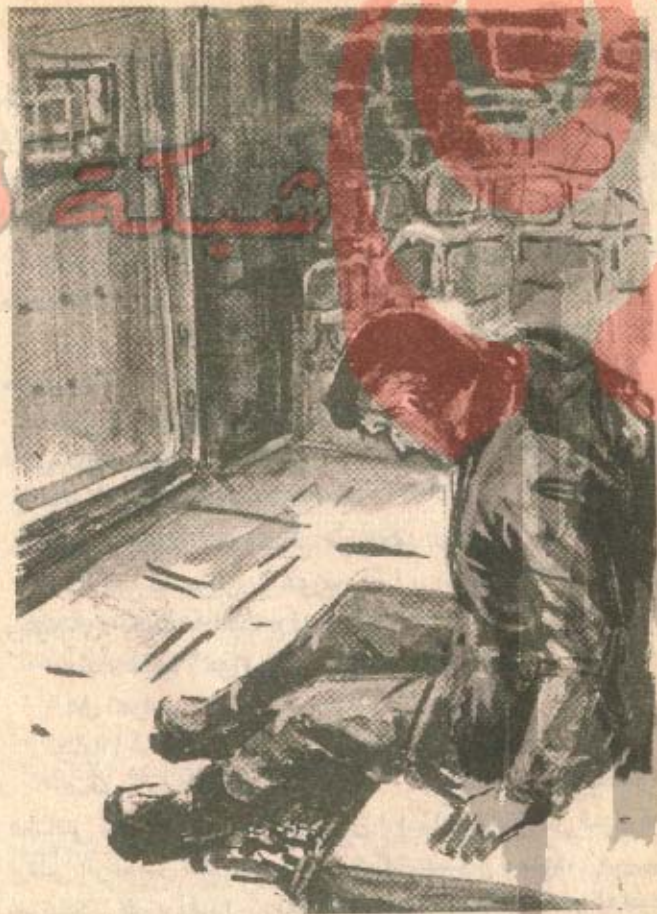
والخارجي ، في المخابرات السوفيتية ( K G B ) .. لك



خبرة طويلة في التعامل مع المخابرات الأمريكية (CIA) ،  
والمكتب الخامس البريطاني ، وأنت المسئول عن تجنيد نائب  
مدير المخابرات البريطانية لحسابكم ، وعن مساعدته على  
الفرار إلى هنا في الوقت المناسب ، عندما انكشف أمره ، وقبل  
أن يقع في قبضة رجاله هناك (\*) .  
ضاققت عينا ( كوزيريف ) ، وهو يقول في صرامة :  
- من الواضح أنك تعرف الكثير أيها الرفيق ( أدهم ) .  
رفع ( أدهم ) حاجبيه في دهشة مصطنعة ، وهو يقول  
ساخرًا :

- ( أدهم ) ! ؟ .. ( أدهم ) من يا رجل .  
أجابه ( كوزيريف ) في تحقّر :  
- ( أدهم صبرى ) بالطبع .. نحن أيضًا نعرف عنك الكثير  
يا رجل ، ولدينا ملف كامل عنك .. هل تحب أن أروي لك ؟  
هو ( أدهم ) كنفه في لا مبالاة ، وهو يقول :  
- سيكون هذا مسليًا بالتأكيد ، فالمرء لا يستمع إلى قصة  
حياة رجل آخر في كل يوم .  
قال ( كوزيريف ) في حذر :  
- رجل آخر ! ؟

( \* ) في عام ١٩٥٠ م ، كشف جهاز المخابرات البريطاني المعروف باسم  
( المكتب الخامس ) ، أن اثنين من كبار رجاله ، ( برجس ) و ( ماكلين )  
يعملان كجاسوسين للاتحاد السوفيتي ، على الرغم من أن أحدهما كان  
يحتل منصب نائب رئيس الجهاز ، ولقد تم إلقاء القبض عليهما ، والتحقيق  
معهما في هذه التهمة ، ثم تمكنا من الهرب بوسيلة ما عام ١٩٥١ م إلى  
الاتحاد السوفيتي ، ليكتشف بعدما أمر جاسوس ثالث في الشبكة نفسها ،  
وكانت فضيحة كبرى لجهاز المخابرات البريطاني ..



وانتبه في تلك اللحظة بالتحديد إلى أن قدميه مكبلتان  
بأغلال فولاذية مثبتة بسلسلة إلى الجدار ..



تطلع ( أدهم ) إلى عينيه مباشرة ، وهو يجيب :  
- نعم يا عزيزي ( كوزيريف ) .. رجل آخر يُدعى  
( أدهم صبرى ) .

انعقد حاجبا ( كوزيريف ) أكثر ، وهو يقول :  
- ( أدهم صبرى ) هو أنت يا رجل .

هتف ( أدهم ) بنفس الدهشة المصطنعة الساخرة :

- أنيا ؟ .. مستحيل يا رجل ! .. ( أدهم صبرى ) هذا  
مصري ، والمصريون لن يحاولوا التجسس عليكم قط .. نحن  
فقط نفلع هذا طوال الوقت ، بمساعدة أصدقائنا الأمريكيين .  
بدا مزيج من الدهشة والتوتر على وجه ( كوزيريف ) ، وهو  
يقول :

- أنتم ؟ !

أوما ( أدهم ) برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

- نعم يا عزيزي ( كوزيريف ) .. إننى اعترف بأننا نتجسس  
عليكم .. نحن الـ .. الإسرائيليين .

ارتفع حاجبا ( كوزيريف ) فى دهشة ، وهو يهتف :

- الإسرائيليين ؟ !

ثم انعقد حاجباه ثانية ، مستطرداً فى غضب :

- هل تسخر منا يا رجل ؟

أجابه ( أدهم ) فى لهجة تحمل كل الإصرار والتحدى :

- مطلقاً .. إننى أخبرك ما ستحويه الأوراق الرسمية فى  
النهاية .

أطل غضب عنيف من عيني ( كوزيريف ) ، وهو يقول فى  
صرامة شديدة :

- هل تظن هذا ؟ .. أنت وأهم إذن أيها المصرى .. عندما تاتى  
مرحلة ملء الأوراق الرسمية ، لن يوضع فيها إلا ما نريده نحن ..  
بل ولست أكشف سرّاً لو أخبرتك أن الأوراق الرسمية معدة  
بالفعل ، ولا ينقصها سوى توقيعك .

قتل ( أدهم ) ساخراً :

- التوقيع الإسرائيلى .

أجابه ( كوزيريف ) فى صرامة :

- بل التوقيع المصرى أيها الرفيق ( أدهم ) .. التوقيع الذى  
ستتوسل إلينا فى النهاية ، لتمهر به اعترافك .. هذا لو حافظ  
الرجال على أصابعك لتفعل .

ثم هتف فى حدة :

- ( إيفان )

دلف إلى الزنزانة رجل ضخم الجثة ، عريض الذقن والمنكبين  
على نحو عجيب ، وضيق الجبهة والعينين على نحو أعجب ،  
وبدا بشغتيه الغليظتين وأنفه الأفطس وشعره الأشقر القصير ،  
وزيه العسكرى العريض ، أشبه بصورة هزلية فى قصة مصورة  
قديمة (\*) ، وغمغم بصوت خشن غليظ :

- أوامرك أيها الرفيق العقيد .

أشار ( كوزيريف ) إلى ( أدهم ) ، قائلاً :

- إننا نريد من هذا الرجل أن يوقع اعترافاً يا ( إيفان ) .

( \* ) القصص المصورة = فن يجمع ما بين الأدب والرسم ، من خلال  
سيناريو يتم تحويله إلى شرائح مصورة ، ظهرت محاولاتها الأولى عام  
١٨٢٠ م ، ثم ولدت رسمياً مع ظهورها بشكل منتظم فى الولايات المتحدة  
الأمريكية عام ١٨٩٦ م ، واليوم تعدّ من أشهر وسائل التعبير وأكثرها  
انتشاراً .



زمر الرجل ، وهو يقول :

- كما تامر أيها الرفيق العقيد .

تألفت عينا ( كوزيريف ) وهو يستدير إلى ( آدهم ) ، قائلاً :

- الجندي ( إيفان ) هو المسئول عن انتزاع الاعترافات هنا .

وهو رقيق القلب ، حتى أنهم يطلقون عليه اسم

( إيفان الرهيب ) ( \* ) ، وقدرته على انتزاع الاعترافات ، وتمزيق

عناد المعارضين أسطورية ، ولكن هؤلاء الذين يقاومونه لا يتبقى

منهم في النهاية ما يكفي حتى لتوقيع أية ورقة ، سوى شهادة

وقاتهم .

قال ( آدهم ) في سخرية ، متصنعاً الخوف :

- يا إلهي ! .. إنني أرتجف رعباً .

بدأ الغضب على وجه ( كوزيريف ) ، وهو يقول :

- سنرى أيها المصري .. سنرى .

قالها ، واندفع يغادر الزنزانة ، هاتفاً :

- إنه لك يا ( إيفان ) .

وتألفت عينا الوحش الآدمي ، وهو يخرج من جيبه أداة

طويلة ، ذات طرف حاد مدبب ، وهو يقول في جدل :

- أوامر أيها الرفيق العقيد .

( \* ) إيفان الرهيب : أحد قياصرة روسيا ( ١٩٣٠ - ١٩٨٤ م ) .. توج

قيصرًا عام ١٩٤٧ م ، وبدأ توسع ( روسيا ) في ( آسيا ) و ( سيبيريا ) ،

وقبش في حربه مع ( السويد ) و ( بولندا ) ، قاوم النبلاء ، وقرب

العامة ، وشجع التجارة الخارجية مع ( إنجلترا ) . ثم فقد اتزانته العقلي ،

حتى قتل ابنه الأكبر .

وفى نفس اللحظة ، التي صفق فيها ( كوزيريف ) الباب

خلفه في قوة ، كان ( إيفان ) ينقض على ( آدهم ) ، ومن عينيه

تطل نظرة رهيبية ..

نظرة وحش مفترس ..

\* \* \*

كانت عقارب الساعة تتجاوز الثالثة صباحاً في ( القاهرة ) ،

عندما اجتمع فريق من قادة المخابرات العامة المصرية حول

مائدة الاجتماعات الكبيرة ، في مبنى المخابرات ، في ( حدائق

القبة ) ، وأدار المدير عينيه في وجوههم ، قبل أن يقول في

اهتمام مشوب بالتوتر :

- الموقف أصبح أخطر مما يمكن السكوت عليه يا رجال ..

لقد اعتقل السوفييت ( ن - ١ ) بالفعل ، ولم ينجح في الفرار

منهم هذه المرة ، ومن الواضح أنهم سيفعلون معه كل

ما بوسعهم ، ليثبتوا للعالم كله أننا نحاول التجسس عليهم .

قال أحد الرجال في اهتمام :

- لا ريب في أنهم - كعادتهم - سيحاولون انتزاع اعتراف

بهذا من ( آدهم ) ، بكل الوسائل الممكنة .

هز آخر رأسه ، قائلاً في حزم :

- لن ينجحوا مهما فعلوا .. فكلنا نعرف ( آدهم ) جيداً ، إنه

يفضل الموت الف مرة ، على الاعتراف الكاذب بتورط ( مصر )

في عمل كهذا .

مطّ ثالث شفطته ، وهو يقول :

- ( آدهم ) مجرد بشر ، وربما ينهار أمام تعذيبهم الرهيب .

مطّ الأول في حماس



- ( أدهم ) ينهار ؟ .. هراء .. ( أدهم ) لن ينهار حتى ولو حاولوا فرمه حياً .

بدا الضيق على وجه مدير المخابرات ، وهو يرفع يده ، قائلاً :  
- كفى أيها السادة .. لسنا هنا لمناقشة صلاية ( أدهم )  
وقدراته ، فالموقف أخطر من هذا بكثير .. السوفيت لديهم  
وسائل لا تنفع معها القوة أو الصلاية ، وحتى لو فشلوا في  
انتزاع اعتراف قهرى من ( ن - ١ ) ، فلن يتورعوا عن تزيف  
اعتراف ملفق ، وكلكم درستם أساليبهم هذه .. السؤال المهم الآن  
هو ما مصير ( ن - ١ ) ، وكيف يمكنه أن يواجه محنته ؟ .. وهل  
توجد وسيلة لمعاونته على تجاوزها ؟

قال أحد الرجال في اهتمام :

- معذرة يا سيدي ، ولكن هذه الأسئلة تعيدنا مرة أخرى إلى  
الحديث عن قوة ( أدهم ) وصلابته ، فمن رأى أنه سيقاوم حتى  
آخر رمق ، مهما كانت الضغوط والألام ، أما عن مصيره ،  
فالرغبة تسرى في أوصالى ، عندما أحاول تخيله .  
اندفع آخر يقول :

- سيتحكمونه علانية بالتأكيد ، ثم يأتى حكمهم قاسياً .

تمتم ثالث بصوت يجمع بين الرهبة والشفقة :

- الإعدام .

فعلّق رابع بسرعة :

- هذا لو كان حكمهم مشمولاً بالرافة .

هزّ المدير رأسه فى ببطء ، وهو يستوعب ما قالوه ، ثم سأل :

- كيف يمكننا أن نعاوننه على التصدى لهذا إذن ؟

قال أحد الرجال فى حماس :

- ماذا لو قمنا بعملية انتحارية ، بالتعاون مع القوات  
الخاصة المصرية ؛ لتهدية من سجنه ، وإعادته إلى ( مصر ) ؟  
هزّ المدير رأسه نفياً ، وهو يقول :

- خبراًؤنا درسوا هذه الفكرة ، وقدروا استحالة تنفيذها ،  
فالسوفيت يحتفظون بـ ( أدهم ) فى سجن خاص بالجواسيس ،  
محاط بحراسة مكثفة للغاية ، ووسائل مراقبة لا تتوقف لحظة  
واحدة ، وهو داخل مقر مخابراتهم ، ويتصل بجهاز خاص ،  
ينسف الزنازين كلها بضغطة زر ، ويشعل فيها النيران ، عند  
أول محاولة لاقتحام المكان .

قال أدهم فى حذر :

- ربما كان هذا حلاً .

تطلع إليه الجميع فى دهشة واستنكار ، وعقد المدير حاجبيه

فى شدة ، وهو يسأله :

- ماذا تعنى ؟

أدار الرجل عينيه فى العيون الغاضبة ، وهو يجيب :

- أعنى أن السلاح القوى فى أيدي السوفيت ، لتلفيق تهمة

التجسس لنا ، هو ( أدهم ) نفسه ، ولو تعقدت الأمور أكثر ، ولم

يعد من الممكن تفادى الأمر ، فربما يكون الحل الوحيد هو ...

قاطعته المدير فى صرامة غاضبة :

- لا تنطقها .

هزّ الرجل كتفيه ، قائلاً فى حزم :

- من حقى طرح وجهة نظرى .. هذا هو النظام المتبع هنا .

أجابه المدير :

- هذا صحيح ، ولكننا لن نلجأ إلى هذا الأسلوب قط ، مهما

كانت الظروف .



قال الرجل فى إصرار :

- إنها ( مصر ) كلها مقابل رجل واحد .

صمت الجميع فى ضيق ، وبدت لهم الفكرة ، على الرغم من بشاعتها ، منطقية للغاية ، إلا أن المدير قال فى حسم :

- الخبراء قالوا : إنه من المحتمل أن تباد الفرقة الانتحارية عن بكرة أبيها ، قبل حتى أن تصل إلى مداخل السجن .. لا تنسوا أنهم سيقاثلون فى قلب دولة قاسية لا ترحم ، ولها مقاتلوها الأشداء أيضاً .

اندفع أحد الرجال ، يقول فى اهتمام :

- وماذا عن عميلنا هناك يا سيدي ؟

أشار المدير بأصابعه ، قائلاً :

- سبق أن أخبرتكم أن عميلنا هذا ليست لديه الصلاحية ..

قاطعه الرجل بسرعة وحماس :

- لست أقصد هذا العميل يا سيدي المدير .. أقصد الآخر .

انعقد حاجبا المدير فى شدة ، وسرت همهمة بين الآخرين ، سار بعدها الصمت لدقيقة أو يزيد ، والعيون كلها متعلقة بوجه المدير ، الذى داعب نغنه بسبائته وإبهامه ، قبل أن يقول :

- عميلنا الآخر هذا يحتل موقعاً خاصاً ، فى جهاز المخابرات السوفيتى ، وأية محاولة منه للتدخل لإنقاذ ( ن - ١ ) ، قد تؤدى إلى كشف أمره .

قال الرجل فى حسم :

- ألا يستحق ( أدهم ) هذا ؟

صمت المدير لحظات أخرى ، وهو يدرس الأمر فى عمق ، وغمغم وكأنه يتحدث إلى نفسه بصوت مسموع :

- لو أننا غامرنا بكشف عميلنا الهام هذا ، فلابد وأن نكون مستعدين لبذل الكثير من الجهد ، لإعادته مع ( أدهم ) إلى هنا ، فنحن لا نتخلى عن عملائنا قط .

وصمت بضع ثوان إضافية ، ثم تنهّد ، قائلاً فى حزم :

- فليكن .. سنطرح الفكرة على الخبراء ، ونترك لهم تقدير هذا الموقف .  
سأله رجل منهم فى قلق :

- وحتى يتخذ الخبراء قرارهم ، ماذا تفعل بشأن ( ن - ١ ) ؟  
تنهّد المدير قائلاً :

- ليس لدينا للأسف ما نفعله فى الوقت الحالى ، وليس أمامنا سوى أن نعتمد على مهارته وقدراته .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

- وعلى صلابته أيضاً .

وفى هزم المرة لم يعلّق أحدهم على العبارة بحرف واحد ..  
وران على حجرة الاجتماعات صمت مهيب ..  
ورهيّب ..

\* \* \*

انقضّ ( إيفان ) على ( أدهم ) فى وحشية ، وغيّاه تطلقان ضحكة جذلة ، تشفّ عن استمتاعه بعملية انتزاع المعلومات هذه ، وأصابعه تقبض على أدوات الحادة فى قوة ، وتستعد لغرسها فى جسد ( أدهم ) ، الذى وقف ساكناً هادئاً ، كأنما لا يدرك ما سيفعله به هذا الوحش الأدمى ..  
ولكن فجأة ، وعندما أصبح ( إيفان ) على مسافة متر واحد منه ، تحرك ( أدهم ) ..



نفخ عن نفسه الصمت والسكون والهدوء بغتة ، وتحول  
فى لمح البصر إلى كتلة من النشاط والحيوية ، وهو يمسك  
معصم ( إيفان ) بأصابع من فولاد ، قائلاً فى سخرية :  
- رويدك أيها الثور .. الحظيرة ليست هنا .

ثم انطلقت قبضته اليمنى لتنفجر فى أنف السوفيتى ، فى  
نفس اللحظة التى لوى فيها معصمه فى قوة ، وأجبره على  
إفلات الأداة الحادة ، التى سقطت بين قدميه ، و ( إيفان ) يطلق  
صرخة مخنقة متحشجة ، وسباباً عنيفاً ، أخرسه ( أدهم )  
بلكمة أخرى فى فكه ، تحطمت لها إحدى أسنانه الأمامية  
بصوت مسموع ..

وفى ثورة ولدها الغضب والآلم ، صرخ ( إيفان ) ، وهو  
يقبض على وسط ( أدهم ) بذراعيه :  
- أيها المصرى لك ...

قاطعه ( أدهم ) بلكمة ثانية فى أنفه ، وهو يقول :  
- إياك أن تنطقها أيها الوغد .

تفجرت الدماء من أنف ( إيفان ) ، واغرقت النصف السفلى  
لوجهه ، ولكنه لم يحل ساعديه عن وسط ( أدهم ) ، وإنما واصل  
الضغط عليه بكل قوته ، وهو يطلق صرخاته الوحشية ، وشعر  
( أدهم ) بقوة الضغط ، الذى يكاد يهشم عموده الفقرى ، فدفع  
ركبتيه إلى أعلى ، والتقط السلسلة المعدنية ، التى تربط ساقيه  
إلى الجدار ، وأدار قدميه فى مرونة مذهشة ، ثم أحاط عنق  
( إيفان ) بالسلسلة المعدنية ، قائلاً :

- هيا أيها الوغد .. دعنا نجر اختبار القوة هذا ..

واصل ( إيفان ) ضغط ساعديه على صدر ( أدهم ) ، فى نفس

الوقت الذى شد فيه ( أدهم ) من ضغط السلسلة على عنقه ،  
حتى أطلق الوحش السوفيتى حشرجة خشنة ، وبدأ ساعده  
يتراخيان حول صدر ( أدهم ) ، الذى قال فى سخرية شديدة :  
- آه .. عظيم .. يبدو أن النتائج ستظهر بأسرع مما كنت  
أتصور .

أطلق السوفيتى حشرجة أخرى ، وجحظت عيناه فى شدة ،  
وسقط على ركبتيه ، وتدلى لسانه خارج فمه ، و ...  
واقترح رجال الحراسة الزنزانة ، وهم يصوبون إليه بنادق  
بدائية ، أشبه ببنادق الصيد ، ومن خلفهم ظهر ( كوزيريف ) ،  
وهو يهتف :

- أطلقوا أسلحتكم عليه .. هيا .

جذب ( أدهم ) ( إيفان ) من عنقه فى سرعة ، وصنع من  
جسده درعاً يقيه طلقاتهم ، عندما ضغطت سبائباتهم أزنة  
البنادق ..

ولم تنطلق من البنادق رصاصات عادية ..

لقد انطلقت منها أسهم صغيرة ، انغرست كلها فى جسد  
( إيفان ) ، الذى جحظت عيناه أكثر ، وهمهم بعبارة روسية  
مبهمة ، ثم تهاوى رأسه على صدره ، وتراخى جسده تماماً ..  
ومرة أخرى ، صرخ ( كوزيريف ) :

- أطلقوا أسلحتكم .. لا تسمحوا بالتمادى .. إنه سجيننا .

قفز الرجال داخل الزنزانة ، وأحاطوا بـ ( أدهم ) من كل  
جانب ، وانطلقت من بنادقهم مرة أخرى تلك الأسهم الصغيرة ..  
وشعر ( أدهم ) بسهم منها ينغرس فى ساقه ، وآخر فى  
ذراعه ، وثالث فى عنقه ..



لم يكن الألم شديداً كما توقع ، ولكن المخدر سرى في موضع الإصابات على الفور ، ثم انتشر منه بسرعة مدهشة ، وتساعد إلى رأسه ، وأحاط به ...

ولم يدر بعدها ماذا حدث .. فقط أظلمت الدنيا بغتة ، وتلاشى شعوره ، و .. وسقط فاقد الوعي ..

وفي لهفة ، أسرع الجنود يخلصون عنق ( إيفان ) ، ويبعدونه عن ( أدهم ) ، وأحدهم يقول في دهشة :

- عجباً ! .. أول مرة أرى فيها شخصاً يفعل هذا بـ ( إيفان ) . وقمهم آخر :

- سيفضيه هذا كثيراً .

وأضاف الثالث :

- ترى ماذا سيفعل ، عندما يستعيد وعيه ؟

أجابه الأول ، وهو يلقي نظرة على ( أدهم ) :

- سيثار لكرامته حقاً .

قال ( كوزيريف ) في صرامة :

- هذا أفضل .

انتبه الجنود ، في هذه اللحظة فقط ، إلى أنهم يتحدثون في وجود رئيسهم ، فشحبت وجوههم ، وارتجفت أطرافهم ، وغمغم أحدهم متوتراً :

- معذرة أيها الرفيق العقيد .. إننا لم ..

قاطعه ( كوزيريف ) مواصلاً حديثه ، وكأنه لا ينتبه حتى إلى وجودهم ، وهو يتطلع إلى ( أدهم ) في مقت شديد :

- فعندما يعود ( إيفان ) إلى هنا ، سيكون لديه ما يكفى من الغضب ليؤدى عمله مع هذا الرجل على أكمل وجه .

تبادل الجنود نظرة متوترة ، وأطلقت الشفقة من عيون أحدهم ، وهو يتخيل ما يمكن أن يفعله ( إيفان ) مع ( أدهم ) عندما يعود إليه بكل غضبه وثورته ، في حين أشار ( كوزيريف ) إلى هذا الأخير ، مستطرداً :

- أوثقوا هذا الرجل على فراشه بأغلال معدنية .. وأحوصوا على ألا تتركوا له وسيلة واحدة للفرار ، فلن أسمح بحدوث أى تجاوز في المرة القادمة ..

ثم عاد يتطلع إلى ( أدهم ) ، قبل أن يتابع :

- وعندما يستعيد ( إيفان ) وعيه ، دعوه يأتى إلى مكتبى أولاً ، قبل أن يبدأ عمله مع هذا الرجل ، فلدى ما أبلغه به بشأنه . قالها ، واقترب من ( أدهم ) الفاقد الوعي ، ومطّ شفتيه في بغض ، ثم أضاف في صرامة :

- فهو يختلف عن كل من تعامل معهم من قبل .. يختلف كثيراً .

قالها ، واستدار يغادر زنزانه ( أدهم ) في خطوات واسعة سريعة ، تاركاً الجنود الثلاثة ينفذون أوامره ، ويقيدون ( أدهم ) إلى فراشه في إحكام ، بحيث لا تعود لديه فرصة للنجاة من العذاب هذه المرة .. أدنى فرصة .



أوقف ( مائير شالوم ) سيارته في تلك المنطقة المقفرة ، على مشارف ( هلسنكي ) ، وترجل منها متجهاً إلى منزل قديم مهجور ، ودار حوله في خطوات واسعة ، قبل أن يقع بصره على ( هال ) ، الذي يقف إلى جوار سيارته ، وشفتاه تحملان ابتسامة لزجة مقببة ، وسمعه يقول في حماس مصطنع :  
مرحباً يا عزيزي ( شالوم ) .. كنت أنتظر بكفارغ الصبر .  
سأله ( شالوم ) في صرامة :

- ماذا تريد بالضبط يا ( هال ) ؟ ..

أجاب ( هال ) في سرعة :

- رؤيتك يا عزيزي ( هال ) .. لقد أوحشتني كثيراً ، منذ آخر لقاء لنا في منزلك ، و ...

قاطع ( شالوم ) مرة أخرى بصرامة أكثر :

- ماذا تريد بالضبط يا ( هال ) ؟ ..

مط ( هال ) شفتيه ، وهو يقول :

- أه .. إذن فانت تفضل الدخول في الأمر مباشرة .. فليكن ..  
لقد طلبت مقابلتك للبحث بشأن المكافاة .

سأله ( شالوم ) في غلظة :

- أية مكافاة ؟ !

أجاب ( هال ) :

- مكافأتي الخاصة بتعاون عميلنا السوفيتي معكم .. أليس

هذا ما اتفقنا عليه من قبل ؟

بدأ الغضب في وجه ( شالوم ) وصوته ، وهو يقول :

- أعتقد أنك حصلت على مكافأتك بالفعل يا ( هال ) .

أجاب ( هال ) في شراسة :

- لا تحاول التملص من الاتفاق يا ( شالوم ) ، وإلا ..

قاطع ( شالوم ) في حدة :

- وإلا ماذا ؟ !

أجاب ( هال ) في صرامة :

- وإلا فستندمون كثيراً يا سيّد ( شالوم ) .

قال ( شالوم ) بصوت هادر :

- أتهديد هذا يا ( هال ) ؟ !

أجاب ( هال ) في عنف :

- بل إنذار يا سيّد ( شالوم ) .

ثم مال نحوه ، مستظرفاً في عصبية شديدة :

تتصورون أنكم أنكم أهل الأرض ، وأكثرهم خبثاً وبراعة ، وأنكم قادرين على خداع أي مخلوق في الكون ، ولكن هذا

لن ينطبق على .. لقد كنت أعلم أنكم ستحاولون التنصل من

الاتفاق ، أو التهرب من دفع المكافآت الإضافية ، بل وتولّعت أن

تحاولوا التخلص مني أيضاً ، لذا فقد استأجرت مخبراً خاصاً ،

لتصوير وتسجيل كل مقابلاتنا السابقة .. سواء تلك التي تمت

بيننا وحدنا ، أو التي التقيت فيها بنا مجتمعين .

احتقن وجه ( شالوم ) وهو يقول في غضب هادر :

- سجلت كل المقابلات ؟ ! .. أمجنون أنت يا رجل ؟ !

أجاب ( هال ) في حدة :

- بل رجل عاقل ونكي وحريص أيضاً يا سيّد ( شالوم ) ..

نعم .. لقد سجلت كل مقابلاتنا ، وأودعت التسجيلات مكاناً



أميئاً ، واتخذت ما يلزم من الإجراءات والترتيبات ، بحيث يتم تسليمها لرجال الصحافة وأجهزة الأمن لو أصابني أى مكروه .

احتقن وجهه ( شالوم ) أكثر ، وهو يقول :

- أيها الـ ..

قاطعته ( هال ) فى صرامة :

- لا تقل شيئاً يا سيد ( شالوم ) وإلا طالبتك بأجر إضافي لقاء كل ما تتفوه به .. واسمعتنى جيداً .. أريد مليونى دولار إضافية .. وقبل مضى اثنين وسبعين ساعة من الآن ، وإلا ..

وصمت لحظة ، ليطلق زفرة حارة ، قبل أن يكمل :

- وإلا فسندفعون أقدح ثمن دفعتموه ، فى حياتكم كلها .

واقترب منه أكثر ، ليضيف فى حدة :

ستقتل لعبتكم مع المصريين وينفضح امرها .

قالها ، وتراجع عاقداً حاجبيه فى صرامة ، ثم استدار ،

واتجه إلى سيارته ، وقد تضاعف احتقان وجهه ( شالوم ) مرتين

على الأقل ، وهو يراقبه فى صمت مقعم بالبغض والكراهية ،

حتى أدار محرك سيارته ، والتفت إليه ، قائلاً فى صرامة :

- تذكر جيداً يا سيد ( شالوم ) .. اثنان وسبعون ساعة فقط ..

والوقت يمضى دائماً بأسرع مما نتوقع .

ثم انطلق مبتعداً بسيارته ، تاركاً ( شالوم ) خلفه يكاد

ينفجر غيظاً وغضباً ، وعقله يبحث عن الوسيلة المثلى للتخلص

من هذه المشكلة الجديدة .. وإلى الأبد ..

\* \* \*

اطرق ( إيفان ) بوجهه فى أسى ، وراح يفكر كيفيه فى

ارتباك ، وهو يقف أمام ( فيدور كوزيريف ) ، فى حجرة مكتب

هذا الأخير ، الذى رمقه بنظرة صارمة غاضبة ، قبل أن يقول :

- من الواضح أنك لم تعد كسابق عهدك يا ( إيفان ) .. لقد

استطاع ذلك الرجل خداعك ، وتمكن من التغلب عليك فى دقائق

معدودة ، ولولا وصولنا فى الوقت المناسب لانتهى أمرك تماماً .

تتم ( إيفان ) فى خفوت ، كتلميذ فاضل يتلقى العقاب :

- لن يحدث هذا ثانية أيها الرفيق العقيد .. هذا وعد ..

أشار إليه ( كوزيريف ) فى حدة ، قائلاً :

- لا تعد بما لا يمكنك الوفاء به ..

قال ( إيفان ) فى دهشة :

- لا يمكننى الوفاء به ؟ .. كيف أيها الرفيق العقيد ؟ ! ..

الرجل فى قبضتنا ، وسأبدأ عملى معه بعد مغادرتى مكتبك ،

والرفاق يؤكدون أنه مقيد فى فراشه بأغلال حديدية !

قال ( كوزيريف ) فى صرامة :

- هذا بالضبط ما أردت مقابلك بشأنه .

ثم نهض من مقعده ، ودار حول مكتبه ، متابعاً :

- هذا الرجل بالذات يختلف عن كل من تعاملت معهم من

قبل .. إنه يمتلك مزيجاً من خبث الثعالب ، وخفة الفهود ، وذكاء

الذئاب ، وشجاعة الأسود ، ولا يمكنك أن تتوقع قط ما يمكن أن

يفعله ، مما يعنى أنه من الضروري أن تظل متحفزاً ومتاهباً

طوال الوقت .

سأله ( إيفان ) فى حيرة :

- حتى وهو مقيد إلى فراشه ؟ !

أجابته فى صرامة :

- حتى ولو كان داخل كرة مختومة من الصلب ، فى أعماق

المحيط ، وفوقه ألف طن من الفولاذ .



ظهرت الحيرة على وجه ( إيفان ) أكثر وأكثر ، ولكنه غمغم :  
- كما تأمر يا سيدي .

كانت عبارة سخيصة ، لا تناسب الموقف ، إلا أن ( كوزيريف )  
تجاهلها تمامًا ، وهو يقول :

- لاحظ أيضًا أن ذلك الرجل أكثر صلابة من المعتاد ، ويمكنه  
أن يتحمل أضعاف ما يتحمله الآخرون ، فلا تدخر جهداً في  
التعامل معه .

ارتسمت ابتسامة متلذذة على شفتي ( إيفان ) ، وهو يقول :  
- أنا لا أدخر جهداً مع أحد ، أيها الرفيق العقيد .

مط ( كوزيريف ) شففيه ، وأوما برأسه إيجاباً ، وهو يقول :  
- عظيم .. انذهب لتؤدي مهمتك إذن يا رجل .

أدّى ( إيفان ) التحية العسكرية في قوة ، وقال في حماس  
نفس جملته المملة :  
- كما تأمر يا سيدي .

قالها ، واتجه على الفور إلى سجن الجواسيس ، وفتح  
زنزانة ( أدهم ) ، وتطلع إليه في سقت ، قبل أن يقول في  
صرامة :

- ها نحن ذا نلتقي ثانية أيها الجاسوس .

كان ( أدهم ) يرقد مقيداً إلى فراشه ، ولكنه تطلع إليه بنظرة  
ساخرة ، وهو يقول متهمكاً :

- دعني أتذكر أين رأيتك من قبل يا ملك الثيران .. في حديقة  
حيوان ( موسكو ) ، أم في حظيرة المواشي في ( ليننجراد ) !

التقى حاجباً ( إيفان ) في غضب ، وهو يقول :

- اسخر ما شئت أيها الجاسوس ، فبعد دقائق سيعلو

صراخك ، حتى يغطي هزيم الرعد ، وستتوسل إلى أن اتوقف .  
قال ( أدهم ) ساخراً :

- يا إلهي ! .. إنني أرتجف هلعاً .. هل تسمح لي بالتوسل  
إليك الآن يا ملك الثيران ، حتى تشيح عني بوجهك القبيح هذا ،

قبل أن أفرغ محتويات معدتي من شدة الإشمئزاز ؟  
تضاعف غضب ( إيفان ) وهو يهتف في ثورة :

- سأجعلك تدفع الثمن غالياً أيها الجاسوس .

قالها ووضع يده في جيبه ، ليلتقط أداته الحادة الرفيعة ،  
ثم التقى حاجباً مرة أخرى ، وهو يبحث عنها في توتر ،  
وغمغم :

- اللعنة ! .. لقد اختلقت .. أين هي ؟

قفز إلى ذهنه بغتة مشهد صراعه السابق مع ( أدهم ) ،  
فهتف :

- آه .. لقد فقدتها هنا .

دارت عيناه في أرض الزنزانة لحظات ، ثم انحنى ليرى  
عن أداة التعذيب أسفل الفراش ، الذي تم تقييد ( أدهم ) فوقه ،  
ولكنه لم يعثر عليها أيضاً ، وعندما أخرج رأسه من تحت  
الفراش ، فوجئ بالأداة أمام عينيه ، بين سبابة ( أدهم )  
وإبهامه ، وهو يقول في سخرية :

- هل تبحث عن هذه ؟

انتفض ( إيفان ) في ارتياح ، وهب واقفاً على قدميه ، وحدق  
ذاهلاً في ( أدهم ) ، الذي تجرر من قيوده ، ووثب نحوه ، قائلاً :

- دعني أشكر كثيراً على أدائك الطريفة هذه .

وكال له لكمة كالقبلة ، مضيقاً :





ثم لكمه في معدته لكمة قوية ، انثنى لها الثور  
السوفيتي ، وهو يطلق شهقة ألم قوية ..

- لقد سرقتها منك في أثناء صراعنا السابق ، واحتفظت بها  
اسفل الوسادة .

ثم لكمه في معدته لكمة قوية ، انثنى لها الثور السوفيتي ،  
وهو يطلق شهقة ألم قوية ، و ( أدهم ) يتابع :  
- وعندما استعدت وعيي ، دفعت الوسادة برأسي ،  
والتقطت أذاك بأسناني .

وضم قبضتيه ، ليهوى بهما مجتمعين على مؤخرة عنق  
الرجل ، مستطردًا :

- ولا تسألني كيف استخدمتها لحل قيودي .

هوى السوفيتي أرضًا ، واستقبلته ركبة ( أدهم ) في انفه  
مباشرة ، فانطلق من حلقه خوار مزعج ، قبل أن يسقط على  
وجهه فاقد الوعي ..

ولم يضع ( أدهم ) ثانية واحدة ..

لقد تحرك في سرعة نحو باب الزنازة وعالج رتاجه بالأداة  
الرفيعة في خفة ، حتى استجاب له ، ففتح الباب ، وتلفت حوله  
في حذر ، قبل أن يبتسم في سخرية ، متممًا :

- بالبراعة السوفيتية !! .. لا يوجد حارس واحد في الممر .  
كان يدرك جيدًا ، طبقًا للمعلومات التي حصلت عليها  
المخابرات المصرية ، أن هذا الممر ينتهي بحجرة الحراس ، التي  
لا بد من عبورها ، للوصول إلى الساحة الرئيسية للسجن ،  
والتي تقود بدورها إلى ساحة مبنى المخابرات السوفيتية ..  
وهذا يعني أن محاولة الهروب من هذا المكان عسيرة  
للغاية !

بل هي مستحيلة ! .. طبقًا لكل المقاييس الأمنية المعروفة ..



ولكن هذا ما برع فيه ..  
أن يتحدى المستحيل ..  
ويحطمه ..

وبسرعة عاد ( أدهم ) إلى ( إيفان ) الفاقد الوعي ، وراح  
يفتش ثيابه جيداً ، إلا أنه لم يعثر على أية أسلحة ، فتطلع إلى  
الأداة الحادة الرفيعة ، وغمغم ساخراً :

- عجباً ! .. يبدو أنني لن أملك سلاحاً سواك في هذه  
المرحلة .

قالها ، وتحرك في خفة ، عائداً إلى الممر ، وانطلق عبره في  
حذر ، حتى بلغ حجرة الحراس ، فالتصق بالجدار ، واختلس  
البنظر إليها ..

كان هناك ستة من رجال الحراسة في الحجرة ، وكل منهم  
يحمل مدفعاً آلياً ، وقد انهمك اثنان منهم في تناول طعام  
العشاء ، في حين جلس ثالث عند باب من الصلب ، يقود إلى  
ساحة السجن ، وراح الثلاثة الباقون يتبادلون الأحاديث ..  
كان أحدهم يقول :

- كان من المفترض أن أقف لحراسة الممر ، ولكنني لم أعد  
أحتمل صرخات الألم والعذاب ، التي يطلقها أولئك المساكين ،  
عندما يبدأ ( إيفان ) الرهيب في التعامل معهم ، لذا فقد أتيت  
إلى هنا قراراً من هذا .  
ضحك آخر ، قائلاً :

- العجيب أن ( إيفان ) اللعين يستمتع بكل لحظة من عمله  
الحقير هذا .  
هز ثالث كتفيه ، وقال :

- هذا دأبه منذ أن تولّى هذا العمل .. من الواضح أنه يعاني  
شيئاً من الخلل العقلي ، أو أن أحدهم قد عذبه في طفولته .  
قهقه الأول ضاحكاً ، وقال :

- قل لي يا رجل : هل قررت أن تترك مهنتنا ، وتلتحق بكلية  
الطب لدراسة الطب النفسي ؟ !  
عاد الثالث يهز كتفيه قائلاً :

- وهل تعتقد أنه من السهل أن يترك المرء مهنة كمهنتنا ؟  
قال الرجل الجالس عند الباب في خشونة :

- ومن يرغب في تركها ؟ ! .. إنني أحب هذه المهنة .  
ضحك أحد الرجال الثلاثة ، قبل أن يقول :

- بالتأكيد .. إنها المهنة الوحيدة ، التي تمنحك حق اعتقال  
وقتل الآخرين دون مساءلة .  
شعر ( أدهم ) بالضجر من حديثهم ، فترك موقعه ودف إلى  
حجرتهم بغتة ، وهو يقول بالروسية :

- مساء الخير أيها الأوغاد .. هل تسمحون لي بالانضمام  
لكم ؟  
التفت إليه الرجال الستة في ذهول ، واتسعت عيونهم عن  
آخرها ، وهتف أحدهم :

- كيف ...  
ولم يكمل السؤال قط ..  
ففي نفس اللحظة التي ألقي فيها كلمته ، كان ( أدهم )

يضرب بقدمه المائدة ، التي جلس حولها الحارسان ليلقيها  
معهما ومع طعامهما أرضاً ، ثم ينقض على الرجال الثلاثة ،  
ويبهوى على فك أحدهم بكلمة كالقنبلة ، في نفس اللحظة التي



ركل فيها المدفع الآلى من يد الثانى ، ثم دار على عقبيه ، وركل الثالث فى معدته ، فاطلق الرجل شهبه قويه ، وهو ينتنى على نفسه ، فى نفس اللحظة التى هب فيها الجندى الجالس أمام الباب ، ورفع مدفعه ، هاتفا فى توتر شديد :  
- اللعنة ! .. إنها محاولة فرار .

لم يكذ ينطقها ، حتى وثب ( أدهم ) يتعلق بالثريا المتدلية من السقف ، واندفع معها نحو الرجل ، وتحركت قدماء فى أن واحد ، فركل أنفه باليسرى ، وأطاح مدفعه باليمنى ، قبل أن يغلت من الثريا ، ويهبط أمامه على قدميه قائلا :

- صدقت يا رجل .

ثم حطم أسنانه بلكمة خاطفة ، مضيفا :

- إنها محاولة فرار .

سقط الرجل أرضا كالحجر ، وتناثرت أسنانه المكسورة على الأرض ، فى نفس اللحظة التى نهض فيها الحارسان ، واستعاد الآخران توازنهما ، وقفز الأربعة محاولين استعادة أسلحتهم ؛ لقتل خصمهم القوي ، الذى انقض عليهم كالصاعقة ، وهو يهتف :

- ليس بهذه البساطة .

ولكم أدهم فى أنفه ، لكمة أودعها كل قوته ، فتراجع معها الرجل فى عنف ، وارتطم بالجدار فى قوة ، ثم ارتد عنه ، لتستقبله لكمة أخرى ، أسقطته فاقد النطق والوعى ..

ولكن الثلاثة الآخرين انقضوا على ( أدهم ) بدورهم ، قبل حتى أن يستعيدوا أسلحتهم ، وطوقه أدهم بذراعيه من الخلف ، وهو يهتف برفيقه :

- لقد شللت حركته .. عليكما به .

اندفع الرجلان نحو ( أدهم ) وكل منهما يستعد لتوجيه لكمة قوية له ، ولكن ( أدهم ) اعتمد بجسده على ذلك الذى يطوق ذراعيه من الخلف ، ورفع ساقيه عن الأرض ، ليركل مهاجميه بقدميه فى قوة ، واستغل القوة الناشئة عن ركلتيه ، ليدفع ساقيه إلى أعلى أكثر ، ثم يدور بهما إلى الخلف ، فى حركة شديدة المرونة ، أدهشت خصمه ، وأجبرته على إفلاته ، لتكتمل دورته ، ويهبط خلفه فى خفة ، قائلا :

- معذرة .. هل ضايقتك ابتعادى عنك ؟

ثم هوى على أنفه بلكمة كالصاعقة ، مضيفا :

- دعنا نقرب ثانية إذن .

تراجع الرجل مع عنف اللكمة ، وارتطم بزميليه ، قبل أن يستعيدا كامل توازنهما ، وسقط معهما أرضا ، فوثب ( أدهم ) ليركل أحدهما فى أنفه ، ثم دار على عقبيه فى خفة ، ليكلم الثانى فى فكه ، قبل أن يعتدل ، ويدير عينيه فى الرجال الستة ، الذين فقدوا وعيهم ، وافترشوا أرض الحجرة من حوله ، وغمغم فى سخرية :

- لم يكن الأمر بالصعوبة التى تصورتها .

ولكنه لم يكذ يتم عبارته حتى انعقد حاجباه فى شدة ، وقفزت ثورة الشك إلى أعماق أعماقه ..  
هذا صحيح ..

الأمر لم يكن بالصعوبة المفترضة ..

وهذا على الرغم من الشهرة الواسعة ، التى يحوزها سجن الجواسيس فى ( موسكو ) ، والتى تؤكد أن الفرار منه مستحيل ! ..



- الآن .

ولم يكذب يفعل ، حتى انفتح الباب المصنوع من الصلب ، في حجرة الحراس ، بمنتهى العنف ، واندفع عبره عشرة من رجال الكوماندوز السوفييت ، صوبوا اسلحتهم نحو ( ادهم ) ، في نفس اللحظة التي برز فيها عشرة آخرون من الممر ، وهم يصوبون اسلحتهم نحوه بدورهم ، قابتسم ( ادهم ) في سخريه وهو يقول :

- رائع .. إذن فانا أستحق كل هذا العدد بالفعل !

لم ينطق أحدهم بحرف واحد ، لكن قوّهات المدافع الآلية العشرين المصوّبة إليه ، وتلك النظرات الصارمة القاسية في العيون ، كانت كلها تعلن أن محاولة الهروب قد فشلت .. فشلت تماماً ..

\* \* \*

أطلقت نظرة ساخرة متشفية في عيني ( كوزيريف ) ، وهو يجلس خلف مكتبه ، وينطلع إلى ( ادهم ) ، الذي أحاط به عشرة من رجال الكوماندوز ، يصوبون إليه قوّهات مدافعهم الآلية في تحقّر ، ثم قال ملوْحًا بيده :

- هل تصوّرت أن الفرار من هنا أمر بسيط أيها الرفيق ( ادهم ) ؟ .. كان ينبغي أن تعلم أن هذا مستحيل تماماً ..

أجابه ( ادهم ) في هدوء :

- لا يوجد مستحيل في مثل هذه الأمور .. كلانا يعلم أن الفرار من أي سجن في الدنيا ممكن ، لأنه لا يجد قط جهاز أمني خال من الثغرات مهما بلغت دقته .

ضرب ( كوزيريف ) سطح مكتبه براحتة ، قائلاً في صرامة :

ومن غير الممكن أن تكون هذه الشهرة قد بنيت دون أساس .. وبالذات عندما تؤكد تقارير المخابرات السرية هذا ..

هناك إذن أمر غير طبيعي يحدث هنا ..

غير طبيعي على الإطلاق ..

وفي توتر ، راحت عيناه تفحصان المكان في سرعة وخفة ، ثم لم يلبث حاجباه أن انعقدا في شدة عندما توقّف بصره عند نقطة بعينها ..

عند عدسة تصوير ، تختفي بمهارة فائقة ، بين أحجار الجدار الأيسر ..

إذن فهناك من يراقب كل هذا ..

هناك من يعلم أنه يسعى للفرار ..

وربما منذ اللحظة الأولى ..

وفي نفس اللحظة ، التي تعلّق فيها بصره بعدسة التصوير ، والتي دارت فيها هذه الأفكار في ذهنه ، انعقد حاجبا ( كوزيريف ) وهو يتطلع إلى صورته ، على شاشة المراقبة ، وغمغم :

- هذا الرجل ذكي وبارع بالفعل .. لقد كشف الأمر .

تمتعت ( هيلجا ) ، وهي تنفث دخان سيجارتها في بطء :

- لن يدهشي هذا .

أما ( جلجانوف ) فقال في عصبية :

- ماذا ينبغي أن نفعل الآن ، أيها الرفيق العقيد ؟

هزّ ( كوزيريف ) كتفيه ، وأجاب في بساطة :

- سننتقل إلى الخطوة الأخيرة أيها الرفيق الرائد ؟

قالها ، وضغط زراً إلى جواره ، وهو يقول ، دون أن يرفع

عينيه عن شاشة المراقبة :



- جهازنا خال من الثغرات تماماً .

قال ( أدهم ) بابتسامة ساخرة :

- هل تراهننى ؟ !

انعقد حاجبا ( كوزيريف ) ، وتراجع فى مقعده ، ومطأ شفتيه فى غضب ، قبل أن يقول :

- هذه ليست مشكلتنا الآن ..

ثم عاد يندفع إلى الأمام ، مستطرداً فى حدة :

- مشكلتنا الحقيقية هى عنادك وسخافتك أيها الرفيق ( أدهم ) .. لماذا ترفض التعاون معنا ، وتجبرنا على التعامل معك بكل العنف والقسوة ؟ ! .. كل مانريده منك مجرد اعتراف بسيط .

ابتسم ( أدهم ) فى سخرية قائلاً :

- أتريدنى أن اعترف بأن بلادى حاولت التجسس عليكم ؟

تألفت عينا ( كوزيريف ) ببريق عجيب ، أثار دهشة ( أدهم ) وحذره ، قبل أن يقول السوفيتى بلهجة تحمل شيئاً من الارتياح :

- ألم يحدث هذا بالفعل ؟

قال ( أدهم ) فى صرامة :

- ليس لدى وطنى أى مبرر للتجسس عليكم يا رجل .. صحيح أن العلاقات بيننا ليست على ما يرام ، لكن هذا لن يدفعنا لإحكام أنفسنا فى أموركم الداخلية .

لوح ( جلجانوف ) بسبابته فى وجه ( أدهم ) ، وهو يقول فى غضب :

- هل تحاول خداعنا يا رجل ؟

أجابه ( أدهم ) فى قوله :

- لست أحاول خداع أحد هنا أيها الرفيق .. إننى أخبركم بالحقيقة .. صدقوها أو ارفضوها .. هذا شأنكم ..

مطأت ( هيلجا ) شفتيها ، ونفثت دخان سيجارتها ، متممة :

- إنك تتحدث كثيراً بلا طائل .

أدار ( أدهم ) عينيه إليها ، والتقى حاجباه لحظة ، قبل أن يقول :

- هذا أفضل من أن أنفث الدخان طوال الوقت كقاطرة قديمة .

ابتسمت ساخرة ، ونفثت دخان سيجارتها بتتابع أنيق وقالت :

- ربما كان هذا أفضل ما يمكن فعله ، فى ظروف كهذه .

انعقد حاجبا ( كوزيريف ) فى حدة ، وقال فى غلظة :

- لا تريد أحاديث جانبية أيها الرفيق ( مارونسكى ) .

هزأت كتفيها ، وأشاحت بوجهها ، وعادت تنفث دخان سيجارتها فى بطة ، وعلى نحو متقطع ، فى حين قال ( كوزيريف ) :

- قل لى أيها الرفيق ( أدهم ) : هل كنت تنفذ أوامر رؤسائك ، عندما قدت طائرة التجسس إلى هنا .

التفت إليه ( أدهم ) وقال بسرعة :

- قل لى أنت أيها الرفيق ( كوزيريف ) : هل ستواصل هذه اللعبة حتى النهاية ؟

بدا التوتر على وجه ( كوزيريف ) ، وهو يتمتم :

- أية لعبة ؟ !



أما ( جلعانوف ) فصاح فى غلظة :

- احترس فى كلماتك يا هذا ، وإلا ..

قاطعه ( أدهم ) ، وهو يقول فى صرامة :

- اللعبة السوفيتية التقليدية أيها الرفيق ( كوزيريف ) ..

إنك تستدرجنى للحديث حول طائرة التجسس ، وتسجل كل

كلمة انطق بها ، حتى يمكنكم فيما بعد إعادة ترتيب كلماتى ،

ووضعها فى شكل اعتراف صريح ، يمكنكم بواسطته خداع

العالم أجمع .

شقيق ( جلعانوف ) فى دهشة ، وارتسمت ابتسامة ساخرة

على شفتى ( هيلجا ) ، فى حين التقى حاجبا ( كوزيريف ) فى

شدّة ، وهو يتسائل فى حيرة : كيف أدرك ( أدهم ) هذا ؟ ! ..

ولكنه لم يتوقّف كثيراً عند هذه النقطة ، وإنما قال فى

صرامة :

- اللعبة السوفيتية تطورت كثيراً فى الآونة الأخيرة ، أيها

الرفيق ( أدهم ) .

ثم ضغط زرّاً إلى جواره ، مستطرداً :

- هل حصلتم على ما يفيكم ؟

أتاه صوت عبر جهاز اتصال داخلى ، يقول :

- نعم أيها الرفيق العقيد .

وهنا ارتسمت على شفتى ( كوزيريف ) ابتسامة ظافرة ،

وقال :

- عظيم .. هل يمكنكم منحنا تجربة سريعة ؟

أجابته الصوت نفسه :

- بالتأكيد أيها الرفيق العقيد .. يمكننا منحك تجربة أولية

بعد عشر دقائق فحسب ، ولكن النتيجة النهائية ستحتاج إلى  
بعض الوقت لإتقانها .

لقى ( كوزيريف ) نظرة ساخرة متشفية على ( أدهم ) ، وهو

يقول عبر جهاز الاتصال :

- فليكن .. أنا فى الانتظار .

واتسعت ابتسامته الظافرة ، وهو ينتهى الاتصال ، ويواجه

( أدهم ) قائلاً :

- إننا لم نعد نكتفى بالتسجيلات الصوتية كسابق عهدنا ..

لقد أضفنا إليها ( الفيديو ) والكمبيوتر ، وأصبحنا نحصل على

نتائج مذهلة .

انعقد حاجبا ( أدهم ) دون أن يتبس ببنت شفة ، فى حين

نهض ( كوزيريف ) من خلف مكتبه ، وعقد كفيه خلف ظهره ،

وهو يتجه إلى ( أدهم ) مستطرداً :

- ففى حالتك مثلاً ، وطبقاً لخطة وضعتها بنفسى ، اكتفينا

بمراقبتك فى زفزانك ، ورأينا كيف تخلّصت من الأغلال ،

باستخدام أداة التعذيب ، التى سرقتها من ( إيفان ) ، وكيف

هاجمته ، وأفقدته وعيه .. والواقع أننا قرّرنا الاحتفاظ بالشريط

المسجل ، ليدرس رجالنا أساليبك ويتعلّموا من براعتك

ومهارتك .. وسنحتفظ كذلك بالشريط الآخر ، الذى سجلنا عليه

قتالك مع الجنود الستة ، فهو دليل على حسن تدريبك ، وقدراتك

القتالية العالية .. ولكننى أصارحك القول بأن هذا ليس السبب

الوحيد لاحتفاظنا بالشرائط المسجلة ، وإنما هناك سبب آخر

أكثر أهمية .

وتوقّف أمامه مباشرة ، وثألت عيناه فى شماته ، وهو

يضيف :



ان يستشف ما يدور فى اعماقه ، فى حين سال ( جلعانوف ) مباشرة :

- لماذا نستخدم الشروط إذن ايها الرفيق العقيد ؟  
قبل ان يجيب ( كوزيريف ) تعالى صوت نقات على باب حجرته ، فالتفت إليه قائلاً فى لهفة :

- البخل يا رجل  
دلف رجل قصير أصلع إلى الحجرة ، وهو يحمل شريطاً من اشرطة ( الفيديو ) ، ويقول :

- التجربة الأولى ايها الرفيق العقيد .  
اختطف ( كوزيريف ) الشريط من يد الرجل فى لهفة ،  
واسرع به إلى جهاز ( الفيديو ) وهو يقول :

- الآن سترى كيف تطورت أساليبنا ايها الرفيق ( أدهم ) .  
تعلق بصر ( أدهم ) بشاشة ( التليفزيون ) ، عندما بدأ الشريط عمله ، ثم التقى حاجباه فى شدة ، عندما رأى صورته على الشاشة ، وسمع صوته يقول :

- أعترف بأن بلادى حاولت التجسس عليكم .. لدى وطنى مبرر للتجسس .. العلاقات بيننا ليست على ما يرام ، وهذا يدفعنا لإقحام أنفسنا فى أموركم الداخلية .. إننى أخبركم بالحقيقة .

وتفجر غضب هادر فى اعماق ( أدهم ) ..  
لقد سجل السوفيت صورته وصوته ، وهو يتحدث مع ( كوزيريف ) ، وأجروا عليها بعض التعديلات ، بحيث حذفوا بعض الكلمات ، ودمجوا البعض الآخر ، ليبدا وكأنه يعترف بالتجسس بدلاً من أن ينفيه ..

وبكل غضبه ، قال ( أدهم ) :  
- أسلوبك حقير للغاية يا ( كوزيريف )

- سبب يتعلق بالخطأ الرئيسية .

تطلع ( أدهم ) إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :

- أعتقد اننى استطيع استنتاج خطتك الرئيسية هذه .

ابتسم ( كوزيريف ) دون أن يجيب ، فتابع ( أدهم ) :

- لو اننى وضعت نفسى فى موضعك ، واستعرت أسلوبك

فى التفكير ، لاستخدمت هذه الشروط المسجلة لأثبت أن

الجاسوس قد حاول الهرب .

قال ( كوزيريف ) فى هدوء :

- ولماذا أفعل ؟

أجابه ( أدهم ) :

لتبرر قتلى مثلاً ، فى أثناء محاولتى الفرار .

ظل ( كوزيريف ) صامئاً ، يتطلع إليه بضع لحظات ، ثم لم

يلبث أن انفجر ضاحكاً فجأة ، وقال :

- تفكير رائع ايها الرفيق ( أدهم ) ، ولكنه لم يصب كبد

الحقيقة مباشرة .

انعقد حاجبا ( هيلجا ) وهى تتطلع إلى ( أدهم )

و ( كوزيريف ) فى توتر ، فى حين غمغم ( جلعانوف ) فى حيرة :

- لم يصب كبد الحقيقة ؟

هتف ( كوزيريف ) ، وهو يواصل ضحكاته العالية :

- بالتأكيد .

ثم استدار فى حركة حادة إلى ( أدهم ) ، واستطرد فى جنل :

- إننا سنستخدم هذه الشروط المسجلة ؛ لنثبت محاولتك

للهروب بالتأكيد ، ولكن ليس كمبرر لقتلك .

انعقد حاجبا ( أدهم ) فى شدة ، وهو يتطلع إليه ، محاولاً



عنقه ، واعقبتهأ أخرى على رأسه ، فمادت به الأرض ، وتهاوى  
وسط الحجرة فاقد الوعي ..

وكان آخر ما رآه هو ابتسامه ( كوزيريف ) ..

ابتسامته الشامتة ..

والظافرة ..

\* \* \*

Eman

قهقهه ( كوزيريف ) ضاحكًا ، وهو يقول :

- لكنه فعّال تمامًا أيها الرفيق ( أدهم ) .. لقد حصلنا  
بوساطته على اعتراف صريح منك ، دون أن نبذل أدنى جهد  
لتعذيبك ، أو انتزاع المعلومات منك قسرًا ، فلقد أكد خبراؤنا  
أنك لن تدلى بمثل هذا الاعتراف قط ، حتى ولو أحرق ( إيفان )  
أطرافك واحدًا بعد الآخر .. ولم تكن أمامنا سوى هذه الوسيلة ،  
التي حققت نجاحًا مدهشًا .

وعاد يجلس خلف مكتبه ، وهو يستطرد :

- الآن لم نعد بحاجة إلى وجودك أيها الرفيق ( أدهم ) ..  
سنعرض الشريط المسجل بعد تعديله وإتقانه ، ونذيع اعترافك  
على العالم كله ، وبعدها نذيع محاولتك الفرار ، و ..  
قاطعه ( أدهم ) :

- ومصرعى .

ابتسم ( كوزيريف ) ساخرًا ، وهو يقول :

- كلا يا عزيزي الرفيق ( أدهم ) .. أنا رجل رقيق المشاعر  
أكثر مما تصوّر ، ولن يمكنني قتلك بهذه البساطة .  
وبرقت عيناه في شماتة ، وهو يضيف :

- سنكتفى بنفيك إلى ( سيبيريا ) ، واحتجازك في معتقل  
( فينوفيتشي ) هناك ، ونعلن للعالم كله نجاحك في الفرار .  
هتف ( أدهم ) في غضب ، وهو يهبط من مقعده ، ويندفع  
نحوه :

- أيها الوغد الحقير .

ولكن ضربة عنيفة بكعب مدفع إلى ، هوت على مؤخرته

٢٢٢

www.liilas.com/vb3



ساد صمت تام ، فى قاعة المشاهدة بمعنى المخابرات العامة المصرية ، وتعلقت عيون الحاضرين بشاشة كبيرة ، تنقل على الهواء مباشرة ، وقائع المؤتمر الصحفى الذى عقده السوفيت ، للإعلان عن محاولة التجسس ، وإبلاغ العالم بأن ( مصر ) تجاوزت وتحصنت الاعتراف الدولية ، وأرسلت طائرة رصد وتجسس إلى الاتحاد السوفيتى ..

واستعرض المسئول السوفيتى الذى رأس المؤتمر ، صور حطام الطائرة ، وأجهزة التجسس التى تم العثور عليها فيها ، ثم شرح كيفية إلقاء القبض على ( ادهم ) ، والتنكر الذى كان عليه ، عندما وقع فى قبضة رجال الكوماندوز ، وبعدها عرض الشريط الملفق ، الذى يحوى اعتراف ( ادهم ) ، وبعده أعلن أن الجاسوس قد نجح فى الفرار بمهارة مدهشة ، وأن المسئولين عن هذا تمت معاقبتهم بمنتهى الحزم ، وقبل أن يطالبه أحد الصحفيين بالدليل ، تم عرض الشرائط المسجلة ، التى تنقل تفاصيل محاولة ( ادهم ) الحقيقية للفرار ..

وعندما بدأ الصحفيون فى إلقاء أسئلتهم ، وقبل أن يحاصروا المسئول السوفيتى بها ، ظهر مسئول آخر ليعلن أن المؤتمر الصحفى قد انتهى ، وانسحب المسئول الأول ، متجاهلاً احتجاج الصحفيين ، وانتهى البث دون اعتذار أو تمهيد .. ولثوان ، ظل الجميع على صمتهم ، ثم لم يلبث أحدهم أن قطع ذلك الصمت ، وهو يقول :

- هل تعتقدون أن ( ادهم ) قد نجح فى الفرار بالفعل ؟

تبادل الكل نظرة طويلة ، قبل أن يقول المدير :

- الفرار من سجن الجواسيس فى ( موسكو ) ليس بالأمر السهل ، ولكن ( ن - ا ) قادر على فعله ، مهما بلغت صعوبته ، ولكم تعرفون هذا خيراً منى ، إلا أنه لو نجح فى هذا فعلياً ، سيجد السوفيت صعوبة فى الاعتراف بالأمر ..

سأله أحد الرجال فى قلق :  
- هل تعنى أن ( ادهم ) لم ينجح فى الفرار فعلياً يا سيدى ؟ ..

رياء .. أيعنى هذا أنهم قتلوه فى سجنه ؟

بدا الأسف على وجه المدير ، وهو يقول :

- أخشى أن هذا احتمال وارد ..

بدا التوتر على وجوههم جميعاً ، وتبادلوا نظرات قلقه ، ثم سأل أحدهم :

- ألا توجد احتمالات أخرى ؟

أجاب المدير فى سرعة وكأنما كان يتوقع السؤال :

- احتمال واحد ..

تطلعوا إليه جميعاً فى تساؤل ، فأضاف فى حسم :

- أنهم يحتفظون بـ ( ادهم ) ويرغبون فى تصفية كل ما يحمله من أسرار ومعلومات ، ولكنهم لا يرغبون فى حدوث أية مشكلات أو متاعب من جراء هذا ، ولا يحبون أن يطالب أحد باستعادته ، أو تحدث أية محاولة لإنقاذه ، لذا فهم يعلنون فراره ، لإلقاء المتاعب كلها خلف ظهورهم ..

اتسعت العيون فى هلع ، وهتف أحد الرجال :

- رياء ! .. لو أن هذا الاحتمال صحيح ، فهو يعنى أن ( ادهم )

سينقاسى الأمرين على أيديهم ..



- عجباً ! .. هل صرت شهيراً إلى هذا الحد ؟  
امتزجت الصرامة بالغضب في وجه ( فينوفيتشي ) ، وهو يقول :

- أه .. إذن فبعد رحلتك الشاقة ، من ( موسكو ) إلى هنا ،  
ما زالت لديك القدرة على السخرية . عظيم .. أراهن على أن  
عملية تهذيبك ستمثل تحدياً حقيقياً .  
ثم شد قامته واستطرد في صرامة أشد :

- اسمعني جيداً أيها المتحذلق .. لهذا المعتقل قواعده ، التي  
تختلف حتماً عن قواعد الفنادق الفاخرة ؛ فهنا يخلد الجميع  
للنوم في العاشرة مساءً ، وعقوبة من يتفوه بحرف واحد ، بعد  
هذه الساعة ، هي الجلد دون حد أقصى ، حتى تغطي الدماء  
جسده ، والاستيقاظ في الرابعة صباحاً ، فانا رجل شاعري ،  
أحب أن يشاهد المعتقلون شروق الشمس ، وهم يبدعون عملهم  
في قطع الأشجار وتخزينها ، ومن الطبيعي أنهم يواصلون  
عملهم هذا بلا انقطاع ، حتى الواحدة ظهراً ، ثم يتناولون طعام  
الغداء ، المكوّن من الخبز الجاف والجبن ، وبعدها يعاودون  
العمل دون توقف حتى التاسعة والنصف ، وعندئذ يتناولون  
وجبة أخرى من الجبن والخبز الجاف ، قبل أن يأوى كل منهم  
إلى فراش من القش ، ويحيط نفسه بغطاء من الصوف  
الخشن .. وينبغي أن تعلم أيضاً أن الخدمة هنا خمسة نجوم ،  
ومعنى هذا أن ارتكاب خطأ واحد يستوجب خمسة أنواع من  
العقاب .. هل فهمت حديثي جيداً ؟

نطق ( فينوفيتشي ) هذه العبارات بأقصى قدر ممكن من  
الغلظة والقسوة ، متوقعاً أن يحطم أعصاب ( أدهم ) ، لذا فقد

اندفع آخر يسأل :  
- وكيف يمكننا التأكد من الأمر أو ترجيح أحد الاحتمالين ؟  
أجابه المدير وهو يفكر في عمق :  
- سيحتاج هذا إلى إجراء اتصال بعميلنا هناك .. العميل  
الأكثر خطورة ..  
سأله أدهم :

- السنا نجازف بكشف أمره هكذا ؟  
أشار إليه المدير ، وهو يقول في حزم :  
- بالتأكيد ، ولكنك قلتها من قبل .  
وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يضيف :  
- ألا يستحق ( أدهم ) هذا ؟  
قالها ، وعاد الصمت يسود المكان ، ويفسح المجال لحديث ،  
دار في أعماق كل واحد من الحاضرين ..  
حديث يحمل كل الاهتمام ..  
وكل القلق ..

\* \* \*

اتخذ حاجبا ( أندريه فينوفيتشي ) ، قائد معتقل ( سيبيريا ) ،  
وتحوّل وجهه إلى صورة مجسّمة للصرامة ، وهو يتطلّع إلى  
( أدهم ) ، الذي قيّد معصماه وكاحلاه بأغلال معدنية ، ذات  
سلاسل قوية متصلة ، وأحاط به أربعة من حراس المعسكر ،  
يصوبون إليه مدافعهم الآلية في تحفّز ، وقال في حزم مخيف :  
- إن قانت ذلك الجاسوس ، الذي جرؤ على اختراق مجالنا  
الجوى بطائرة تجسس حقيرة  
ابتسم ( أدهم ) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :



أحلقه وأغضبه للغاية أن يبتسم هذا الأخير في سخرية ، ويقول بالروسية :

- كلاً للأسف ، فانا جاسوس ، ولا أجيد الروسية بقدر إجادتك لها .

احتقن وجهه ( فينوفيتشي ) في شدة ، وصرخ في الجنود :

- خذوه من هنا .. أرسلوه إلى الجب للحبس الانفرادي ..

لا أريد أن أراه إلا صباح الغد ، وعندما تشرق الشمس ، ضعه تحت تصرف الرفيق ( سباسكى ) .

ارتفع حاجبا أحد الجنود ، وهمس في انفعال :

- يا للشيطان !! .. الرفيق ( سباسكى ) نفسه !!

وفي عتف ، دفع الجنود ( أنهم ) أمامهم ، وقطع ممرقة من

الفراء تغطي جسده ، وعبروا به القناء إلى حفرة كبيرة ،

يغطيها غطاء من المعدن ، فأزاح اثنان منهم الغطاء ، ثم دفعه

الآخرين إلى الحفرة ، التي يبطنها الجليد من كل جانب ،

وأحداهم يقول ساخراً :

- تمتع بوقتك في الجب أيها المتحذلق ، وسنراك صباحاً .

أصاف آخر متهمكاً :

- لو ظلمت على قيد الحياة .

انفجر الباقون ضاحكين ، وأعادوا الغطاء فوق الجب ،

ليغرق ( أنهم ) في بحر من الظلام الدامس ..

ومن البرودة القارصة ..

ولكن العجيب أن هذا لم يحنقه أو يغضبه ..

بل على العكس ، لقد بدا وكأنما شعر بالارتياح لوجوده في

هذا المكان ..

والعجب أنه لم يقبع في مكانه لحظة واحدة ، وإنما شرع في العمل على الفور ، وفي نشاط وحماس عجيبين ، فالتقط كمية من الجليد ، وراح يصنع منها كرة كبيرة ، ثم أزال جزءاً منها ، وبعدها أقدم على عمل عجيب ..

لقد الصق نصف الكرة الجليدي بوجهه ، وضغطه في قوة ،

وانتظر بضع لحظات ، متحملاً البرودة الرهيبة . قبل أن

ينتزعها ، وقد استطاعت في الجليد صورة مجسمة لوجهه .. وهنا

انتقل إلى المرحلة التالية ..

وفي دقة مذهشة ، راح ( أنهم ) ينتزع قطعاً صغيرة من

الفراء ، ويبطن بها تلك التجويف ، حتى امتلأ تماماً ، وبعدها

وضع طبقة أخرى من الجليد فوق الفراء ، ودفن كل هذا في جزء

من جدار الجب بعناية بالغة ..

وعندما انتهى من عمله هذا ، كانت عقارب الساعة قد بلغت

الرابعة صباحاً ، وانطلق نفير الإيقاظ ، فارتسمت على شفثيه

ابتسامة ارتياح ، وأحاط جسده بقطع الفراء ، ثم استرخى في

قاع الجب ، وكأنما يرقد في حجرة أنيقة ، في فندق خمسة

نجوم بالفعل ..

ولم يكد جسده يسترخى لدقائق معدودة ، حتى انفتح غطاء

الجب وصاح أحد الجنود السوفيت في غلظة :

- استيقظ يا رجل .

رفع ( أنهم ) عينيه إليه في بطل ، وراى ثلاثة مدافع آلية

مصوبة إليه ، وسلماً من الحبال يلقي داخل الجب ، وسمع

الجندي يقول بنفس الغلظة :

- هيا .. اصعد .



نهض ( أدهم ) فى هدوء ، وتسلق سلم الحبال إلى السطح ،  
ورأى الجنود يصوبون إليه مدافعهم الآلية فى تحفز ، فى حين  
يتطلع إليه ضابط سوفيتى شاب ، فى أوائل الثلاثينات من  
عمره ، أشقر الشعر ، ممشوق القوام ، يطل مزيج من القسوة  
والصرامة فى عينيه الزرقاوين ، على الرغم من صمته التام ،  
وهو يراقب ( أدهم ) ، الذى تطلع إليه بدوره بنظرة هادئة ،  
جعلته يتجاوز صمته ، ويقول فى صرامة :

- أتعلمون أن تكون الساعات التى قضيتها فى الجب ، قد  
أعطتك فكرة عن الأسلوب الذى نتعامل به هنا .

لم ينبس ( أدهم ) ببنت شفة ، وظل يتطلع إليه فى صمت ،  
فتابع الضابط فى صرامة أكثر :

- عندما أرسلوك إلى هنا حذرونا منك ، وقالوا إنك أخطر  
جاسوس وقع فى قبضتنا حتى الآن ، وطالبونا بتكثيف  
الحراسة عليك بالذات ، وبإساءة معاملتك ، ومعاقبتك بمنتهى  
الحزم ، كلما ارتكبت خطأ ما .. وأنا أميل إلى تنفيذ كل هذه  
التعليمات ، ولكننى سأضيف إليها قاعدة جديدة .

وسنتقامه أكثر ، وهو يرمى ( أدهم ) بنظرة قاسية ، قبل أن  
يستطرد :

- لقد وضعوك هنا لهدفين ، الأول معاقبتك على محاولة  
التجسس التى قمت بها ، والثانى الاحتفاظ بك فى مكان  
مأمون ، يستحيل الفرار منه ، حتى يتم استجوابك فى بطن ،  
وعلى الرغم من هذا ، فستخضع لقاعدتى الخاصة ، وهى قاعدة  
بسيطة للغاية ، فإنا لا أحب إضاعة الوقت فى عقاب لا طائل  
منه ، وعندما أشعر بأنك قد أصبحت عبئاً على ، أو على النظام

والضبط والربط ، فى هذا المعتقل ، سأتجاوز كل القواعد  
والأعراف ، وأعدمك فوراً .. كل تفهم ؟

لم يجب ( أدهم ) ، وإنما راح يتطلع إليه بنفس الصمت  
المستفز ، فانهقد حاجبا الرجل أكثر وأكثر ، وقال فى غضب :  
- انهبوا به إلى العمل وأطلقوا النار على رأسه فوراً ، عند  
أدنى شك فى محاولة فرار .

دفع الجنود ( أدهم ) أمامهم فى قسوة ، دون أن يحلوا  
أغلاله ذات السلاسل المعدنية الطويلة ، وقال أحدهم ساخراً :

- يبدو أنك سيىء الحظ للغاية يا رجل .. قلائل هم من  
يوليهم الرفيق ( سباسكى ) اهتماماً شخصياً .

لم يعلق ( أدهم ) على العبارة ، وإن راح يراجع فى ذهنه كل  
ما قرأه من معلومات ، فى أرشيف المخابرات المصرية ، عن هذا  
الرجل ..

أسمه ( لون سباسكى ) ضابط برتية رائد ، سادى النزعة ،  
يتلذذ بإيذاء وتعذيب الآخرين ، ولا يتورع عن قتل أى معتقل ،  
فقط عندما يرغب فى فعل هذا ، ودون أسباب محدودة ..

وملفه يقول : إنه أخطر وأشرس ضابط فى معتقل ( سيبيريا ) ،  
وأكثرهم قسوة ووحشية ..

وهذا يعنى أن التعامل لن يكون سهلاً معه أبداً ..  
بل ، وربما يعنى أن هذا التعامل سيحمل حتماً الكثير من

المخاطر والمشكلات ..  
والكثير من الخطر ..  
كل الخطر



« نخب النهاية المأساوية لـ ( أدهم صبرى ) .. »

هتف ( ثوردال ) بالعجالة فى جنل ، وهو يرفع كاسه عاليًا ،  
فى القاعة الكبيرة فى فيلته الجديدة ، قرفع الآخرون كئوسهم  
بدورهم ، وغمغم ( شالوم ) مبتسمًا :

« نخب النهاية التى صنعناها بأنفسنا .. »

مطت ( أنجريد ) شفيتها ، قبل أن ترتشف رشفة من كاسها ،  
وتقول فى برود :

« أنت صنعتها وحدك .. »

انحنى أمامها انحناءة مسرحية ، وهو يبتسم فى سخرية ،  
قائلًا :

« ما كانت خططى لتنجح لولا تعاونكم يا سيديتى .. »

مطت شفيتها مرة أخرى ، وهزت كتفها ثم اشاحت بوجهها  
فى أزراء ، لم ينتبه إليه أحد ، فى حين ضحك ( هال ) ، وقال  
بصوت مرتفع :

« هل تعلمون أن درجة الحرارة قد انخفضت أربع درجات  
إضافية اليوم ؟ والتنبؤات الجوية تشير إلى حدوث انخفاض  
أكثر فى الأيام القليلة القادمة ، بحيث ستبلغ درجة البرودة  
خمسین تحت الصفر فى ( سيبيريا ) ، فى أقل من أسبوع  
واحد .. ترى كيف سيواجه عزيزنا ( أدهم صبرى ) هذا .. »

قال ( هاتز ) مبتسمًا :

« ربما يشعل النار فى نفسه للتدفئة .. »

انفجروا جميعًا ضاحكين ، فيما عدا ( أنجريد ) ، التى لم  
ترق لها الدعابة ، و ( شالوم ) ، الذى انعقد حاجباه فى شدة ،  
وانتظر حتى انتهت ضحكاتهم ، ثم قال فى صرامة :

« ما أخشاه حقًا هو أن يشعل النار فى المعتقل كله .. »

تطلع إليه الجميع فى دهشة ، مع الطريقة التى نطق بها  
عبارته ، وغمغم ( هال ) فى قلق :

« هل تعتقد أنه مازال قادرًا على إثارة المتاعب ؟ »

اجابه ( شالوم ) فى حزم :

« لا يمكنك التنبؤ قطيما يمكن أن يفعله رجل مثل ( أدهم »

صبرى ) .. إننى أراه فى كوابيسى يذيب ثلوج ( سيبيريا )  
كلها ، وينقض علينا راكبًا زورقًا بدائيًا ، يطفو فوق فيضان  
يغمر العالم أجمع .. »

ارتسم قلق عارم على وجوههم ، وتبادلوا نظرة متوترة  
للغاية ، قبل أن يتمتم ( ثوردال ) :

« أنت على حق .. »

فجرت عبارته خوفًا عنيقًا فى القلوب ، جعل ( أنجريد )  
تقول فى عصبية :

« ألا يوجد ما يمكننا أن نفعله ، لنزيح هذا القلق من طريقنا  
إلى الأبد ؟ »

أشار إليها ( شالوم ) قائلًا :

« بالتأكيد لديكم ما تفعلونه .. »

سأله ( هاتز ) فى اهتمام :

« لكنه أصبح فى معتقل ( سيبيريا ) بالفعل .. كيف يمكننا  
الوصول إليه هناك ؟ »

صمت ( شالوم ) لحظة ، وهو يدير عينيه فى وجوههم ، ثم

اجاب :

« عميلكم يمكن الوصول إليه فى أى مكان .. »



انعقد حاجبا ( هانز ) فى شدة ، وارتسم الشك على وجه ( هال ) ، فى حين هتفت ( انجريد ) :

فليذهب إليه إذن ، وليخلصنا من هذا القلق .

وقال ( ثوردال ) فى عصبية :

- ( شالوم ) على حق .. عمليا يمكن الوصول إليه فى أى مكان .

وبصعوبة بالغة ، سيطر ( شالوم ) على انفعالاته ، وأخفى

ضحكته الساخرة الظاهرة فى أعماقه ..

لقد نجحت خطته إلى أقصى حد ..

الآن سيتمكنهم تعرف ذلك العميل السوفيتى الذى يعمل

لحساب الشبكة الاسكندنافية ، وتحقيق هدف أكثر أهمية فى

الوقت ذاته ..

القضاء على أخطر رجل مخابرات فى العالم أجمع ..

( أوهم ) ..

( ألهم صبرى ) ..

\* \* \*

خلع العقيد ( كوزيريف ) قفازيه فى بضع ، وهو يقول أمام

رئيس فريق الأطباء ، فى مستشفى ( موسكو ) المركزى ، وأطلت

من عينيه نظرة صارمة ، وهو يقول :

- إذن فقد انتهى عملكم بنجاح .. عظيم .. هل تعتقد أن أحداً

لن ينتبه إلى هذا ؟

أجاب رئيس الأطباء فى توتر :

- مطلقاً أيها الرفيق العقيد .. حتى الآثار القليلة المتبقية ،

يمكن تحليلها بأنها إصابات ناشئة عن المقاومة .

أوما ( كوزيريف ) برأسه متفهماً ، وقال فى صرامة :

٢٣٤

- هل حافظتم على السرية المطلوبة ؟ .. أنت تعلم عواقب

افتضاح هذا الأمر !

ثم مال نحوه مستطرداً بلهجة مخيفة :

- وتعلم إلى أين نرسل من يخالفون قواعد السرية هذه .

سرت قشعريرة باردة كتلوج ( سيبيريا ) فى جسد رئيس

الأطباء ، وهو يقول بصوت مرتجف :

- أعلم أيها الرفيق العقيد .. أعلم .

مط ( كوزيريف ) شفتيه ، وهو يرمقه بنظرة صارمة ، قبل

أن يقول :

.. - عظيم .. دعنا نر نتائج عملكم .

بذل رئيس الأطباء جهده للسيطرة على توتره وهو يسير

أمامه قائلاً :

- صدقنى أيها الرفيق العقيد .. لقد انجزنا عملاً مدهشاً

بحق .. صحيح أنكم اخترتم الشخص المناسب تماماً ، ولكنك

تعلم مثلى أنه لا يمكن الحصول قط على تماثل تام .. حتى بين

التوائم المتماثلة .

تمتم ( كوزيريف ) فى شىء من الضجر :

- أعلم هذا .. أعلم هذا .

اتجه رئيس الأطباء نحو حجرة خاصة ، يقف أمامها

جنديان للحراسة ، وهو يقول :

- لقد عدلنا شكل الذقن ، واتساع العينين ، والأنف ، و ....

قاطععه ( كوزيريف ) فى صرامة :

- لقد أديتم واجبكم .

ارتبك رئيس الأطباء ، وهو يتمتم :

٢٣٥



- بالتاكيد .. بالتاكيد أيها الرفيق العقيد .. لقد أدينا واجبنا .  
ثم لأن بالصمت تمامًا ، وهو يدلف إلى الحجرة ، وأدى  
الحارسان التحية العسكرية في قوة لـ ( كوزيريف ) ، الذي  
أجابهما في ضجر ، وهو يلج الحجرة بدوره . ولكنه لم يك  
يلقى نظرة على الشخص الرافق على ذلك الفراش في منتصفها ،  
حتى قالت عيناه في شدة ، وهتف دون وعى :  
- مستحيل !

اعتدل الرجل جالسًا في احترام ، وأشار إليه رئيس الأطباء ،  
قائلًا :

- ما رأيك أيها الرفيق العقيد ؟  
حدّق ( كوزيريف ) في الرجل باهتمام بالغ ، وهو يغمغم :  
- رائع .. إنجاز رائع بحق .  
زفر رئيس الأطباء في ارتياح ، وهو يقول :  
- أشكرك أيها الرفيق العقيد .. أشكرك كثيرًا .  
تطلّع ( كوزيريف ) مرة أخرى ، إلى الشخص الجالس على  
طرف الفراش ، في أنبهار ، ثم سأل في اهتمام :  
- هل تعتقد أنك قادر على القيام بالعمل ؟ !

أجاب الرجل بلهجة عسكرية :  
- نعم أيها الرفيق العقيد .  
أوما ( كوزيريف ) برأسه في ارتياح ، وسأل :  
- وماذا عن الأسئلة والأجوبة ؟  
أجاب الرجل :  
- أحفظها كلها عن ظهر قلب أيها الرفيق العقيد .  
بدا ارتياح غامر على وجه ( كوزيريف ) ، وهو يقول :

- عظيم .. عظيم .. استعد إذن لقؤدى دورك .  
أجابه الرجل في حسم :

- أنا على أتم الاستعداد أيها الرفيق العقيد .  
اتسعت ابتسامته ( كوزيريف ) الظافرة ، ورئت على كتف  
الطبيب في حرارة ، قائلًا في حماس :  
- عمل رائع يا رجل .. عمل رائع بحق .  
ابتهج الطبيب كثيرًا ، وهو يقول :  
- أشكرك أيها الرفيق .. أشكرك كثيرًا .

اتجه ( كوزيريف ) نحو الباب ، وارتدى قفازيه ثانية ، وهو  
يقول ، وقد استعاد صرامته :

- أريد كل شيء جاهزًا صباح الغد .  
ثم تألقت عيناه في ظفر ثانية ، وهو يستطرد :  
- لا أطيق صبرًا لمعرفة رد فعل المصريين .  
وعندما كان يدلف إلى سيارته ، تحولت ابتسامته الظافرة  
إلى ضحكة ..

ضحكة كبيرة ..  
وقوية ، و ..  
وشامته ..

\* \* \*

على الرغم من العمل الشاق ، الذي يمارسونه منذ الرابعة  
صباحًا ، انشغل معتقلو ( سيبيريا ) بالتطلع إلى ذلك المعتقل  
الجديد ، الذي أحيط باستعدادات أمنية خاصة ، تمثلت في  
ثلاثة من الجنود المدججين بالسلاح ، يصوبون إليه مدافعهم  
الآلية باستمرار ، على الرغم من الأغلال المعدنية ، ذات السلاسل  
الطويلة ، التي تحيط بمعصميه وكاحليه ..



والعجيب أن المعتقل الجديد نفسه لم يبذ اهتماماً بهؤلاء الجنود الثلاثة ، الذين أصابهم الإرهاق من طول مراقبته والتحفز لأى عمل يأتى به ، وإنما راح يقطع الأشجار ، ويجمع ذلك النوع من الصمغ منها فى عناية بالغة ، داخل الوعاء الذى أعطوه إياه ، وكأنما لم يعد يشغله فى الدنيا سوى عمله هذا ..  
وتساءل المعتقلون فى حيرة عنم يكون هذا المعتقل الجديد ، ولكنهم اتفقوا ، دون أن يتبادلوا حرفاً واحداً ، على أنه حتماً شخص له أهمية كبيرة ، ويمثل خطورة بالغة تدفع هؤلاء الوحوش المسؤولين عن المعتقل ، إلى إحاطته بكل هذه الحراسة ..

ومما ضاعف من دهشتهم وحيرتهم ، أن اشترس ضباط المعسكر الرائد ( لون سباسكى ) بنفسه ، قد حضر قرب غروب الشمس ، ووقف يتطلع إلى المعتقل الجديد بنظرة صارمة ، قبل أن يقول :

- هل راق لك العمل هنا أيها الجاسوس ؟ !

ولسرت فى أجسادهم قشعريرة مذكورة ، عندما تجاهل ( أدهم ) هذا القول تماماً ، وكأنما لم يسمعه ، وبدأ لهم أنه هجنون حتماً ، حتى يتحدث ذلك الوحش الأدمى ، على هذا النحو السافر ، وخيّل إليهم أن ( سباسكى ) سيطلق النار على رأسه خبثاً ، خاصة وقد احتقن وجهه لهذا الأخير فى شدة ، وصاح فى غضب هادر :

- ألم تسمعنى أيها المعتقل ... إننى أتحدث إليك ؟

وعلى الرغم من الخوف والذعر ، اللذين امتلأت بهما

نفوسهم ، بدا ( أدهم ) شديد الهدوء واللامبالاة ، وهو يلتفت إليه ، قائلاً :

- هل تتحدث إلى حقاً ؟ .. عجباً .. لم يخبرنى أحد قط أن

اسمى تغير إلى ( جاسوس ) أو معتقل !!

احتقن وجه ( سباسكى ) أكثر ، وهو يصرخ :

- هل تجرؤ على التحدث إلى بهذا الأسلوب يا رجل ؟ !

ارتسمت على شفتى ( أدهم ) ابتسامة ساخرة ، وهو يصنع

قرصاً من الصمغ فى عناية بالغة قائلاً :

- وهل توجد وسيلة أخرى للتحدث مع أمثالك ؟

احتبست أنفاس الجميع فى قوة ، وبدأ لهم أن الموقف

سيشتعل حتماً ، فى حين احتقن وجه ( سباسكى ) فى شدة ،

وهو يصرخ ، منقضاً على ( أدهم ) :

- أيها الوغد الحقيقى ..

ولكن فجأة ، وعلى الرغم من قيوده وثب ( أدهم ) نحوه ،

واستقبل انتفاضة بمثلها ، وضرب وجهه بقرص الصمغ ، بكل

ما يملك من قوة ..

وفى نفس اللحظة التى انطلقت فيها شهقات وصرخات

المعتقلين ، والتى سقط فيها ( سباسكى ) على ظهره فى عنف ،

ارتفعت فوهات المدافع الآلية للجنود الثلاثة نحو ( أدهم ) ، و ...

واشتعل الموقف بحق .

\* \* \*



تنهّدت النقيب ( هيلجا مارويكسكي ) فى صجر ، عندما حلقت بها الطائرة مع زميلها الرائد ( يورى جليانوف ) وسالته فى ملل ، وهى تسترخى فى مقعدها :

- هل تعلم كم ستستغرق رحلتنا ، حتى ( سيبيريا ) ؟  
اجابها ( جليانوف ) فى برود :

- سبع ساعات بالطائرة حتى ( ياكوتسك ) ، وبعدها ثلاث ساعات بالهليكوبتر ، من ( ياكوتسك ) إلى معتقل ( سيبيريا ) .  
زفرت فى ملل قبل أن تقول :

- وهل تعتقد أن مثل هذه الرحلة ضرورية ؟ ! .. أعنى ما شأننا نحن بعملية استجواب ( أدهم صبرى ) هذه ؟  
لماذا لا يقوم بها ( سباسكى ) أو ( فينوفيتشى ) فى المعتقل ؟  
انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يجيب :

- هل نسيت القواعد ، أم أنك تمزحين أيتها النقيب ؟  
استجواب جاسوس هو مهمة الـ ( K . G . B ) ، وليس ضباط المعتقل الناقهين .

سالته فى شيء من السخرية :  
- مادام الأمر كذلك ، فلماذا نتجشم كل هذا الجهد لاستجوابه ؟ .. كان يمكننا استجوابه هنا فى ( موسكو ) .  
هز رأسه نفياً ، وهو يقول :

- كلاً .. لم يكن هذا ممكناً .. خطة الإدارة كلها تعتمد على إثبات أن ( أدهم صبرى ) قد هرب ، بعد إلقاء القبض عليه بتهمة التجسس ، ولقد درس الرؤساء الأمر ، ووجدوا أن



ولكن فجأة ، وعلى الرغم من قسوته وثب ( أدهم ) نحوه ، واستقبل انتفاضته بمثلها ، وضرب وجهه بقرص الصمغ .



وجوده داخل المقر الرئيسي سيجعل العملية كلها محفوفة بالخطر ، خاصة وأنه هناك معلومات بالغة السرية ، تشير إلى احتمال وجود جاسوس بين صفوفنا .

اعتدلت بحركة حادة ، وهى تهتف :  
- جاسوس !؟ هنا !؟

أشار لها بالصمت فى صرامة ، وقال :

- اخفضى صوتك أيتها الرفيق .. قلت لك : إن هذه المعلومات بالغة السرية .

سألته هامسة فى انفعال :

- كيف توصلت إليها إذن ؟

انعقد حاجباه وهو يقول فى صرامة :

- ليس هذا من شأنك .

تراجعت قائلة فى غضب :

- المفترض أننى زميلتك .

حافظ على انعقاد حاجبيه لحظة ، قبل أن يقول :

- إنها معلومات خاصة للغاية ، فقد انتبه الرؤساء إلى

وجود ترسيب فى المعلومات ، يوحى بوجود جاسوس بين الصفوف ، وهم يحاولون كشف امره فى حذر بالغ ، خاصة وأنهم مازالوا يجهلون لحساب من يعمل .

بدا عليها الانفعال ، وهى تهز رأسها ، قائلة :

- جاسوس !؟ .. ياله من امر بالغ الخطورة .

واقفها بإيماءة من رأسه ، وقال :

- لهذا خشى المسئولون أن يبقى ( أدهم صبرى ) لدينا ،

فيبلغ الجاسوس الجهة التى يعمل لحسابها بهذا ، وفضلوا

إرساله إلى مكان لا يمكنه الفرار منه قط ، ولم يكن هناك أفضل من معتقل ( سيبيريا ) .

سألته فى اهتمام :

- ولماذا لم يتم انتزاع المعلومات منه بوساطة ( إيفان ) ؟

ابتسم فى سخرية قائلاً :

- وتقولين : إنك تفهمين شخصية ( أدهم صبرى ) ؟

ثم مال نحوها فستطردا فى صرامة :

- خبراؤنا أكدوا أن رجلاً مثله لا يمكن أن ينهار من جراء

التعذيب ، مهما بلغت شدته ، وقسوته ، وأن صلابته أمر لا جدال

فيه ، بحيث لن ينطق بكلمة واحدة ، ولو بترنا أطرافه ، وأخذاً

بعد الآخر .. لماذا لجئوا إلى الحيلة فى رأيك ، لو لم يكن كذلك ؟

هزت كتفها ، قائلة :

كل هذا أعرفه عنه ، ولكن ما يثير حيرتى حقاً هو : ما الذى

استجد بعد ذهابه إلى ( سيبيريا ) ، بحيث يصبح استجوابه

هناك مجدياً ؟

انعقد حاجباه فى شدة هذه المرة ، وكانما لم يرق له السؤال

أبداً ، وقال فى صرامة :

- إنك تكثرين من الأسئلة أيتها الرفيق ( مارونسكى ) .

قالت فى حدة :

- أليس من المفترض أن افهم على الأقل ما نحن بصده ؟

صمت لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

- الرؤساء قدروا أن الوقت قد حان لاستخدام مصل الحقيقة .

سألته فى دهشة :

- ما الذى كان يعوق استخدامه من قبل ؟



أجابها بسرعة :

العقار المضاد .. لقد أكدت معلوماتنا أن المصريين لديهم عقار مضاد لمادة ( بنتوثال الصوديوم ) ، التي تستخدم لوضع المرء في حالة أشبه بغيبوبة اليقظة ، بحيث يتم انتزاع المعلومات منه بسهولة ، وأن عقارهم المضاد هذا يمتد تأثيره لسته أيام متصلة ، ولا يمكن كشف أمره بواسطة تحاليل الدم العادية ، ولهذا انتظروا حتى يضمنوا تلاشي أثره تمامًا قبل حقن ( أدوم صبرى ) هذا بهصل الحقيقة ، مفترضين أنه قد تناول جرعة من العقار المضاد كإجراء وقائي ، عند إلقاء القبض عليه ..

أومات برأسها متفهمة وقالت :

فهمت .. إذن فنحن في طريقنا لاستجواب ( أدوم صبرى ) باستخدام مصل الحقيقة .

قال على الفور :

ثم التخلّص منه فوراً .

التفتت إليه في دهشة ، فتابع ، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة خبيثة :

فلقد انتفت الحاجة إلى وجوده منذ ساعة واحدة .. انتفت تمامًا .

ولم تفهم ( هيلجا ) ما يعنيه هذه المرة ..  
لم تفهم أبدًا ..

\* \* \*

كل شيء كان يوحى بأن نهاية ( أدوم ) آتية لا ريب ..

لقد كان مقيدًا بأغلال معدنية قوية ، تربط كاحليه ومعصبيه

بسلاسل طويلة ، لا تعوقه عن الحركة ، ولكنها تحدّ من مرونته إلى حد كبير ، وضرب أشرس ضباط المعتقل في وجهه ، وأسقطه على ظهره ، أمام عيون الجميع ، وارتفعت فوهات مدافع حراسه الثلاثة نحوه ، واستعبدت سيّباتهم لاعتصار أرنبة المدافع ، وإطلاق النار على ( أدوم ) مباشرة ، و... وفجأة ، ارتفع صوت صارم ، يقول :

انتظروا .

وبرز ( اندريه فينوفيتشي ) قائد المعتقل ، بوجهه الصارم القاسى ، وهو يستطرد في غضب :

ماذا يحدث هنا ؟

هبّ ( سباسكى ) واقفًا ، وارتجف جسده كله من فرط الغضب والانفعال ، وهو يشير إلى ( أدوم ) صائحًا :

هذا المعتقل الحقيير جرؤ على تحدّي أوامرى وهاجمنى أمام الجميع .. لا بد من قتله بمنتهى القسوة ، حتى يصبح عبرة لمن يعتبر .

ثم استل مسدسه ، مستطردًا في ثورة :

والآن .

اندفع ( فينوفيتشى ) يمسك يده ، قبل أن تنطلق الرصاصة الغاضبة من مسدسه ، وقال فى صرامة :

انتظر .. لا يمكنك قتل هذا الرجل بالتحديد .

صرخ ( سباسكى ) نائرا :

لا يمكننى ماذا ؟ ! .. كلنا نعلم أنه ما من معتقل ينجو من فعل كهذا ، أيها الفريق القائد .

قال ( فينوفيتشى ) بصوت هادئ :

قلت : لا يمكنك قتله .



لم اُضاف ، وهو يخفض قوه المسدس علوة :  
- ليس فى الوقت الحالى على الأقل .

خفاق (سياسكى) فى وجهه بغضب ثائر مستنكر ، فانتقل  
خارجا ( فينوفيتشى ) ، واستدار إلى جنوده الحراسة قائلا :  
- القوا هذا الرجل فى الجب ، واركبوه هناك ، بلا طعام أو  
ماء حتى اضرب اوامر اخرى .  
نلق الرجال ( ادهم ) امامهم فى قسوة ، فابتسم فى سخرية ،  
قائلا :

- إلى اللقاء فى المرة القادمة ايها الرفيق ( سياسكى ) .  
احتقن وجه ( سياسكى ) وصوب إليه مسدسه مرة اخرى ،  
صائحا :

هل سمعت ايها الرفيق القائد ؟ .. هل سمعت ؟ .. ألا يستحق  
القتل لهذا ؟

اجابه ( فينوفيتشى ) فى عصبية :  
- اهأ يا ( سياسكى ) ، واستمع إلنى جيدا .. هذا الرجل  
حالة خاصة للغاية .

تضاعف احتقان وجه ( سياسكى ) ، حتى كانت الدماء  
تنفجر من عينيه ، وهو يعيد مسدسه إلى غمده فى حنق  
مستنكر :

- حالة خاصة للغاية !! .. أى قول هذا ؟  
ثم استدار إلى جموع المعتقلين ، الذين يتطلعون إليهما ،  
صارخا :

- ما الذى تنظرون إليه ؟ .. عوبوا إلى عملكم ايها  
الحقراء .. أنت هناك .. ما الذى يغير انتباهك ؟

قالها ، وانقض على احد المعتقلين ، ولكمه فى أنفه ، ولم يكد  
الرجل يسقط فوق الجليد ، وهو يتأوه فى ألم ، حتى راح يركله  
بمعتهى العنف والقسوة ، وكأنه يفرغ فيه كل غضبه وثورته ،  
دون أن يتدخل ( فينوفيتشى ) ، أو يعلق بحرف واحد ، بل  
اشاح بوجهه عما يحدث ، وراقب الجنود الثلاثة ، وهم يلقون  
( ادهم ) داخل الجب الجليدى ، وأنهشه استسلام هذا الأخير  
لهم على نحو عجيب ، ورأهم يلقون الجب خلفه ، فهرأ رأسه  
متحيزا ، دون أن ينبس ببنت شفة ، ثم استدار إلى ( سياسكى ) ،  
الذى عاد إليه لاهثا ، بعد أن حطم ثلاثة من أضلاع المعتقل  
المسكين ، وأفقده الوعي ، وهو يقول فى حدة :

- هؤلاء الأوغاد لا يصلح معهم سوى التعامل العنيف .

مطأ ( فينوفيتشى ) شفتيه دون أن يجيب ، وسار بضع  
خطوات صامتا ، إلى جوار ( سياسكى ) ، الذى يغلى غضبا ،  
ثم قال :

- المخابرات أرسلت اثنين من عملائها إلى هنا : لاستجواب  
ذلك الرجل .

عقد ( سياسكى ) حاجبيه ، وهو يقول فى عصبية :

- أهذا ما يضطرننا للإبقاء عليه ؟

هرأ ( فينوفيتشى ) كتفيه مجيبا :

- أنا أبغضه باكثر مما تفعل أنت ، ولكنك تعرف الأوامر .

صمت ( سياسكى ) بضع لحظات ، وهو يحاول السيطرة  
على الثورة المندلعة فى أعماقه ، ثم قال فى شيء من التوتر  
والحدة :

- كم سيستغرق استجوابه ؟



أجابه ( فينوفيتشى ) بسرعة :

- يوماً واحداً .

توقف ( سباسكى ) بغتة ، وهتف :

- اتعنى أنه بعد هذا اليوم يمكننا أن ...

قاطعه ( فينوفيتشى ) مكملاً بابتسامة ذات مغزى :

.. - نقتله لو أردنا .. نعم .. كل ما أمامنا هو أن نحتمله حتى

ينتهى استجوابهم له ، وبعدها سنفعل ما يحلو لنا .

ثم وضع يده على كتفه ، مستطرداً :

- وأعدك أن أشرف على إعدامه بنفسى عندئذ .

ثالثت عينا ( سباسكى ) ، وأدارهما ليلقى نظرة على ذلك

الجب ، الذى القوا ( أدهم ) فى أعماقه ، وهو يتعمم :

- سأحرص على ألا تفوتنى تلك اللحظات الرائعة أبداً ..

والتقى حاجبيه فى شدة ، مع صوته المفعم بالمقت

والكراهية ، وهو يكرز :

- أبداً ..

أما ( أدهم ) نفسه فلم يكن يحمل ذرة واحدة من الأسف أو

الغضب فى أعماق الجب ، وإنما استقرّ بعض الوقت فى

هدوء ، ليضمن أن أحداً لن يقتحم عليه خلوته ، وأرهف سمعه

لربيع ساعة كاملة ، قبل أن يبدأ عمله بمنتهى النشاط ..

فى البداية أخرج كرة الثلج الذى دفنها فى قاع الجب ، فى

المرة السابقة ، ثم فصل نصفيها فى حرص ، ساعدته عليه قطع

الفراء ، التى بطن بها انطباع وجهه فى الجليد ، وابتسم فى

سخرية وهو يخرج قرص الصمغ ، الذى انطبع عليه وجه

( سباسكى ) ، والذى انتهز الارتباك الذى أحدثه هجومه على

هذا الأخير ، ليخفيه فى طيات ثيابه ، وغمغم :

- كيف يمكننى أن أشكرك أيها الوجد ( سباسكى ) ؛ لأنك

اتحت لى الفرصة لإتمام عملى هنا .

وطوال خمس ساعات كاملة ، وعلى الرغم من الظلام ، ومن

درجة البرودة ، التى بلغت فى تلك الليلة عشرين درجة تحت

الصفر ، راح ( أدهم ) يعمل بمنتهى الدقة والنشاط والحيوية ،

ويفرك أطراف قرص الشمع فى قوة ليثبت فيه شيئاً من الحرارة ،

ويذيبه رويداً رويداً داخل قوالب الثلج التى صنعها فى مهارة

مدهشة ..

كان يعمل بلا كلل أو ملل ، فى محاولة لإنهاء عمله الدقيق

قبل الرابعة صباحاً ، على الرغم من أنه لم يذق طعم النوم

لليلتين كاملتين ..

وعندما انطلق بغير الإيقاظ ، فى تمام الرابعة ، كانت كل

خلية فى جسده تصرخ بالإرهاق والإجهاد والتعب ، ولكنه

انتهى تماماً من عمله ، وانتزع فى رفق طبقة رقيقة من الصمغ ،

وطواها فى رفق ، بعد أن بطنها بقطع من الفراء ، ثم أخفاها

بين ثيابه ..

وهنا ..

هنا فقط ، أغلق عينيه فى نهالك ، وغمغم :

- عظيم .. ليلة مثمرة بحق .

وفى هدوء وارتياح ، أحاط جسده بقطع الفراء فى إحكام ،

ثم استسلم لنوم عميق ..

عميق للغاية ..

ولكن نومه هذا لم يستغرق طويلاً للأسف ..



فلم تمض دقائق معدودة ، حتى فتح السوفيت الجب ،  
وارتفع صوت أحدهم فى صرامة ، يقول :

- استيقظ يا رجل .

فتح ( أدهم ) عينيه فى إرهاق ، لم يمتعه من أن يقول فى  
سخرية :

- من هذا ؟ .. خدمة الغرف .

لقى الجندى إليه سلم الحبال ، وهو يقول فى حدة :  
- هيا اصعد .

تسابق ( أدهم ) السلم إلى سطح الجب ، ورأى المدافع الآلية  
مصوبة إليه ، وسمع أحد الجنود يقول متحفظاً :

- الرفيق ( سباسكى ) أصدر أوامره بأن تبدأ عملك اليومى  
مع باقى المعتقلين ، دون أن تتناول وجبة الإفطار .

قال ( أدهم ) ساخراً :

- عجباً ! .. أى فندق هذا ، الذى لا يتناول فيه النزلاء أية  
وجبات ؟

دفعه الجندى بمدفعه فى غلظة ، قائلاً :

- هيا .. كف عن سخافاتك هذه ، واذهب إلى العمل .

كان ( أدهم ) يشعر بإرهاق شديد ، إلا أنه أخفى هذا فى  
أعماقه ، وتبأسك ببسالة منقطعة النظير ، وهو يعمل بنفس  
النشاط الذى يعمل به الآخرون ..

بل ربما كان هو الوحيد ، من بين المعتقلين كلهم ، الذى يعمل  
بكل هذا النشاط ..

وفى حذر ، اقترب منه أحد المعتقلين ، وهمس :

- أهنتك يا رجل .. أنت الوحيد الذى حطّم أنف  
وحش ( سيبيريا ) .

ابتسم ( أدهم ) فى سخرية هامساً :

- وحش ( سيبيريا ) ؟ .. أهذا هو اللقب ، الذى

تطلقونه على ( لون سباسكى ) ؟

همس الرجل :

- إنه يستحقه عن جدارة .. ذلك الوجد وحش حقيقى .. لقد

قتل أكثر من ستين معتقلاً بلا أبى رحمة أو شفقة ، منذ بدأ  
عمله هنا ..

انعقد حاجبا ( أدهم ) فى غضب ، وهو يقول :

- رجل كهذا يستحق القتل .

تلقت الرجل حوله ، قبل أن يهمس :

- ورجل مثلك يستحق الزعامة .

تطلع إليه ( أدهم ) فى دهشة مغمفاً :

- الزعامة ؟ ..

صاح أحد الرجال الثلاثة الذى يراقبون ( أدهم ) ، فى

صرامة :

- فيم تتهاوسان ؟

رفع الرجل عينيه إلى الرجال الثلاثة ، وهو يجيب بسرعة :

- إنه مجرد حديث عابر يا رجل .. وبالمناسبة .. لقد صنعت

لكم السجائر التى طلبتموها .

تبادل الحراس الثلاثة نظرة قلقة ، ثم تقدم أحدهم نحوه ،

قائلاً فى حذر عصبى :

- أين هى ؟

دس الرجل يده فى صدره ، وأخرج منه رزمة من اللقائف

الداكنة ، ناولها للحارس فى خفة ، وهو يقول :



- إنه أفضل تنبؤ عثرنا عليه في حجرة الضباط .  
تألفت عيننا الجندی فی لهفة ، وهو يقول :  
- عظیم .. عظیم .

وتلفت حوله فی توتر ، قبل أن يعود إلى زميله ، وينشغل  
الثلاثة فی اقتسام السجائر ، فابتسم ( آدم ) ، مغمغماً :  
- هل تتعامل معهم بهذا الأسلوب دائماً ؟  
أوما الرجل براسه إيجاباً ، وقال :  
- إنهم يعانون مثلما نعانى ، فالضباط وحدهم يتمتعون  
بكل الرفاهية هنا .

ثم لوح بكفه ، مستطرداً :  
- ولكن دعنا نعد إلى حديثنا .. لقد تحرينا عنك ، وعرفنا من  
تكون .. اسمك ( آدم صبرى ) ، وأنت جاسوس مصرى ،  
اخترق المجال الجوى السوفيتى ، و ...  
قاطعہ ( آدم ) :

- لا تصدق كل ما تسمعه يا رجل .  
ابتسم الرجل وهو يتطلع إليه قائلاً :  
- فليكن .. دعنا من كل هذا ، ولندخل فى الأمر مباشرة .. لقد  
راق لنا أسلوبك كثيراً ، ونعتقد أنك الرجل المناسب ! لنقود  
ثورتنا ضد هؤلاء الطغاة .

انعقد حاجبا ( آدم ) ، وهو يغمغم :  
- ثورتكم ؟ !

قال الرجل فى حماس مكبوت :  
- نعم يا سيد ( آدم ) .. الثورة هى وسيلتنا الوحيدة ،  
للفرار من كل هذا العذاب .. إننا نفوقهم عدداً ، ولكنهم

مسلحون ، وأكثر منا قوة ، والوسيلة الوحيدة لخلق التوازن  
بيننا ، ولتجاح ثورتنا ضدهم ، هى أن نجد الزعيم القوى الذى  
يجمع كلمتنا ، ويثير حماسنا ، ويقود لحظة الانفجار .  
اعتدل ( آدم ) ، قائلاً فى حزم :

- ولكنى لست سوفيتياً .  
أجابه الرجل فى مرارة :

- لست سوفيتياً ؟ .. وماذا فى هذا يا رجل ؟ .. هل تعتقد  
أن كل المعتقلين هنا من السوفيت ؟ .. مطلقاً يا سيد ( آدم ) ..  
إننا هنا أشبه بالأمم المتحدة (\*) .. ستجد بيننا إنجليز ،  
وفرنسيين ، وهنود ، ورومانيين ، وعرباً .. السوفيت يعتقلون  
كل من يشتبهون فى أمره ، دون رحمة أو شفقة ، ومجتمعنا هذا  
يحتاج إلى شرارة ، تطلق كل الثورة الكامنة فى أعماقه ،  
لينفجر فى وجه هؤلاء الطغاة ، ويحطم المعتقل كله فوق  
رؤوسهم ، وهذه الشرارة ستطلقها أنت .

سأله ( آدم ) :

- لماذا أنا بالتحديد ؟

أجابه الرجل :

- لأن الجميع هنا أصبحوا مبهوتين بك ، ويعقدون كل

(\*) الأمم المتحدة : منظمة دولية ، أنشئت عقب الحرب العالمية  
الثانية ، لتحل محل ( عصبة الأمم ) ، ومقرها الدائم هو ( نيويورك ) ،  
منذ عام ١٩٥٢م ، ولقد وضع الاتحاد السوفيتى ، وبريطانيا ، والصين ،  
والولايات المتحدة الأمريكية مقترحات ميثاق الأمم المتحدة فى  
مؤتمر ( دومبارتن أوكس ) ( سبتمبر - أكتوبر ١٩٤٤ ) ، قبل النهاية  
الفعلى للحرب العالمية الثانية ( ١٩٣٩ - ١٩٤٥ ) .



أمالهم عليك ، في أن تحمل لهم شعلة الحرية ، وتخلصهم من عذاب الديكتاتورية والقسوة هنا .

هز ( أدهم ) رأسه قائلاً :

- لا تبثوا قصوراً في الهواء يا رجل .. وظيفة الزعيم هذه لا تناسبني أبداً ، فأنا ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يتطلع إلى هليوكوبتر ظهرت من بعيد ، وهي تتجه نحو المعتقل مباشرة ، فالتفت الرجل إليها بدروه ، وغمغم في توتر :

- وصول هليوكوبتر إلى هنا يعنى دائماً مزيداً من التعقيدات والقسوة .

لم يعلق ( أدهم ) وهو يتابع الهليوكوبتر ، وقد راوده شعور عجيب بأنها قادمة من أجله بالتحديد ..

ولم يكد هذا الشعور يستقر في أعماقه ، حتى ارتفع من خلفه صوت صارم يقول :

- تحرك يا رجل .. الرفيق ( سباسكى ) يطلبك في مكتبه على الفور .

اعتدل ( أدهم ) ، وتطلع إلى الجنود لحظة قبل أن يقول ساخراً :

- فليكن .. أراهن على أنه سيقتل نفسه ، لو لم أذهب إليه بأقصى سرعة .

احاط به الجنود في حذر متحفز ، وصوبوا مدافعهم إليه ، وهم يقودونه أمامهم نحو مكتب ( سباسكى ) ، في حين خلقت الهليوكوبتر فوق المعتقل ، استعداداً للهبوط ، وهتف الرجل :

- فُكّر جيداً فيما عرضناه عليك .

أشار ( أدهم ) بيده ، دون أن يجيب ، وعقله يحمل عشرات التساؤلات ، وعيناه تتابعان هبوط الهليوكوبتر ، والتي

استقرت فوق المهبط الخاص بها ، في منتصف المعتقل ، في نفس الوقت الذي وأصل فيه الجليد انهماره المستمر ، لليوم الثالث على التوالي ..

وبدا من الواضح أن غريزة الشعور بالخطر في أعماق ( أدهم ) لم تخدعه أبداً ..

فوصول الهليوكوبتر يحمل له بالفعل الخطر . كل الخطر ..

\* \* \*

« السوفيت أعلنوا أنهم القوا القبض على ( أدهم ) ثانية بعد فراره .. »

انعقد حاجبا مدير المخابرات ، عندما ألقى إليه مساعده بهذا الخبر ، وبدأ علامات التفكير والقلق على وجهه وهو يتمتم :

- عجباً ! .. ما هدفهم من إعلان هذا الآن ، على الرغم من أن عميلنا في صفوفهم أكد لنا أن ( أدهم ) لم يفر قط ، وأنه معتقل في ( سيبيريا ) ؟

قال المساعد في اهتمام :

- من الواضح أنهم قد ظفروا بشيء ما من العقيد ( أدهم ) يا سيدي ، فهم لم يكتفوا بإعلان إلقاء القبض عليه ، وإنما أكدوا أيضاً أنهم سيبدءون محاكمته على الفور .

قال المدير في دهشة :

- محاكمته ؟

وشرد ببصره بضع لحظات ، على الرغم من انعقاد حاجبيه ، قبل أن يتابع في حيرة :

- من الواضح أنهم يتحركون بسرعة كبيرة ، وطبقاً لخطة محدوبة ، ولكن ما الذي يعتمدون عليه بالضبط ؟

قال المساعد متردداً :



- يبدو أنهم يحاولون إلصاق التهم بنا ، عن طريق محاكمة (أدهم) علانية .

هز المدير رأسه فى قوة ، قائلاً :

- مستحيل ! .. السوفيت يدركون جيداً أن ظهور (أدهم) فى محاكمة علنية أمر محفوف بمخاطر شتى ، فمهما عذبوه أو مارسوا ضغوطهم عليه ، لن يدين وطنه على الملأ أبداً .. هذا جزء من شخصيته ، وسيضعهم هذا فى موقف شديد الحرج .

قال المساعد فى حيرة :

- كيف سيحاكمونه إذن ؟ !

هز المدير رأسه ، مغمغماً :

- لست أرى .. لكن لديهم ما يملأ نفوسهم بالثقة حتّى .

استغرق فى التفكير بضع لحظات ، محاولاً البحث عن تفسير منطقي ، حتى ارتفع أزيز جهاز الاتصال الداخلى على مكتبه ، وارتفع منه صوت يقول فى انفعال :

- سيئدى .. السوفيت سيذيعون محاكمة العقيد (أدهم) على الهواء مباشرة الآن .

ارتفع حاجبا المدير فى دهشة ، قائلاً :

- على الهواء مباشرة ؟ .. عجباً ! .. كيف يغامر السوفيت بموقف كهذا .

قالها ، وهو يضغط زر جهاز (التليفزيون) المعد لاستقبال المحطة القضائية السوفيتية ، فارتسمت على شاشته صورة لقاعة المحاكمات الكبرى (فى موسكو) ، وقد اكتظلت بالصحفيين من مختلف الجنسيات ، وبعدد كبير من ضباط الجيش السوفيتى والجميع يتطلعون إلى الرجل الواقف خلف

القضبان ، والذي بدأت إجراءات محاكمته بالفعل ..

وكان ذلك الرجل هو (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ! ..

وفى شدة ، انعقد حاجبا مدير المخابرات ، وهو يتطلع إلى الشاشة ، فى حين هتف مساعده فى انفعال :

- رياه ! .. إنه سيادة العقيد (أدهم) بالفعل .

أشار إليه مدير المخابرات بالصمت ، وهو يستمع إلى رئيس القضاة العسكريين ، الذى افتتح المحاكمة ، معلناً أنها محاكمة لجاسوس مصرى ، اخترق المجال الجوى السوفيتى بطائرة تجسس ..

ثم بدأت المحاكمة ..

وفى فصاحة مطلقة أعلن النائب العسكرى صحيفة الاتهام ، دون أن يعلق (أدهم) بحرف واحد ، وعندما انتهى منها ، التفت رئيس القضاة إلى قفص الاتهام ، وقال للرجل الواقف فيه :

- ما تخليقك على هذا الاتهام ؟ .. كلنا نعلم أنك تجيد الروسية ، ولكن القانون يحتم أن تجيب بلغتك الأصلية ، من خلال مترجم رسمى .. وها هو ذا المترجم إلى جوارك .. قل لنا الآن .. أنت مذنب أم غير مذنب ؟ !

انعقد حاجبا مدير المخابرات فى شدة ، وهو يتطلع إلى (أدهم) الذى لا بالصمت لنصف دقيقة كاملة ، قبل أن يجيب بصوته المميز ، وبلهجته المصرية الواضحة :

- مذنب .

كانت مفاجأة مذهلة ..

وعنيفة .

\* \* \*

www.liilas.com/vb3



ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي ( أدهم ) ، وهو يدير عينيه في وجه ( جلعانوف ) ، و ( هيلجا ) ، و ( سباسكى ) ، قبل أن يقول :

- يا له من نهار رائع ! .. انتم الثلاثة تستقبلوننى فى أن واحد .. كم أنا محظوظ بحق .

احتقن وجه ( سباسكى ) وهو يقول فى عصبية :  
- أرجو أن تنتهوا من استجوابه بأقصى سرعة ، فليست أطيع صبراً على الانتقام منه .

برقت عينا ( جلعانوف ) ، وهو يقول :  
- اطمئن أيها الرفيق ( سباسكى ) .. لن يستغرق استجوابنا له طويلاً ، وبعدها يصبح رهن إشارتك .

انطلقت من حلق ( أدهم ) ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول :  
- رائع .. من الواضح أن ثقتك فى قدراتك مدهشة يا ( جلعانوف ) .. هل تتصور أن وجود ثلاثة من الجنود ، يصوبون إلى مدافعهم الآلية ، سيجعلنى أخبرك بما تريد .. يا لها من فكرة ساذجة !

تضاعف احتقان وجه ( سباسكى ) ، وهو يقول فى حدة :  
- كم أتمنى أن أقتله الآن .

أما ( هيلجا ) ، فقد ابتسمت فى صمت ، وأشعلت سيجارتها ، وراحت تنفث دخانها فى بطن ، و ( جلعانوف ) يقول :

- اصبر قليلاً يا رجل .. قلت لك : إن الاستجواب لن يستغرق

طويلاً ، فالرفيق ( أدهم ) يتصور أن كل ما نعتمد عليه هو هؤلاء الحراس الثلاثة ، ويجهل أن لدينا وسائل أخرى .

أطلت نظرة تساؤل حذرة من عين ( أدهم ) ، فى حين أخرج ( جلعانوف ) من جيبه محققاً يحوى سائلاً رائعاً ، وهو يستطرد فى شماته :

- وسائل لا يرقى إلى فاعليتها الشك .  
- التقى حاجبا ( أدهم ) ، وهو يقول :  
- بنتوئال الصوديوم .. ليس كذلك ؟ !  
أجابه ( جلعانوف ) :

- بالضبط أيها العبقري .. بنتوئال الصوديوم .. مصل الحقيقة .. الذى ساحقك به بعد قليل ، فتسيل منك المعلومات كالسيل .

قال ( أدهم ) فى صرامة :

- ماذا لو أننى مصاب بالحساسية الفائقة من هذا العقار ؟ .. فى هذه الحالة سألقى مصرعى فور حقنى به (\*) ، وأنت تعلم أن الأوامر تحتم الإبقاء على حياتى .

انفجر ( جلعانوف ) ضاحكاً بغتة ، ولوح بيده ، هاتفاً :  
- الإبقاء على حياتك ؟ ! .. معذرة أيها المغرور ، ولكن هذه الأوامر تم إلغاؤها بالفعل ، فلم تعد لحياتك الأهمية التى تتصورها ، وخاصة بعد أن استبدلنا بك شخصاً آخر .

تمتم ( أدهم ) فى حذر :

- آخر ؟ !

أجبه ( جلعانوف ) نحو ( تليفزيون ) سباسكى الكبير ، وضغط زر تشغيله ، مجيباً :

( \* ) حقيقة طبية .



- نعم .. آخر أيها الرفيق المغرور .. استبدلنا بك من سيؤدى دورك أفضل منك .

تألفت شاشة ( التليفزيون ) ، وظهرت عليها صورة قاعة المحاكمات الكبرى فى ( موسكو ) ، التى يقف فيها شببيه ( أدهم ) ، معلناً كونه مذنباً ..

وانعقد حاجبا ( أدهم ) فى توتر شديد ، وشاركته ( هيلجا ) انفعاله هذا ، فى حين هتف ( سباسكى ) فى دهشة :

- عجباً .. كيف يكون هذا الرجل هنا وهناك فى آن واحد ؟  
أشار ( جليانوف ) إلى شاشة ( التليفزيون ) ، قائلاً فى زهو شامت :

- ذلك الذى تراه فى قاعات المحاكمات رجلنا أيها الرفيق ( سباسكى ) .. رجل كنا نعدّه للعب دور ( أدهم صبرى ) فى إحدى عملياتنا فى واشنطن ، ثم لاحت لنا فرصة ذهبية عندما وقع ( أدهم ) بين أيدينا بالفعل ، وقرر الرؤساء إنهاء عمليات التجميل اللازمة لإزالة الفارق فى الملامح ، بأقصى سرعة ، بحيث أصبح لدينا بديل لـ ( أدهم صبرى ) ، يجيد التحدث باللغة العربية ، وباللهجة المصرية إلى حد ما ، ويمكنه تقليد صوته إلى درجة كبيرة .

غمغم ( أدهم ) فى صرامة :

- لعبة حقيرة .

قهقه ( جليانوف ) ضاحكاً مرة ثانية ، وهو يقول :

- ولكنها متقنة وناجحة للغاية يا رجل ؛ فكلنا كنا نعلم انه من المستحيل أن تقف فى قاعة المحاكمات الكبرى لتدين وطنك ، مهما بذلنا من جهد معك ، أما رجلنا فيستقف فى مواجهة

عبدسات المصورين ورجال الإعلام ، من كل انحاء العالم ، ليعترف بالتجسس علينا لحساب ( مصر ) ، وحتى رؤساؤك انفسهم سيتصورون انه انت .

قالها وشببيهه على الشاشة يقول بلهجة تشابه لهجته :

- اعترف اننى قدت طائرة التجسس إلى هنا ، واننى كنت اعلم انها ستلتقط صور وخرائط الاتحاد السوفيتى ، ولكننى كنت انفذ أوامر رؤسائى .

ساله رئيس القضاة فى حسم :

- ومن هم رؤساؤك ؟

أدار الشبيهه عينيه فى وجوه الجميع ، قبل أن يخفض عينيه متمتماً :

- المخابرات المصرية .

سطعت مضامير التصوير فى وجهه ، وساد هرج ، ومرج فى القاعة ، من فرط المفاجأة ، مع هذا الاعتراف الصريح ، مما اضطر رئيس القضاة إلى الطرق بمطرقته على منضدته الكبيرة ، هاتفاً فى صرامة :

- سكوت أيها السادة .. سكوت .

ثم التفت إلى الشبيهه ، وساله :

- هل تشعر بالفخر لعملك هذا ؟

هز الرجل رأسه نفياً ، وخفض عينيه مجيباً :

- كلاً .. إننى أشعر بالندم والخزى والعار ، وخاصة بعد المعاملة الكريمة ، التى أحاطتنى بها السلطات السوفيتية ، و ... ضغط ( جليانوف ) زر ( التليفزيون ) مرة أخرى ، فتوقف البث مباشرة ، والتفت هو إلى ( أدهم ) ، قائلاً فى شماعة :



- أرايت أيها العبقري ؟ .. إننا لم نعد بحاجة إليك فعلياً ..  
كل ما ننتسده هو بعض المعلومات التى تختزنها فى ذهنك ، حول  
المخابرات المصرية وإدارتها ، ونظم تبادل المعلومات فيها ، و ...  
قاطعها ( أدهم ) فى صرامة :  
- هراء .. إنك لن تحصل مبنى على حرف واحد .  
انعقد حاجبا ( هيلجا ) فى شدة ، ومط ( سياسكى ) شفتيه  
فى جنق ، فى حين أطلق ( جليانوف ) ضحكة ساخرة عالية ،  
وهو يقول :

يا للغرور ! .. ألا تعترف بالهزيمة قط يا رجل ؟  
ثم أشار إلى الجنود الثلاثة ، مستطرداً فى صرامة :  
- قيئوه حتى أحقنه بفصل الحقيقة يا رجال ، وبعدها  
سنرى على أى أساس بنى غيوره هذا .  
انقض الجنود الثلاثة على أدهم فى شراسة ، و ...  
وفجأة انتزع ( أدهم ) معصميه من الأغلال المعدنية ، هاتفاً :  
- مفاجأة !

وقبل أن ينتهى من هتافه كانت قبضته اليسرى تلکم أحد  
الجنود الثلاثة وتطيح به ثلاثة أمتار إلى الخلف فى عنف  
ليرتطم بالجدار ، ويسقط فاقد الوعي ، فى نفس اللحظة التى  
قبضت فيها يده اليمنى على معصم الجندى الثانى ، وإدارته  
بحركة سريعة قوية ، ليضرب كعب مدفعه فى انف الجندى  
الثالث فى قوة ، ويسقطه ليلحق بزميله ، قبل أن تهوى قبضة  
( أدهم ) على معدته ، وترتفع لتنفجر فى وجهه ، فى حين  
اختلطت قبضته الثانية المدفع الآلى وصوبه إلى السوفيت  
الثلاثة : قائلاً فى صرامة :

- والآن أيها السادة ، ارفعوا أيديكم فوق رؤوسكم ، فقد  
انتهت لحظات المرح ، وحقن وقت الجد .  
اتسعت عيننا ( جليانوف ) فى ذهول ، مع تلك المعركة التى  
استغرقت ثانيتين أو ثلاثاً ، وأطاح فيها ( أدهم ) بثلاثة رجال  
أقوياء ، فى حين انعقد حاجبا ( هيلجا ) أكثر ، وثقت بخان  
سجارتها فى عصرية ، وهدف ( سياسكى ) بوجه محتقن :  
- كيف ؟ .. كيف تخلصت من قيودك ؟  
هز ( أدهم ) ( كتفيه ) ، وهو يجيب فى سخرية ، ويتنزع أغلال  
كالحية :

- يا له من سؤال سخيف ! .. من الواضح أنك تجهل تماماً  
قدرات رجل المخابرات العادي يا رجل .. سل الرفيق  
( جليانوف ) ، وسخبرك أن التخلص من القيود والأغلال ليس  
بالمشكلة العسيرة .

انعقد حاجبا ( جليانوف ) ، وهو يغيغم فى غيظ :  
- هذا الرجل بالذات قادر على التخلص من أغلال قولانية ،  
تحيط بكل طرف من أطرافه ، عندما يرغب فى هذا .  
احتقن وجه ( سياسكى ) أكثر ، وهو يهتف :  
- ولماذا لم يخبرنى أحد بهذا ؟ .. لماذا لم أعرف ؟  
زمر ( جليانوف ) قبل أن يجيب فى خشونة :  
- هانتذا قد عرفت .  
هتف ( سياسكى ) مستنكراً :  
- الآن ؟

لوح ( أدهم ) بمدفعه الآلى ، قائلاً :  
- كفى شجاراً أيها الأطفال الأشقياء .. لم يعد هذا يفيد الآن .



استدار إليه ( جلعانوف ) بحركة حادة عنيفة ، وقال :

- ما الذى تتوقع أن تفعله الآن أيها المصرى ١٩ ؟

اجابه ( ادهم ) فى شيء من السخرية :

- الأمر بسيط للغاية أيها الرفيق العصبى .. إننى أسيطر

على الموقف الآن ، وكل ما أحتاج إليه أن أفقدكم الوعي ، ثم

انتكر بى أحبك ، وأغادر المكان إلى حيث الهليوكوبتر ،

واستقلها مبتعداً عن هنا .

قال ( سباسكى ) فى حدة :

- تحدث كما لو أن هذا أمر يمكن حدوثه ببساطة .. هل

تعتقد أن الحراس فى الخارج سيسمحون لك بمغادرة المكان

بكل بساطة ، بمجرد أنك ترتدى زياً عسكرياً ١٩ .. لو أنك تتصور

هذا فانت واهم .. الرجال هنا لديهم أوامر صارمة ، بعدم

السماح لأى مخلوق بدخول إلى حجرتى بمغادرتها إلا عندما

أمرهم شخصياً بهذا .

ابتسم ( ادهم ) وهو يقول :

- وهذا ما ستفعله بالضبط .. ستصدر أوامرك ، وستنفذها

الآخرون بمنتهى الالتزام .

أطلق ( سباسكى ) ضحكة ساخرة عصبية ، وهو يهتف :

- هراء .. لا توجد قوة فى الأرض يمكنها إجبارى على فعل

شيء ما لمعاونة خصمى ، ولا ..

اتسعت ابتسامة ( ادهم ) ، وحملت قدراً مخيفاً من الثقة

والسخرية ، جعلاً السوفيتى يبتز عبارته بغتة ، ويعقد حاجبيه

فى شدة ، متطلعاً إليه فى حذر ، فى حين بدا مزيج من الشغف

والاهتمام على وجه ( هيلجا ) ، وهى تتابع الموقف فى صمت ،

وتواصل نثث بخان سيجارتها ، واحتقن وجه ( جلعانوف )

بشدة وهو يندفع قائلاً :

- أنا واثق من أنه لديك خطة ما يارجل ، ولكنها لن تنجح .

أدار ( ادهم ) عينيه إليه ، قائلاً فى سخرية :

- هل تراهن ؟

اجابه ( جلعانوف ) فى حدة ، وهو يتحرك نحوه فى

عصبية :

- نعم .. أراهنك أيها المغرور ، لأننى واثق من أن خطتك كلها

تعتمد على السيطرة على الموقف هنا ، ولكن ماذا لو فقدت هذه

السيطرة بغتة ١٩ .. ماذا لو اضطرك الأمر لإطلاق رصاصة

مثلاً ١٩ .. ألن يثير هذا موجة من التوتر فى المعتقل ، ستدفع

الجنود ، وعلى رأسهم الرفيق ( فينوفيتشى ) نفسه إلى اقتحام

المكان ١٩ .. هل سيمكنك عندئذ التصدى لكل هؤلاء ، والفرار من

هنا أيضاً ١٩ ؟

انعقد حاجبا ( ادهم ) فى صرامة ، دون أن يجيب ، وواصل

( جلعانوف ) تقدمه المتحفز نحوه ، فى حين هتف ( سباسكى )

فى حماس :

- نعم .. أنت على حق أيها الرفيق ( جلعانوف ) .. لو

هاجمناه الآن ، واضطربناه إلى إطلاق رصاصة واحدة ،

ستفشل خطته كلها .

اجابه ( ادهم ) فى صرامة :

- وماذا لو استقرت هذه الرصاصة الواحدة فى رأسك

مباشرة ؟

هتف ( سباسكى ) ، وهو يتقدم نحوه بدوره :



- إننى أفضل الموت ، على السماح لك بالقرار .

وقال ( جليانوف ) فى انفعال :

- لا تصدِّقه أيها الرفيق ( سباسكى ) .. لقد قرأت ملف هذا الرجل ، وأحفظ ما جاء به عن ظهر قلب .. إنه لن يحاول قتلنا ، مهما كانت الأسباب .. إنه من تلك الطراز الأحق ، الذى يبذل قصارى جهده لتفادى القتل والتدمير بأى ثمن .

تألَّفت عينا ( سباسكى ) ، وهو يهتف :

- أه .. هذا يغيِّر الأمور تماماً .

قالها ، وانقضى هو و ( جليانوف ) على ( أدهم ) فى ان واحد ، ومن اتجاهين متعارضين تماماً ، و ( جليانوف ) يهتف بدوره :

- بالتأكيد .

وتحرك ( أدهم ) بمهارة مذهشة ، فمال جانباً ، وضرب ( جليانوف ) بكعب مدفعه فى معدته ، فى نفس اللحظة التى استقبل فيها ( سباسكى ) بركة فى فكه ، ألقيه خلفاً .. ولكن الرجلين عاودا الانقضاض فى وحشية أكبر ، و ( جليانوف ) يصرخ :

- لا تنس أنتى أيضاً رجل مخابرات محترف .

وثب ( أدهم ) متفادياً انقضاضه ( سباسكى ) ، وهوى على فك ( جليانوف ) بكلمة كالقنبلة ، هاتفاً :

- الاحتراف وحده لا يكفى يا هذا .

ثم دار حول نفسه فى مرونة مذهشة ، وقبض على معصم ( سباسكى ) ، ولواه خلف ظهره بحركة سريعة بارعة ، مستطرداً :

- هناك أيضاً الخبرة .

ودفع ( سباسكى ) فى عنف ، ليرتطم رأسه بالجدار فى قوة ، مضيقاً :

- وحسن التصرف .

سقط ( سباسكى ) على وجهه فاقد الوعي ، فى حين ترنَّح ( جليانوف ) لحظة ، وكادت أصابعه تحطم المحقن ، الذى يحوى مصل الحقيقة ، والذى تشبَّث به طوال الصراع ، وهتف وهو يستلّ مسدسه من جرابه :

- والذكاء أيضاً أيها العبقري .. يبدو أنك نسيت أن كل ما نحتاج إليه هو انطلاق رصاصة واحدة ، ولا يهم من أى سلاح تنطلق .

قالها ، ورفع مسدسه ، وهم بضغط زناده ، وهو يتراجع فى سرعة ، حتى لا يمنح ( أدهم ) الفرصة لمنعه ، و ... ولكن ( أدهم ) أيضاً تتحرك فى سرعة ..

وشتان بين السرعتين ..

لقد تراجع ( جليانوف ) بسرعة محترف ، ولكن ( أدهم ) تحرك بسرعة تتضاعل أمامها سرعة المحترفين ، حتى لتبدو أشبه بسرعة سلحفاء تزحف إلى جواره ..

وقبل أن يضغط ( جليانوف ) زناد مسدسه ، فوجئ بـ ( أدهم ) يقبض على معصمه بأصابع من فولاذ ، ويتطلع إلى عينيه مباشرة ، قائلاً :

- نسيت السرعة أيضاً .

انفجرت شففاً ( جليانوف ) ، وشف اتساع عينيه ، وذلك الذعر المثلّ منهما ، إلى أنه سينطق بشيء ما ، ولكن



قبضة ( أدهم ) لم تسمح لهذا الشيء بتجاوز شفتي السوفيتي  
قط ، وهي تهوى على فكه كالصاعقة ، وتطيح بثلاث من أسنانه  
الامامية ، قبل أن تضرب رأسه بالجدار ، فيهوى فاقد الوعي ..  
وبسرعة ، اختطف ( أدهم ) مسدس ( جليانوف ) فهرزت  
( هيلجا ) كتفيها ، وأشارت بأصابعها الطويلة ، قائلة :  
- لا تقلق من ناحيتي .. ليس لدى أدنى استعداد للتدخل .  
ثمتم ( أدهم ) ، وهو يخلص المحقق من بين أصابع  
( جليانوف ) ، ويدس مسدس هذا الأخير في حزامه :  
- أعلم هذا .

ثم اتجه إلى ( سباسكى ) ، وراح يستبدل قطع الفراء  
المهترئة التي يرتديها بالزى العسكري له ، وراقبته ( هيلجا )  
دون خجل ، وهي تنفث بخان سيجارة ثانية ، اشعلتها قبل أن  
تطفى الأولى ، ثم قالت في هدوء :  
- اظننى اتفق مع ( سباسكى ) فيما قاله ؛ فاستبدال الزى  
وحده لا يكفي للخروج من هنا .  
اجابها ( أدهم ) فى حزم :  
- بالتأكيد .

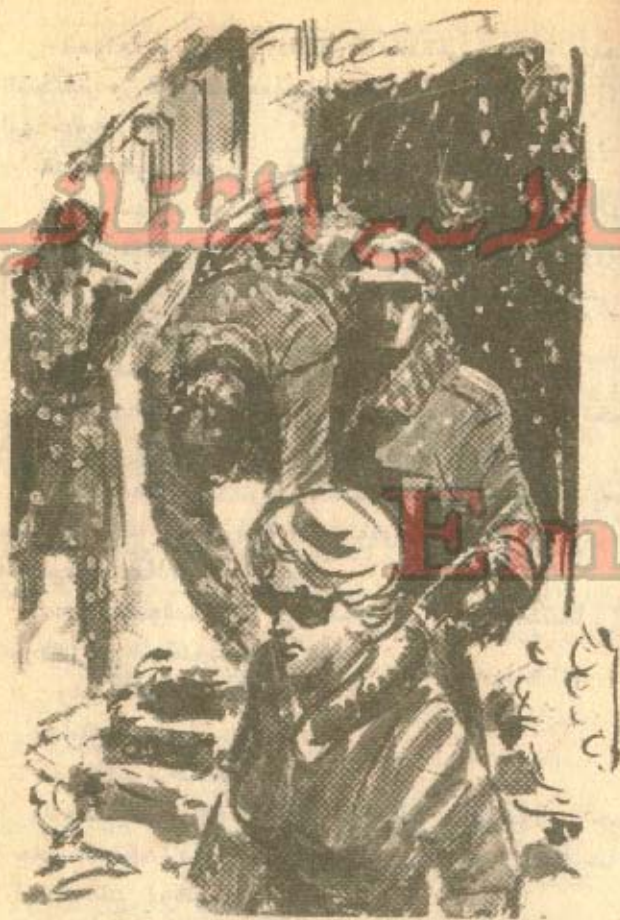
ثم أخرج من طيات قطع الفراء تلك الرقائق المصنوعة من  
الصمغ ، والصق إحداها على وجهه فى عناية ، فالتصقت عينا  
( هيلجا ) فى ذهول هاتفة :  
- مستحيل ! .. لقد أصبحت صورة طبق الأصل من  
( سباسكى ) ، باستثناء لون الشعر والعينين ، ولون البشرة  
الداكن .. كيف فعلت هذا ؟  
اجابها فى هدوء وبساطة ، وهو ينحنى ليلصق رقيقة أخرى  
على وجه ( سباسكى ) :

- لقد صنعت قالبين لوجهه ووجهى ، ، واستخدمت الصمغ  
المستخرج من الأشجار لصنع القناعين ..  
صدقته فى ذهول فى وجه ( سباسكى ) الذى حوله قناع  
( أدهم ) البدائى إلى نسخة منه ، باستثناء لون الشعر والعينين  
أيضاً ، وهتفت مبهورة :  
- تتحدث كما لو أن هذا أمراً بسيطاً !  
هز كتفيه ، قائلاً :

- الأقنعة ليست متقنة للغاية للأسف ، ولكن هذا أفضل  
ما يمكن عمله بذلك الخامات البدائية ، أما لون الشعر  
والعينين ، فسيحتاج إلى بعض الجهد .  
قالها واتجه إلى المدفأة ، واحضر بضع قطع الفحم ، وراح  
يستخدمها ليمنح شعر ( سباسكى ) لوناً أقرب إلى السواد ،  
فسالته ( هيلجا ) ، وهي تتابع عمله فى انبهار :  
- هذا لن يخدع أحداً .

غمغم :  
- يكفي أن يشغلهم ، حتى نبتعد عن هنا .  
سالته مشيرة إلى شعره الأسود :  
- وماذا عنك ؟  
اجاب فى هدوء :  
- القبعة العسكرية ، مع معطف الفراء ، سيخفيان الكثير من  
ملامحى ، حتى نبغ الهليوكوبتر .  
قالت فى اهتمام مغمم بالشغف :  
- وكيف تتوقع من الجنود أن يطيعوا أوامرك ، دون أن  
يتبينوا ملامحك جيداً ؟





ثم دفعها أمامه ، وانزلها معاً عبر باب حجرة ( سباسكى ) ،

و ( أدهم ) يهتف مقلداً صوت هذا الأخير وأسلويه ..

أجابها بابتسامة ساخرة :

- سيكون لديهم ألف ملبر لهذا .

اتسعت عيناها في ذهول ، عندما نطق عبارته ، وشبهت

هاتفة :

- مستحيل !

هذا لأن الصوت ، الذي خرج من بين شفقيه ، لم يكن صوته

الذي سمعته طوال الوقت ..

وإنما كان صوت ( سباسكى ) نفسه ..

وكان متقناً إلى درجة مدهشة ، كما لو أن ( أدهم ) قد

استبدل أيضاً بحنجرتة حنجرة ( سباسكى ) ، وهو يستبدل

ثيابه معه ..

وفي هدوء ، اعتدل ( أدهم ) ، ووضع القبعة العسكرية على

رأسه ، ثم ارتدى معطف الفراء الناصب ( سباسكى ) ، قبل أن

ينحني ليحمل ( جلجانوف ) على كتفه ، قائلاً :

- والآن حانت لحظة المواجهة الفعلية .

وصوب مسدسه إلى ( هيلجا ) ، مستطرداً :

- سنقادر المكان معاً إلى الهليوكوبتر .

سألته وهى تلقى سيجارتها أرضاً ، وتسحقها بقدمها :

هل تجد ضرورة لتصويب مسدسك إلى ؟

غمغم في صرامة ، وهو يكشف ذراع ( سباسكى ) ، ويحقنه

بمصل الحقيقة :

- هذا أفضل .

ثم دفعها أمامه ، واندفعا معاً عبر باب حجرة ( سباسكى ) ،

و ( أدهم ) يهتف مقلداً صوت هذا الأخير وأسلويه :



- تحركوا يا رجال .. المعتقل هاجمنا فى شراسة ، ونجح فى التخلص من قيوده .. ساحاكم المسئول منكم عن هذا الإهمال أيها الأوغاد ..

هيا .. القوا القبض عليه ، وأسعفوا زملاءكم .

لم يكدر الجنود يسموعته ، حتى اندفعوا بمدافعهم الآلية إلى حجرة ( سباسكى ) ، وأخطأوا به فى صرامة ، متصورين أنه ( أدهم ) ، فى حين اندفع قائد المعتقل ( أندريه فينوفيتشى ) إلى ( أدهم ) ، وهتف به :

- ماذا حدث أيها الرفيق ( سباسكى ) ؟

أجابته ( أدهم ) ، وهو يعدو نحو الهليوكوبتر حاملاً ( جليجانوف ) ( الفائد الوعى ، و ( هيلجا ) إلى جواره :

- ما سمعته أيها الرفيق القائد .. تلك المصرى كاد يحطمننا جميعاً .. لقد أفقد الرفيق ( جليجانوف ) وعيه كما ترى ، وكنا محظوظين بإفقاذه وعيه أيضاً .

شعر ( فينوفيتشى ) أن ( سباسكى ) يبدو مختلفاً ، إلا أنه عزا هذا إلى الموقف نفسه ، وهتف :

- وهل انتهت عملية استجوابه ؟

أجابته ( هيلجا ) بسرعة :

- بالتأكيد .. إنه لكم .

لم يعترض ( أدهم ) على قولها ، وهو يدفع جسد ( جليجانوف ) داخل الهليوكوبتر ، فى حين تألفت عينا ( فينوفيتشى ) وهو يقول :

- هذا أفضل .. أفضل كثيراً .

ثم ارتفع صوته بلهجة صرامة أمرة ، مع استطرادته :

- كل المعتقلين يعودون إلى عنبر النوم ، ولتستعد فرقة الإعدام .

أسرع إليه أحد الجنود من حجرة ( سباسكى ) ، هاتفاً :

أيها الرفيق القائد .. لقد القينا القبض على المعتقل الفائد الوعى ، ولكنه يبدو ..

قاسطه ( فينوفيتشى ) فى صرامة :

- دعك مما يبدو عليه الآن يا رجل .. لقد أثار ذلك المعتقل متاعب لا حصر لها ، منذ وصل إلى هنا ، ولكن أحداً لم يعد يرغب فى وجوده الآن ، وستنتهى كتيبة الإعدام من أمره ، فى غضون دقائق .

نطقها دون أن ينتبه إلى الهليوكوبتر التى أقلعت مبتعدة ، وهى تحمل ( أدهم ) داخلها بصحبة ( هيلجا ) و ( جليجانوف ) الفائد الوعى ..

وفى الهليوكوبتر ، لاذت ( هيلجا ) بالصمت تماماً ، وهى تراقب المعتقل ، الذى يبتعد ويبتعد ويبتعد ، ثم مالت على أن ( أدهم ) هامسة :

- ما الذى سيفعلونه بالرفيق ( سباسكى ) فى رايك ؟

استرخى فى مقعده هامساً بدوره :

- نفس ماكانوا سيفعلونه بى ، لو أننى فى موضعه الآن .

ارتفع حاجبها فى دهشة ، وهى تقول :

- عجباً ! .. كنت اظنك تكره القتل والتدمير ، كما يقول ملفك .

انعقد حاجبها فى صرامة ، وهو يقول :

- عندما يتحول المرء إلى وحش آدمى ، ويخلو قلبه من كل

نرة من الرحمة والشفقة ، فإنه يستحق القتل .



وفى نفس اللحظة التى نطق فيها بعبارته ، كان ( سباسكى ) قد استعاد وعيه أو جزءاً من وعيه ..

فمصل الحقيقة الذى حققه به ( ادهم ) ، كان يسيطر على معظم حواسه ، ويجعله يدرك ما حوله إلى حد ما ، ولكنه غير قادر على التفاعل معه على الإطلاق ..

وطوال الطريق ، وهم يسحبونه إلى منطقة الإعدام ، كان يحاول أن يصرخ فيهم بأنه ضابطهم ( لون سباسكى ) ، إلا أن لسانه رفض أن يتحرك داخل فمه ، كما أن البرودة القارصة ، التى تجسدت لها الدماء فى عروقه ، كانت تبعث فى جسده ألماً لا حصر لها ..

وامام عينيه المعتبتين ، تراص المعتقلون ، يتطلعون إليه ، ووقف ( فينوفيتشى ) يشير إلى كتيبة الإعدام بالاستعداد ..

وامتلا قلب ( سباسكى ) برعب هائل .. وحاول أن يصرخ معلناً شخصيته ..

حاول ..

وحاول ..

وحاول ..

ثم نجح أخيراً ، وتحرر لسانه ، واستطاع أن يهتف باسمه ، ولكن ..

فى نفس اللحظة التى اصدر فيها ( فينوفيتشى ) اوامره إلى رجاله بإطلاق النار ..

وضاع هتاف ( سباسكى ) مع دوى الرصاصات ، التى اخترقت جسده فى مواضع شتى ، فجحظت عيناه ، وسقط رأسه على صدره ..

وفى اللحظة نفسها انتبه ( فينوفيتشى ) إلى التمرقات فى القناع البدائى ..

ولثوان ، انعقد حاجباه فى شدة ، وخفق قلبه فى قوة ، فى حين تفجرت الدموع من عيون عشرات المعتقلين ، وهم يتصورون أن الرجل الذى عقدوا آمالهم عليه ، قد لقي مصرعه أمام عيونهم ..

ثم اندفع ( فينوفيتشى ) نحو ( سباسكى ) ، وحقق فى وجهه عن قرب ، واتسعت عيناه فى ارتياح ، وهو يحقق فى الشعر الأشقر الذى بدت بعض أجزائه واضحة ، بعد أن أزال الجليد المنهمر صبغة الفحم ، وفى أجزاء القناع المصنوع من الصمغ والذى تمرقت أجزاء عديدة منه ، من أثر الرصاصات ..

وبكل ارتياحه وذعره ، صرخ ( فينوفيتشى ) :

- اللعنة ! .. لقد أعدمنا ( سباسكى ) !

انطلقت صرخته ، وهو ينتزع بقايا القناع البدائى عن وجه ( سباسكى ) ، فتردبت الصرخة فى أذان المعتقلين ، وهم يحدقون فى الضابط السوفيتى الصريع ، الذى أذاقهم العذاب الوائئاً من قبل ، وران على المكان صمت رهيب ، استغرق لحظة واحدة ، قبل أن يقطع أحد المعتقلين بضحكة شامتة مجلجلة ، جعلت ( فينوفيتشى ) يلتفت إلى حيث يقفون فى غضب ، محاولاً تمييز صاحب الضحكة ، إلا أنه فوجئ بالضحكات الساخرة الشامتة تتردد فى المكان كله ، وتنطلق من كل الحلق ، حتى صارت أشبه بضحكة واحدة جبارة ، جعلته يصم أذنيه بكفيه ، صارخاً :

- أعيدوهم إلى العتبر .. أعيدوهم فوراً .



لم يكد ذلك النداء ينبعث عبر جهاز اللاسلكى فى الهليكوبتر ، حتى ادرك ( ادهم ) ان الامور ستتعدد أكثر وأكثر ..

ولكن الطيار باغته برد فعل لم يتوقعه قط .. وعلى الرغم من الحاجة ، تحرك ( ادهم ) بكل ما تسمح به المساحة المحدودة من مرونة ، فانحنى بسرعة ، ورفع قدمه ليركل الطيار فى صدره .. ولكن الرصاصة انطلقت ..

ودوى صوت الرصاصة فى أذنى ( ادهم ) كالف قنبلة ، وصرخت ( هيلجا ) وهى تكتم أذنيها بكفيها ، فى حين شعر ( ادهم ) بالام عنيفة فى صدغه اليسر ، وفوق أذنه مباشرة ، وشعر بالدم ينزف من موضع الألم ، فكال لكمة للطيار بكل قوته ، تحطم لها انف هذا الأخير ، وارتطم بعصا القيادة ، فمالت الهليكوبتر إلى الامام بزاوية حادة ، واندفعت إلى أسفل فى سرعة ، فى نفس الوقت الذى أمسك فيه ( ادهم ) معصم الطيار ، ولواه فى قوة ؛ ليجبره على إفلات مسدسه ، وهو يقول فى صرامة :

- العبت بالأسلحة النارية لا يناسبك يا رجل .

وعلى الرغم من الدماء ، التى تنزف من أنفه فى غزارة ، قاتل الطيار فى استماتة ، فما كان من ( ادهم ) إلا أن لكمه مرة أخرى فى أنفه ، هاتفاً :

- الهليكوبتر تسقط أيها الغبي .

ثم انطلق نحو حجرته ، والتقط بوق جهاز اللاسلكى الخاص ، مستطرداً فى انفعال جارف :

- إلى كل الوحدات .. إلى كل الوحدات .. الجاسوس المصرى تمكن من الفرار فى زى ضابط سوفيتى ، وعلى متن طائرة هليكوبتر ، تابعة للمخابرات السوفيتية .. أكرر .. نداء إلى كل الوحدات .

استقبلت كل الوحدات العسكرية السوفيتية ذلك النداء فى أن واحد ، وكذلك الهليكوبتر ، التى اتسعت عينها قائدها فى انزعاج ، هاتفاً :

- على متن هليكوبتر ١٩

وفى حركة سريعة ، اختطف مسدسه ، واستدار يصوبه إلى رأس ( ادهم ) ودون أن يفكر أو يتردد لجزء من الثانية ، ضغط زناده ، و .. وانطلقت الرصاصة .

\* \* \*





ارتطم رأس الطيَّار بالنافذة هذه المرة ، قبل أن يتهاوى فاقد الوعي ، فازاحه ( أدهم ) جانباً في سرعة ، ومال إلى الامام في شدة ، ليمسك عصا القيادة ، في حين اتسعت عينا ( هيلجا ) في ارتياح ، هاتفة :

- لا فائدة .. سنسقط حتماً .

كانت الهليوكوبتر تقترب من الأرض بسرعة مخيفة بالفعل ، ولكن ( أدهم ) سيطر على أعصابه الفولاذية كالمعتاد ، وعلى عصا القيادة التي جذبها إلى الخلف واليسار في حنكة ، فمالت الهليوكوبتر على نحو عنيف ، حتى أن أطراف مروحتها أثارت عاصفة جليدية صغيرة ، ونجت من التحطم بأعجوبة ، و ( أدهم ) يدور بها بزاوية صعبة للغاية ، و ( هيلجا ) تهتف :

- لا فائدة .. لا فائدة ..

كانت تدرك بخبرتها المحدودة في الطيران ، أن النجاة من موقف كهذا ، ومع اقتراب الهليوكوبتر الشديد من الأرض ، يعد مستحيلاً ، لذا فقد اتسعت عيناها في انبهار ، مع المناورة المذهلة ، التي قام بها ( أدهم ) ، وهو في هذا الوضع المعقد ، ليمنع السقوط والارتطام ..

وعندما استعادت الهليوكوبتر توازنها ، شهقت هاتفة :

- مستحيل ! .. إنها معجزة .

انعقد حاجبا ( أدهم ) ، دون أن يجيب ، وامسك عصا القيادة في قوة ، وهو يهبط بالهليوكوبتر على الجليد ، ولم يكد يستقر بها حتى انطلقت من أعماق صدره زفرة حادة ، وغمغم :

- حمداً لله .

نطقها بالهربية ، فتطلعت إليه ( هيلجا ) في حيرة ، قبل أن تساله :

- ماذا قلت ؟

لوح بكفه ، قائلاً :

- لا تشغلي عقلك بهذا .

تطلعت إليه مرة أخرى في حيرة ، ثم سألت :

- حسن .. ماذا ستفعل الآن ؟

دفع باب الهليوكوبتر قائلاً :

- سأفحص المروحة في البداية ، فقد ارتطم طرفها بالجليد ، واخشى أن تكون قد أصيبت على نحو أو آخر .

غادر الهليوكوبتر ، على الرغم من الجليد المنهمر ، وتطلع إلى مروحتها في اهتمام ، ولحقت به ( هيلجا ) ، وهو يدور حول الهليوكوبتر لفحصها ، وتوقفت تتطلع إليه بضع لحظات ، قبل أن تساله :

- الديك خطة محدودة ؟

أوما برأسه إيجاباً ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وهو يدور حول الهليوكوبتر ، ويواصل فحصها ، و ...

وفجأة ، وثب ( جلجانوف ) خارج الهليوكوبتر ، وهو يحمل سدس الطيَّار ، وصوبه إلى ( أدهم ) صارخاً : خسرت يا رجل .

كانت مفاجأة حقيقية لـ ( أدهم ) ، الذي لم يتوقع أن يستعيد ( جلجانوف ) وعيه بهذه السرعة ، فانعقد حاجباً في شدة ،

وقاس المسافة التي تفصله عن هذا الأخير ، محاولاً تقدير القفزة المطلوبة للوصول إليه ، ولكن ( جلجانوف ) تابع في ثورة ، وهو يضغط زناد السدس :



- إنها محطتك الأخيرة .

ولم يكن من السهل أبداً أن يفلت ( أدهم ) هذه المرة ..

إنه يواجه خصماً من أقوى رجال المخابرات السوفيتية ،  
ومثله لا يخطئ إصابة هدفه بسهولة .

حتى لو تحرك هذا الهدف بسرعة محدودة ..

و ( أدهم ) يدرك جيداً أن الجليد لن يسمح له بالتحرك  
بالسرعة المطلوبة ..

والمسافة التي تفصله عن ( جلعانوف ) ليست بالقصيرة ، و ..  
وهذا تدخلت ( هيلجا ) ..

لقد تحركت في سرعة ، وانقضت على ( جلعانوف ) من  
الخلف ووقفت تركز المسدس من يده في اللحظة الأخيرة ،  
فطاشت رصاصته في الهواء ، قبل أن يطير مسدسه بعيداً ،  
والتفت إليها يهتف في ذهول :

- أنت ؟ ! ..

ركلته في معدته بقوة ، هاتفة :

- نعم .. أنا أيها الوغد .

ثم هوت على فكه بلكمة عنيفة مستطردة :

- وإنه لمن دواعي سروري أن أعلن هذا .

أمسك ( جلعانوف ) قبضتها في قوة ، قبل تبليغ فكه ، وهو  
يقول في غضب هائل :

- ستدفعين الثمن أيتها الـ ...

قبل أن يتم عبارته ، قبضت أصابع ( أدهم ) القولاذية على  
كتفه ، وسمع صوته يقول في صرامة :

- هل نسيته يا رجل ؟

استدار ( جلعانوف ) بسرعة ليواجه ( أدهم ) ، فاستقبلته  
قبضة هذا الأخير بلكمة رهيبة ، أطاحت به مترين إلى الخلف ،  
قبل أن يسقط على الجليد فاقد الوعي ، ويسيل الدم من ركن  
شفتيه ..

وفي حزم التفت ( أدهم ) إلى ( هيلجا ) ، قائلاً :

- لقد كشفت أمرك بهذا الموقف .

ابتسمت ، وهي تهز كتفها ، قائلة :

- لا عليك ، لقد احتملت طويلاً ، وحين الوقت لمفارقة كل هذا .

واتسعت ابتسامتها ، وهي تستطرد :

ثم إن أوامر المخابرات المصرية لى أن أبذل قصارى جهدى  
لإنقاذك ، حتى ولو أدى هذا إلى كشف حقيقة كونى أعمل  
لحسابكم .

ثم استندت بظهرها إلى الهليوكوبتر ، متابعة :

- لهذا كشفت لك أمرى فى مكتب العقيد ( كوزيريف ) .

أوما برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم .. عندما استخدمت دخان سيجارتك ، على طريقة  
الهنود الحمر ، لتبلغينى أنك عميلة للمخابرات المصرية ، وأن  
( كوزيريف ) يسجل كل ما أقوم به ، ليستغله فى تلفيق اعتراف  
زائف .

هزت كتفها ثانية ، وقالت :

- كانت براعة منك أن تستوعب ذلك .

ثم مطت شفتيها ، مستطردة فى غضب مقتعل :

- ولكن لماذا استخدمت المسدس معى ، ونحن نخرج من

حجرة ( سباسكى ) ؟



اجابها فى جسم :

- حتى يمكنك القسم فيما بعد باننى اجبرتك على معاونتى .

ارتفع حاجباها فى دهشة ، وهى تقول :

- هل يهكم امرى الى هذا الحد ؟ !

اجابها فى صرامة :

- كنت اسعى للمحافظة على سرية عملك لحسابنا .

اخرجت مسدسها ، قائلة :

- ما زال بإمكاننا المحافظة عليها .

قالتها ، وصوبت مسدسها إلى ( جليانوف ) الفاقد الوعى ،

فصاح بها فى غضب :

- إياك أن تفعلنى .. إنه فاقد الوعى .

ارتفع حاجباها مرة أخرى فى دهشة ، وقالت :

- عجباً ! .. أينبغى أن أوقفه ، قبل أن انسف رأسه

برصاصتى ؟ !

هم ( ادهم ) بقول شىء ما ، عندما دوت رصاصة فجأة فى

المكان ، واتسعت عينها ( هيلجا ) فى ألم وارتياح ، وتفجرت بقعة

من الدم من منتصف صدرها تماماً قبل أن تهوى على وجهها

فوق الجليد ..

وفى نفس اللحظة لمح ( ادهم ) طيار الهليكوبتر ، الذى

استعاد وعيه ، وهو يدير نحوه مسدساً احتياطياً ، كان يخفيه

أسفل مقعده ..

ووثب ( ادهم ) فوق الجليد ، فى نفس اللحظة التى اطلق

فيها الطيار رصاصته الثانية ، وترك جسده ينزلق فى سرعة ،

حتى بلغ جسد ( جليانوف ) .. ثم اختطف مسدسه ، والطيار

يقفز خارج الهليكوبتر ، ويصوب نحوه مسدسه مرة أخرى  
صارخاً :

- لن تربح فوق ثلوجنا أيها الجاسوس المصرى .

أدار ( ادهم ) يده فى سرعة ، وأطلق رصاصة من المسدس ،

اخترقت رأس الطيار ، الذى ارتد مع عنف الإصابة ، وارتطم

بالهليكوبتر فى عنف ، ثم سقط إلى جوارها جثة هامدة ..

وبكل لهفة ، هب ( ادهم ) واقفاً ، وأسرع إلى حيث رقدت

( هيلجا ) ، وانحنى يفحصها فى قلق ..

كان من الواضح أن إصابته مميتة ، مع الرصاصة التى

اخترقت ظهرها ، وهشمت عظمة القص فى صدرها ، وكل الدماء

التى تغرق زيتها العسكرى ، ومعطف الفراء السميك ، ولكنها لم

تكن قد لفخت أنفاسها بعد ، وإنما راحت تلهث فى شدة ،

قائلة :

- أرايت ؟ ! .. كنت أعلم أن أيامى هنا قد انتهت .

قال ( ادهم ) فى رفق :

- لا تبذلى جهداً .. اذكرى قوائى ، و ...

قاطعته بابتسامة شاحبة :

- لا فائدة .. أنا أشعر بهذا .. المهم أن تستمع إلى جيداً .

وسعلت فى ألم ، فتدفقت الدماء من بين شفثيها ، وأغرقت

نقنها وعنقها ، ولكنها تابعت فى إصرار :

- المخابرات المصرية أعدت لك خطة الفرار ، وكان المفترض

أن أبلغك هذا برسالة بخان أخرى ، ولكنك سبققتنى بالفرار ..

هناك عميل آخر لكم ، يعمل فى قاعدة ( ياكوتسك ) الجوية ..

اسمه ( راكيف ) .. ستجد فى جيبى أوراق هوية تخصك ،



صنعها لك زميلك ( قدرى ) ، الذي يبلغك تحياته .. خذها ، فهي ستقنع الآخرين بانك أحد ضباط الـ ( كى - جى - بى ) ، فى مهمة خاصة ، وستجبرهم على التعاون معك ، دون إلقاء أية أسئلة .. استخدم الهليكوبتر لتصل إلى قاعدة ( ياكوتسك ) الجوية ، وهناك سيعمل ( راكيف ) على منحك مخالطة من طراز ( ميخ ) ، يفتل خزائنها بالوقود و ...

سعلت مرة أخرى ، وشحب وجهها بشدة ، مع كل ما فقدته من دم ، فتمتم ( أدهم ) :

- لا تتكلمى يا ( هيلجا ) .

ضغطت يده بكل قوتها ، وتابعت وكأنها لم تسمعه :

- ( راكيف ) سيمنحك خريطة ، لمواقع الرادار فى المنطقة ، والمدى الذى يمكنها تغطيته .. استخدمها لتقود مسارك ، حتى تخرج من هذه الدولة ، التى يسعى سكانها أنفسهم للفرار منها . وجاوبت أن تبسسم ، على الرغم من تزايد ضغطها وشحوبها ، وهى تتمتم :

- حاول ألا تنسانى بسرعة .

تحسّس شعرها الأشقر فى حنان ، وهو يقول بحزن حقيقى :

- لن انساك أبداً يا ( هيلجا ) .

اتسعت ابتسامتها ، وتجمّدت على شفيتها ، وفقدت عيناها بريق الحياة ، وجسدها كله يسترخى بين ذراعيه ، فاطلت من عينيه نظرة مفعمة بالأسى ، وارقدتها فى رفق على الجليد ، ونهض يكرّر :

- لن انساك أبداً ..  
ولتوان ، ظل واقفاً فى مكانه ، ليكتم انفعالاته الجياشة ، ثم

اتجه إلى الهليكوبتر وأدار محركها ، وحلّق بها فى طريقه إلى قاعدة ( ياكوتسك ) الجوية .. إلى حيث الأمل فى الفرار من هذا السجن الجليدى ..  
الأمل الأخير ..

\* \* \*

شحب وجه العقيد ( كوزيريف ) فى شدة عندما بلغه نبأ فرار ( أدهم ) من معتقل ( سيبيريا ) ، وبدأ صوته عصبياً مختنفاً ، وهو يقول :

- تقصير فظيع .. إهمال جسيم .. ينبغى محاكمة المسئول عن هذا ، وإعدامه بلا رحمة .  
أجابته رئيسه المباشر :

- هذا ما سيحدث بالتأكيد ، ولكن هذه ليست المشكلة الآن .. المشكلة الحقيقية أن الجاسوس مازال هارباً ، وانهمار الجليد المتواصل يجعل مطارته أمراً بالغ الصعوبة .  
قال ( كوزيريف ) فى حدة :

- ولكنه يستقل هليكوبتر معروفة ، وما دامت تلك الهليكوبتر قادرة على الطيران تحت الجليد المنهمر ، فما الذى يمنع فريق المطاردة ؟

قال رئيسه فى صرامة :

- يمكننا إرسال عدد من طائرات الهليكوبتر خلفه ، ولكن المشاة المطارين لن يمكنهم السعى خلفه الآن .  
لوح ( كوزيريف ) بيده ، قائلاً فى عصبية :

- ومن يحتاج إلى المشاة ؟



ثم مال نحو رئيسه ، مستطرداً ، فى لهجة اقرب إلى الضراعة :

- اسند إلى مهمة مطاردته ، أيها الرفيق الرئيس .

ارتفع حاجبا الرئيس فى دهشة ، وهو يهتف :

- مهمة مطاردته ١٩ .. ماذا هناك يا ( كوزيريف ) ؟ .. إننا هنا فى ( موسكو ) ، والرجل فرّ هناك ، فى ( سيبيريا ) ! .. هل تعلم كم كيلومتراً تفصله عنا الآن ١٩ .. بل كم ألف كيلومتر ١٩ .. قال ( كوزيريف ) فى انفعال :

- أعلم أيها الرفيق الرئيس .. أعلم ، وأعلم أيضاً أنه من المستحيل أن أصل إلى منطقة المطاردة فى الوقت المناسب ، ولكن يمكننى توجيه الرجال من هنا لاسكياً .

انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يغمغم فى حذر :

- لست أدرى فى الواقع أيها الرفيق ( كوزيريف ) .. فربما .. قاطعه ( كوزيريف ) فى لهفة :

- أرجوك ..

تطلع إليه الرئيس بضع لحظات فى دهشة ، ثم لم يلبث أن تنهد ، وهز رأسه ، مغمغماً :

- فليكن أيها الرفيق ( كوزيريف ) .. إننى أسند إليك قيادة عملية المطاردة هذه .

تهللت أسارير ( كوزيريف ) ، وهو يقول :

- عظيم أيها الرفيق الرئيس .. أعنى أننى أشكرك .. أشكرك كثيراً .

قالها وانطلق على الفور إلى حجرة اللاسلكى ، والتقط بوق جهاز الاتصال العام ، وضغط زرّه ، وهو يقول فى صرامة :

- هنا العقيد ( فيدور كوزيريف ) .. من قيادة المخابرات السوفيتية ، والقائد الرسمى لفريق مطاردة الجاسوس المصرى ، الذى فرّ من معتقل ( سيبيريا ) .. نداء إلى كل الوحدات .. الجاسوس يفرّ فى طائرة هليكوبتر معروفة .. فلتنطلق ست طائرات ( ميغ - ٢١ ) للبحث عنها .. والنداء موجه إلى الجميع .. أسقطوها فور العثور عليها .. هل تسمعون ١٩ .. لا أريد أية تحذيرات أو مناورات ، أو حتى محاولات لإجبارها على الهبوط .. أطلقوا صواريخكم فور العثور على الهليكوبتر .. اكثروا .. أطلقوا صواريخكم فوراً .

وانتهى الاتصال وعيناه تتالقان ببريق دموى رهيب ..

وبكل الانفعال فى أعماقه ، تتمم :

- لن تذهب بعيداً يا ( أدهم صبرى ) .. نهايتك ستأتى حتماً

على جليدنا .. الجليد السوفيتى ..

وبرقت عيناه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

\* \* \*

انطلقت طائرات ( الميغ - ٢١ ) الست تجوب تلك المنطقة الجليدية الواسعة ، بين ( ياكوتسك ) و ( سيبيريا ) ، وقال قائدها لغريقه فى حزم :

- لقد استمعتم جميعاً إلى الرفيق ( كوزيريف ) يا رجال .. كل أنواع التعامل محظورة ، فيما عدا التعامل المباشر بإطلاق الصواريخ .. لا تحاولوا مخالفة هذا الأمر قط ، وإلا كانت العقوبة فاحشة .



سأله أحد الرجال في ضيق :  
- لكنهم يقولون : إن ذلك الجاسوس بارع للغاية في قيادة  
كل أنواع الطائرات ، ألا يحتم هذا السماح لنا بالمناورة على  
الأقل ؟

هتف القائد في غضب :  
- ماذا دهك يا رجل ؟ .. هل يستخدم سرب من مقاتلات  
( ميغ - ٢١ ) المناورة ، ليظفر بهليوكوبتر واحدة ؟

تمتم الرجل في حرج :  
- إنه مجرد اقتراح .  
لم يكد ينطقها ، حتى هتف رجل آخر :  
- الهليوكوبتر إلى يسارنا ، تحلق على ارتفاع منخفض .  
هتف القائد في حماس :  
- قلنهيظ إليها فوراً .

مالأت الأجنحة إلى اليسار في تتابع مبهر ، وانزلت  
المقاتلات الست على الهواء في نعومة ، ثم انقضت كلها على  
الهليوكوبتر ..  
وفي انفعال ، سأل أحد الرجال :  
- أنت واثق من أنها الهليوكوبتر المنشودة أيها الرفيق  
القائد ؟

لقى القائد نظرة فاحصة على الرقم الضخم ، الذي يبدو في  
وضوح على ذيل الهليوكوبتر ، قبل أن يجيب في حزم :  
- إنها هي .. لقد أبلغونا برقمها ونوعها ..  
ثم استطرد في صرامة :  
- استعدوا يا رجال .

واصلت الهليوكوبتر انطلاقها في خط مستقيم ، وكأنها  
لا تشعر بالمقاتلات الكاسرة المنقضة عليها ، وصوب إليها  
الطيارون صواريخهم في إحكام ، وتحفز كل منهم لضغط زر  
الإطلاق ، في انتظار أمر مباشر من قائدهم ، الذيلقى نظرة  
أخرى على الهليوكوبتر ، وتأكد بما لا يدع مجالاً للشك من أنها  
تلك التي فر بها ( أدوم ) من معتقل ( سيبيريا ) قبل أن يقول في  
حزم صارم :  
- الآن .

ومع آخر حروف كلماته ، ضغط الطيارون أزرار الإطلاق في  
طائراتهم ..  
وانطلقت الصواريخ الستة نحو هليوكوبتر ( أدوم ) ، و ...  
و أصابتها كلها بمنتهى الدقة ..  
وكان انفجاراً ، اهتز له نصف ( سيبيريا ) ..  
اعتف انفجار عرّفه الجليد ، في السنوات الأربعين الأخيرة ..  
الجليد الدامي .

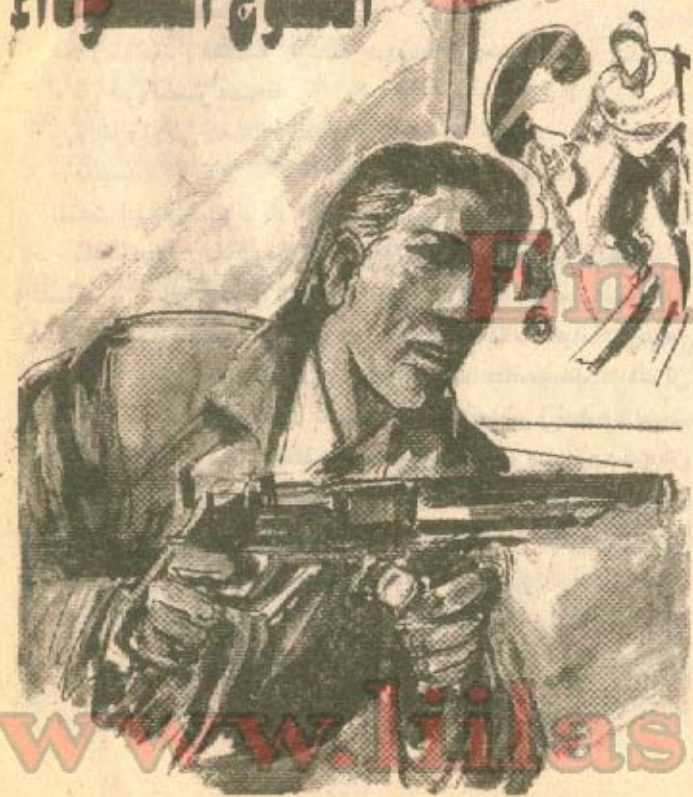
\* \* \*

### نهاية القسم الثاني



القسم الثالث

شبكة ليلاس الثقافية



www.lilias.com/vb3



انعقد حاجبا ( شالوم ) فى توتر واضح ، وهو يراجع التقرير السرى الذى ورد من قيادته ، وتراجع فى مقعده فى بطنه ، وهو ينقر مسنده بأصابعه فى عصبية ، فتطلع إليه أحد رجاله فى قلق قبل أن يسأله فى حذر :

- أهى أخبار سيئة ؟

مطأ ( شالوم ) شفتيه ، وتمتم ساخطا :

- بل هى أخبار مبهمة .

رند الرجل فى دهشة وتساؤل :

- مبهمة ؟

التفت إليه ( شالوم ) ، وقال فى حنق :

- بالتأكيد .. المعلومات الواردة كلها تفتقر إلى الوضوح

والمباشرة ، فالسوفيت التزموا الصمت التام ، ولم يعلنوا أية

أخبار رسمية بخصوص ( أدهم ) ، بعد تلك المحاكمة الهزلية ،

التي بثتها أجهزة إعلامهم ، فى حين يؤكد جاسوسنا هناك أن

المقاتلات السوفيتية قد نسفت هليوكوبتر ( أدهم ) يست

صواريخ فى أن واحد ، حتى أنه من العسير ، إن لم يكن من

المستحيل ، العثور على أى جزء من أشلائه ، بعد الانفجار

الهائل ، الذى لم يترك بوصة واحدة سليمة فى الهليوكوبتر ،

أما المصريون ، فالموقف عندهم مثير للحيرة والشك ، إذ إنهم

اكتفوا باستنكار ما جاء بالمحاكمة العلنية ، وأنكروا تماما

محاولتهم للتجسس على السوفيت ، بل وأعلنوا أن ذلك الذى

ظهر عبر شاشات ( التلفزيون ) ليس أحد رجالهم ، ولم يعمل

قط فى المخابرات المصرية ، أو فى أية جهة رسمية مصرية أخرى ، واتهموا السوفيت بتلفيق الأمر كله لسبب ما ، والأدهى أنهم تخلوا تماما عن فكرة المطالبة باستعادة عميلهم ( أدهم صبرى ) ، على الرغم من أنه أفضل رجالهم على الإطلاق ، وليس من المنطقى أن يتخلوا عنه بهذه البساطة .. ليس المصريون .

غمغم الرجل ، وهو يعتصر ذهنه للتفكير فى الأمر :

- ربما رأوا أن مصرعه يحسم الأمر كله ، وأنه ليس من

الضرورى أن يطالبوا باستعادة أشلاء معزقة ، بل من الأفضل

أن يعلنوا استنكارهم لما حدث ، ويتنصلوا من عملية التجسس

كلها .

هن ( شالوم ) رأسه نفيا ، وهو يقول :

- كلاً .. هناك أمر ما يختفى وراء كل هذا .. المصريون

واثقون من أن ذلك الذى ظهر فى المحاكمة ، ليس رجلهم

( أدهم ) ، وهذا ما دفعهم إلى تحدى السوفيت ، وإنكار كونه

يعمل أو حتى عمل لحسابهم يوما .. أما بالنسبة لمصرع

( أدهم صبرى ) الحقيقى ، فهو فى رأى أمر تحوم حوله

عشرات الشكوك ولا يمكن الجزم به ، مادام أحد لم يعثر بعد

على أثر لجثته .

قال الرجل فى اهتمام :

- فرق البحث السوفيتية تواصل عملها فى المنطقة ، وربما

بعد أن ...

قاطععه ( شالوم ) فى صرامة :

- إنهم لم يعثروا على أدنى أثر ، بعد ثلاثة أيام متواصلة



من البحث ، على الرغم من أن انهماك الجليد قد توقف تماماً ،  
بعد انفجار الطائفة بساعة واحدة .

هرّ الرجل رأسه في تردد ، وقال :  
- الواقع يا سيدي أنه ..

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع اذيع جهاز الاتصال الداخلي ،  
فأشار إليه ( شالوم ) بالصمت ، وهو يضغط زر الجهاز ، قائلاً  
في شيء من الخشونة :

- ماذا هناك ؟

أقام صوت رئيس طاقم الحراسة ، وهو يقول :

- السيد ( هال ) هنا ، ويطلب مقابلتك على الفور .

انعقد حاجبا ( شالوم ) في شدة ، وهو يغمغم :

- ( هال ) ١٤ .. في هذه الساعة ١٤ .. ودون موعد سابق ١٤

قفزت إلى ذهنه فكرة مجنونة ، عربدت في رأسه لحظة ، قبل  
أن يضيف في شيء من الانفعال :

- دعوه يدخل على الفور .

ثم التفت إلى الرجل الواقف أمامه ، واستطرد بسرعة :

- فليستعد الجميع بمدافعهم الآلية .. حاصروا الفيلا تماماً ،

ولا تسمحوا لذلك الرجل بالخروج ، إلا لو رافقته بنفسى .

قال الرجل في توتر :

- هل يراودك الشك في أمر ما يا سيدي ١٤

انعقد حاجبا ( شالوم ) مرة أخرى وهو يجيب :

- نعم .. ولو أن شكوكى صحيحة ، فستتضح الكثير من

الأمور .

ثم أشار بيده ، مستطرداً :

- هيا استعدوا .

أسرع الرجل لتنفيذ الأمر ، في حين بذل ( شالوم ) جهده

للسيطرة على انفعالاته ، وهو يجلس في انتظار وصول ( هال ) ،

الذى لم تمض دقيقة واحدة ، حتى كان يدلف إلى الحجرة

بابتسامته اللزجة ، وهو يفتح ذراعيه ، هائفاً :

- وا عزيزى ( شالوم ) .. لقد انتهى الكابوس يا صديقى .

تامله ( شالوم ) في حذر شديد ، وهو يقول :

- أى كابوس ١٤

هتف ( هال ) فى حماس :

- ( أدهم صبرى ) .. الكابوس المصرى يا رجل .. عميلنا

السوفيتى ابلغنى منذ قليل ، أن أمره قد انتهى رسمياً .

كان من المفترض أن يقفز ( شالوم ) إبتهاجاً بالخبر ، إلا

أنه ، وعلى الرغم من هذا ، بدا شديد التحفظ ، وهو يتمتم :

- حقاً ؟

تطلع إليه ( هال ) فى دهشة مستنكرة ، قبل أن يهتف فى

حنق :

- ماذا هناك يا رجل ١٤ .. أخبرك أن ( أدهم صبرى ) قد

انتهى رسمياً ، فتستقبل الأمر بهذا البرود ١٤

مال ( شالوم ) نحوه ، وكأنه يتفحصه بإمعان ، وقال :

- ليس المهم أن ينتهى رسمياً .. السؤال : هل انتهى فعلياً ؟

التقى حاجبا ( هال ) فى عصبية ، وهو يقول :

- ( شالوم ) .. ما الذى ترمى إليه بالضبط ؟

باغته ( شالوم ) بسؤال صارم :

- ما الذى أتى بك إلى هنا دون موعد سابق يا ( هال ) ١٤



حدق ( هال ) فى وجهه بذهول ، هاتفاً :

- دون موعد سابق ١٩ .. هل تمزح أم تسخر منى يا رجل ١٩ ..

إننى هنا بناءً على دعوتك لى .

انتفض ( شالوم ) على مقعده ، هاتفاً :

- دعوتى لك ١٩ ؟

اجابه ( هال ) فى عصبية :

- بالطبع .. لقد عدت من المكتب مجهداً ، وكنت أنوى

الاتصال بك ! لأبلغك بما أبقى به إلينا عميلنا السوفيتى ، ولكن

حارس الفيلأ أخبرنى أنك اتصلت به ، وتطلب منى أن أتوجه

لزيارتك فور وصولى ، فهرعت إلى هنا .

استمع إليه ( شالوم ) بعينين ذاهلتين ، قبل أن ينعقد

حاجباه ، ويهتف فى غضب :

- اللعنة !

ثم هب من مقعده ، واندفع نحو ( هال ) ، ومد يده إلى وجهه ،

مستعجلاً فى حدة :

- اعتقد أن الأمر قد تجاوز كل الحدود .

تراجع ( هال ) فى زعر ، هاتفاً :

- ماذا حدث ١٩ ؟ ماذا تفعل يا رجل ؟

ولكن ( شالوم ) أمسك خده ، وجذبه فى قوة ، جعلته يصرخ :

- رباه ١٩ .. هل جننت ١٩ ؟

التقى حاجبا ( شالوم ) أكثر ، وهو يتراجع مغمغماً :

- اللعنة ! .. تصوّرت لحظة أننى سانتزع القناع عن وجهك .

هتف ( هال ) فى غضب :

- أى قناع ١٩ .. إنه وجهى الحقيقى .

حدق ( شالوم ) فى وجهه لحظة ، قبل أن يهتف :

- هل تعلم ما الذى يعنيه هذا ؟

اجابه ( هال ) فى عصبية :

- أنك تمر بنوبة جنون مؤقت .

هتف ( شالوم ) :

- كلا أيها الغبى .. إنه يعنى أن أحدهم يسخر منك ومنى ..

شخص ما دفعك للقدوم إلى هنا لسبب ما .

شحب وجه ( هال ) بشدة ، وهو يقول :

- شخص مثل من ١٩ ؟

مال ( شالوم ) نحوه ، وهو يجيب بصوت يرتجف من فرط

الانفعال :

- شخص مثل ( أدهم ) .. ( أدهم صبرى ) .

انطلقت شهقة من حلق ( هال ) ، وهو يحدق فى وجه

( شالوم ) فى ذهول ، قبل أن يقول بصوت مختنق :

- ولكن ( أدهم صبرى ) لقى مصرعه وسط ثلوج ( سيبيريا ) .

دق ( شالوم ) سطح المنضدة المجاورة فى قوة ، وهو يهتف :

- خطأ .. ( أدهم صبرى ) لم يمت .. ( أدهم صبرى ) حى ..

إنه الشخص الذى يعبك بك وبى .. الشخص الذى ...

بتر عبارته بغلة ، واتسعت عيناه فى شدة قبل أن يكمل

بصوت مرتجف :

- الشخص الذى أبعدك عن قبيلتك لسبب ما .

امتقع وجه ( هال ) فى شدة ، وهو يردد فى شحوب :

- أبعدنى من قبيلتى لسبب ما ١٩ ؟

والتقى حاجباه فى عنف ، حتى خيل له ( شالوم ) أنهما قد



امتزجاً معاً ، وهو يضيف في خفوت ، وكأنما يتحدث مع نفسه :

- مستحيل ! .. لا يمكن أن يكون قد ...

تطلع إليه ( شالوم ) في شغف واهتمام ، وأرهف سمعه جيداً ، ليلتقط كل ما يتفوه به ( هال ) ، إلا أن هذا الأخير بتر عبارته بغتة ، وتجمد في موضعه لثوان ، وكأنما تفور كل أفكار الدنيا في رأسه ، قبل أن يرفع عينيه إلى ( شالوم ) ، ويقول في صرامة :

- ساعدني إلى القفلا على الفور .

أجابه ( شالوم ) في اقتضاب :

- فليكن .

ثم رافقه حتى باب الحديقة ، وأشار إلى رجاله ليتخلوا عن تحفزهم ، ثم واجهه قائلاً :

- أبلغني بآية تطورات على الفور .

غمغم ( هال ) ، وهو يستقل سيارته ، ويدير محركها :

- بالتاكيد .

نطقها ، وانطلق مبتعداً بأقصى سرعة يسمح بها القانون ، فتابعه ( شالوم ) ببصره لحظات ، ثم قال في صرامة :

- لعبة جيدة من ( أدلم ) .

والتفت إلى أحد رجاله ، مستطرداً :

- أبلغ ( ماير ) أنني أريده لعمل عاجل .. عاجل جداً .

وفي نفس اللحظة التي نطق فيها عبارته ، كان ( هال ) ينطلق بسيارته ، وعقله يكاد يشتعل من الأفكار والتوترات .. هل يمكن أن يكون ( أدلم ) حياً بالفعل ؟ ..

ترى أهو الشخص الذي عبث به على هذا النحو ؟ ..

ولماذا ؟ ..

لماذا ؟ ..

لماذا ؟ ..

ظل السؤال الأخير يتردد في رأسه بلا انقطاع ، حتى بلغ قفله ، وتجاوز بوابتها بسيارته ، ثم غادر السيارة ، وهو يقيم : - لست اعتقد أنه توصل إلى الـ ...

لم يتم عبارته ، وإنما ابتلع نهايتها في توتر متزايد ، وجلس في حجرة مكتبه بضع لحظات ، قبل أن يهبط واقعاً ويقول لنفسه في حزم :

- لن يمكنني الوقوف ساكناً .. لابد أن اتأكد بنفسى .

قالها وغادر القفلا إلى الحديقة الخلفية ، وتلفت حوله في حذر ، ليتأكد من أن أحداً لا يراقبه ، ثم عبر في خفة بوابة صغيرة ، تفصل قفله عن القفلا المجاورة ، وتحرك في خطوات سريعة عبر ممر من الأشجار ، ثم صنعه بوسيلة خاصة ، بحيث يخفى السائر عبره عن الأنظار تماماً ، حتى بلغ الباب الخلفي للقفلا المجاورة ، ففتحه بمفتاح خاص يحمله ، ودفق إليها ، ثم أغلق الباب خلفه والتصق به بضع لحظات ، وهو يرهف سمعه ، ليتيقن من أن أحداً لم يتبعه ، وبعدها اتجه في سرعة إلى ردهة القفلا ، وتوقف يدير عينيه فيها في لهفة شديدة ..

لم تكن الردهة تحوى الكثير من الأثاث ، في حين كانت تزين جدرانها مجموعة ضخمة من اللوحات الفنية ، وعدد من الصور الضوئية الأنيقة ، تتوسطها صورة كبيرة لـ ( هال ) نفسه فوق قمة أحد الجبال ، وهو يرتدي زى التزلج ، وسط مساحة كبيرة مغطاة بالجليد ..



وفى اهتمام شديد ، أدار ( هال ) عينيه فى الصور واللوحات ، قبل أن يتنهّد فى ارتياح ، متمتماً :  
- أه .. خيّل إلى بعض الوقت أن ( أدهم صبرى ) استطاع التوصل إلى مخبئى هذا .

أناه من خلفه صوت ساخر ، يقول :

- ومن ادراك أنه لم يفعل ! ؟  
انتفض ( هال ) فى عنف ، وقفزت يده فى محاولة لالتقاط مسدسه ، وهو يدور حول نفسه لمواجهة صاحب الصوت ، ولكن يد ( أدهم ) أمسكت معصمه فى قوة ، وارتفع صوته يكمل ساخراً :

- عجباً ! هل سترفع مسدسك فى وجه ضيفك أيها الوغد ! ؟  
صرخ ( هال ) من فرط الارتياح عندما وقع بصره على وجه ( أدهم ) ، وسقط المسدس من يده ، عندما لوى هذا الأخير معصمه فى قوة ، وراح ينتفض هاتفاً :

- مستحيل ! .. لا يمكن أن تكون حياً .. مستحيل !

التقط ( أدهم ) المسدس والصق به عنق ( هال ) وهو يجيب :  
- مفاجأة ! .. ليس كذلك ! ؟ .. كنت أتمنى أن القى مسرعى ! لأزيل عنكم خوفكم وتوتركم ، ولكننى رايت انكم مجرد أوغاد ، لا يستحقون مثل هذه التضحية .

ارتجف صوت ( هال ) ، وهو يقول :

- ولكن .. ولكن التقارير الرسمية السوفيتية قالت ..

قاطعها ( أدهم ) ، وهو يكمل ساخراً :

- إنها أصابت الهليوكوبتر بست صواريخ .. ليس كذلك ! ؟ ...  
إنهم صادقون يا رجل .. لقد نسفوا الهليوكوبتر بالفعل ، ولكن

من سوء حظهم أننى لم أكن داخلها ، لقد قدتها إلى قرب المنطقة التى أنشدها ، ثم ثبتت عصا القيادة ، بحيث تواصل انطلاقها فى خط مستقيم ، وقفزت منها إلى الجليد .

واتسعت ابتسامته الساخرة ، وهو يستطرد :

- هذا يعنى أن المقاتلين السوفيت الأبطال أفرغوا كل قوتهم ومهارتهم فى هليوكوبتر خالية .  
حدق ( هال ) فى وجهه بذهول وهو يغمغم مرتجفاً :

- وكيف ؟ .. كيف غادرت الاتحاد السوفيتى ، وعدت إلى هنا ! ؟

مال ( أدهم ) نحوه ، وهو يتطلع إلى عينيه مباشرة ، مجيباً :  
- لدى وسائلى .

انهار ( هال ) تماماً ، وهو يغمغم بصوت أقرب إلى البكاء :  
وكيف توصلت إلى قبلى الثانية ؟  
هز ( أدهم ) كتفيه ، مجيباً :

- استنتج منطقى أيها الوغد .. كنت واثقاً من أنك لن تحتفظ بأسرارك ووثائقك بعيداً عنك ، ولقد فتشت قبلك كلها شبراً شبراً ، ولم أجد أدنى أثر للوثائق ، وهنا سألت نفسى .. أين يمكن أن يحتفظ محام خبيث مثلك بأسرار ، يتحتم وجودها فى متناول يده دوماً ! ؟ .. وعندما قلبت الأمر على عدة وجوه ، برزت الفكرة بغتة فى رأسى .. لماذا لا يكون ( هال ) الوغد قد استاجر الفيلا المجاورة له ؛ خاصة وأنه يوجد باب صغير يصل ما بين الفيلايتين .. ومن هذا المنطلق تسللت إلى هنا ، ولم أكد ادلف إلى الردهة ، حتى كدت انفجر ساخراً ؛ فانت تستاجر الفيلا المجاورة ؛ لتخفى فيها أسرارك ، ثم تزين جدارها بصورة



كبيرة لك ، وكأنك تعلن في وضوح أنك صاحب المكان ..  
صمتت ( هال ) بضع لحظات ، استعاد خلالها وجهه شيئاً  
من حيويته ، قبل أن يقول في حزم :  
- لكنك لم تعثر بعد على ما تريد .  
أوما ( أدهم ) برأسه إيجاباً في هدوء ، وقال :  
- هذا صحيح .. لقد فتشت المكان كله ، ولكنني لم أعثر على  
أية خزانات سرية ، أو فتحات خفية بالجدران ، بل ولا توجد  
حتى خزانة تقليدية ، تختفي خلف لوحة أو صورة .  
تأملت عينا ( هال ) ، وهو يقول ، وقد استعاد صرامته كلها :  
- لن نعثر على الوثائق قط .  
مال ( أدهم ) نحوه ثانية ، وهو يقول :  
- هل تراهن ؟

لم يكذ ينطقها ، حتى انبعث صوت ( شالوم ) ، وهو يقول  
في حزم ( صارم ) :  
- إنه على حق يا سيد ( أدهم ) .. لن نعثر على الوثائق قط .  
شهق ( هال ) من فرط الدهشة والانفعال ، واستدار مع  
( أدهم ) في سرعة إلى مصدر الصوت ..  
وهناك ، عند مدخل الردهة ، كان يقف ( مائير شالوم ) ،  
الذئب الإسرائيلي ، عاقداً ذراعيه أمام صدره ، وحوله أربعة من  
رجاله ، يصوبون إلى ( أدهم ) و ( هال ) أربعة مدافع آلية قوية ..  
وكانت مفاجأة حقيقية ..

\* \* \*

لثوان ، ران على ردهة الأيلا الثانية صمت رهيب ، وكل  
العيون يحدق بعضها في البعض ، ثم لم يلبث ( أدهم ) أن قطع

هذا الصمت ، عندما ارتسفت على شفثيه ابتسامة ساخرة ،  
وصفق بكفيه في ببطء ، قائلاً :

- اهنتك أيها الذئب الأرقط .. ضربة بارعة بالفعل .

تأملت عينا ( شالوم ) في ظفر ، وهو يقول :

- كنت واثقاً من أنك على قيد الحياة يا سيد ( أدهم ) .

سأله ( أدهم ) ساخراً :

- وهل أحزنك هذا ؟

مط ( شالوم ) شفثيه ، وهز كتفيه ، مجيباً :

- أكون كاذباً لو ادعيت العكس ، ولكن عزائي الوحيد أنني

توقعت هذا مسبقاً .

اندفع ( هال ) يقول بغتة في حدة :

- كيف توصلتم جميعاً إلى قبلي السرية هذه ؟

هز ( شالوم ) كتفيه ، قائلاً :

- صحيح أنك كنت بارعاً وحذراً للغاية ، في هذا الشأن

يا ( هال ) ، ولكنك لن تبلغ مثل براعتنا ونكايتنا كمحترفين في

هذا المجال ، فالسيد ( أدهم ) توصل إلى الأيلا من منطلق

استنتاجي محض ، ولا ريب في أنه قد قرن استنتاجه هذا

ببحث في سجلات أصحاب الأيلات في المنطقة ، وأدرك أن

الأيلا المجاورة لك تخصك .

قال ( هال ) في دهشة :

- ولكنها لا تخصني من الناحية الرسمية !

ابتسم ( أدهم ) في سخرية ، وهو يقول :

- إنها مسجلة باسم الشركة الاسكندنافية للتصدير ،

والفارق ليس ضخماً .



انعقد حاجبا ( هال ) ومطُ شفتيه في حلق ساخط ، في حين قال ( شالوم ) وهو يرمق ( أدهم ) بنظرة صارمة :  
 - أرايت يا ( هال ) .. السيد ( أدهم ) توصل إلى سرك بقليل من الجهد .. اما بالنسبة لنا ، فقد كان الأمر مختلفاً تماماً .. لقد أدركت ما يرمى إليه ( أدهم صبري ) ، عندما أرسلك إلى بدعوة زائفة ، وهو يدرك أنك ستكشف هذا فور زيارتي .. فمن الطبيعي ، والحال هكذا ، أن يبتاك القلق ، وأن يقفز إلى ذهك على الفور أنه يبعك عن قبلك ليعبث بشيء ما فيها ، وهذا سيدفعك إلى أن تهرع مباشرة إلى حيث أخفيت أسرارك .. ولهذا أرسلت أحد رجالنا لمراقبتك ، وراك تتسلل إلى القبلا المجاورة ، ففهم وفهمنا كل شيء .

قال ( أدهم ) ساخرًا :

- عجبا ! .. لماذا اطلقوا عليك اسم الذئب الأرقط إذن ؟  
 إنك تمتلك ذكاء وخبث التعالب .  
 قال ( شالوم ) في صرامة :

- إظراء طريف يا سيد ( أدهم ) ، على الرغم من اللهجة الساخرة التي استخدمتها ، والتي ساتعاضى عنها مؤقتًا ، حتى تخبرني اين يخفى ( هال ) أسرارهِ ووثائقهِ .

هز ( أدهم ) كتفيه و أجاب في استهتار :

- القبلا كلها امامك ، ولن يمنك احد من تفتيشها .

انعقد حاجبا ( شالوم ) ، وهو يتلفت إلى ( هال ) قائلاً :

- اين الوثائق يا ( هال ) ؟

لوح ( هال ) بقبضته ، هاتفاً :

- اذهب إلى الجحيم .

احتقن وجه ( شالوم ) في شدة ، وهو يقول :  
 - لو أنك لم تخبرني بما أريد ، فلست أنا من سيذهب إلى الجحيم هذه الليلة يا ( هال ) .  
 صاح ( هال ) في حدة :  
 هل تهددني يا ( شالوم ) ؟ .. قلتعلم إن أن التهديد لن يجدى معي مطلقاً .. أنا أعلم أنك لا تستطيع قتلى .. الوثائق هنا .. في هذه الرهبة ، ولكنك لن تحصل عليها قط .. هل تفهم .. لن تحصل على سر واحد من أسرارنا حتى لو دفعت لى أموال الدنيا كلها في سبيل هذا .

انعقد حاجبا ( شالوم ) ، وهو يقول :

- هل تصر على العناد ؟

أجابه ( هال ) في صرامة :

- تمام الإصرار .

ثم أضاف في عصبية شديدة :

- لقد أقدمت على أكثر تصرفات حياتك حماقة يا ( شالوم ) ،

فباقتحامك قبلي أعلنت العداء الصريح لى ، وخسرت كل شيء ،

ولن تربح من هذا نقطة واحدة .

ومال إلى الامام ، ولوح بقبضته ثانية ، مستطرداً في حدة

ثائرة :

- لن تحصل على أدنى ربح يا ( شالوم ) .. بل وسادفك

الجميع لنبذ صفقتك ، وعدم التعاون معك إلى الأبد .

التقى حاجبا ( شالوم ) في صرامة أكثر ، وهو يغمغم :

- هكذا ؟



أما ( أدهم ) ، فقد اشتتم أنفه رائحة الخطر ، وهو يقول  
لـ ( هال ) :

- ماذا فعلت بنفسك أيها التعيس !؟

شحب وجه ( هال ) بشدة ، وقد إلتجأ إلى ما يعنيه ( أدهم )  
بعبارة ، في حين تألقت ابتسامة وحشية على شفתי ( شالوم ) ،  
وهو يقول :

- أنت على حق يا ( هال ) .. لقد تعقّلت الأمور ، ولم يعد لها  
سوى مخرج واحد .

هتف ( هال ) في ثوتر شديد :

- ( شالوم ) .. أنا لم أقصد أن ..

ولكن ( شالوم ) قاطعه في صرامة ، وهو يتراجع في حركة  
سريعة إلى ما خلف رجاله الأربعة ، ويشير لهم بيده قائلاً :  
اقتلوها .

وقبل حتى أن تنتهي كلمته ، كانت رصاصات أربع مدافع  
اللية تدوى داخل ردهة القिला السرية ..  
وسالت الدماء أنهاراً .

\* \* \*



## ١٩ - نهر الدم ..

في نفس اللحظة تقريباً ، التي بدأ فيها ( شالوم ) هتافه ،  
تحرك ( أدهم ) ..

كان ، منذ الثانية التي لمح فيها النذب الإسرائيلي ، قد درس  
موقفه ، وحدد تحركاته ، ووضع خطته للنجاة ، عندما يأمر  
رؤسائه بإطلاق النار ..

ولكن ، عندما حانت لحظة التنفيذ ، كان هناك اختلاف  
جذري بالخطة ..

اختلاف يكمن في وجود ( هال ) ..

فعندما وضع ( أدهم ) خطته ، كان يتوقع أن ( شالوم )  
سيامر رجاله بإطلاق النار عليه وحده ، وليس على ( هال )  
أيضاً ، ولم يضع في اعتباره أية محاولة منه لإنقاذ هذا الأخير  
أيضاً ..

وربما يتصور البعض أن محاولة ( أدهم ) لإنقاذ أحد أعدائه  
من موت محتم ، في مثل هذه الظروف ، عمل ينطوي على  
الحماقة ، أو مبالغة غير منطقية ..

ولكن هذا هو ( أدهم صبرى ) ..

إنه على الرغم من عمله البالغ الخطورة والعنف ، يقيم وزناً  
كبيراً للحياة البشرية ، ولا يمكنه التفريط فيها بسهولة ..

حتى ولو كانت حياة الد أعدائه ..

لذا فقد تحرك ( أدهم ) بأقصى سرعته ، وجذب ( هال ) معه  
إلى ما خلف الأريكة ، في نفس اللحظة التي انطلقت فيها  
الرصاصات ..

ولكن رجال ( شالوم ) كانوا من المحترفين بحق ..



وقبل أن يصل ( أدهم ) إلى الأريكة ، غاصت رصاصه في كتفه ، واخترقت ثانية طرف ذراعه ، فى حين أطلق ( هال ) صرخة الم رهيبة ، مع الرصاصات التى أصابت عنقه وصدره .. وصرخ ( شالوم ) فى غضب ، عندما رأى ( أدهم ) و ( هال ) يختفيان خلف الأريكة :

- قتل اقتلوهما .. اقتلوهما على الفور .

انطلقت الرصاصات ثانية ، وخفض ( أدهم ) رأسه لتفاديها ، وهى تخترق الأريكة ، فى حين سعل ( هال ) ، وأغرق الدم وجهه ، وهو يغمغم فى ألم ساخط :

- ( شالوم ) الوغد .

اعتدل ( أدهم ) ليطلق رصاصتين من مسدس ( هال ) نحو الرجال الأربعة ، الذين تراجعوا فى سرعة ، دون أن تصيبهم رصاصة واحدة ، فاطلق ( شالوم ) ضحكة عصبية ساخرة ، وهو يصرخ :

- إنه مسدس ( هال ) ولا ريب ، فهذا الجبان يخشى حمل أسلحة نارية حقيقية ، ويكتفى دائماً بحمل مسدسات صوت لإرهاب الآخرين .. هيا .. واصلوا إطلاق النار يا رجال .. سنظفر بهما حتماً .

اطمان الرجال الأربعة إلى أن خصومهم عزل من السلاح ، فاندفعوا فى جسارة زائفة نحو الأريكة ، و ( هال ) يسعل ثانية ، متمتعاً :

- لا فائدة .. سيظفرون بنا بالفعل .

ولكن ( أدهم ) لم يكن أبداً بالشخص الذى يمكن أن يستسلم للهزيمة ..

لذا ، فقد نهض فجأة ، حاملاً الأريكة كلها وانقض بها على الرجال الأربعة ، الذى أخذتهم المفاجأة ، وحاولوا التراجع بالسرعة الكافية ، إلا أنه كان من العبث أن يحاول شخص ما التفوق على رجل مثل ( أدهم صبرى ) فى سباق للسرعة .. ففى نفس اللحظة ، التى بدعوا فيها تراجعهم ، كانت الأريكة ترتطم باثنين منهم فى عنف ، وتلقى بهما أرضاً ، قبل أن يليقها ( أدهم ) بكل قوته نحو الرجلين الآخرين ..

وقبل أن يسترجع الرجال الأربعة توازنهم ، وجدوا ( أدهم ) أمامهم مباشرة ، وهو يهتف فى صرامة :

- امازلم تصرون على القتال ؟

كانت الدماء تنزف فى غزارة من إصابة كتفه وذراعه ، ولم تكن ساقه قد شفيت تماماً من إصابته السابقة ، إلا أنه ، وعلى الرغم من هذا ، حطم فلك أحدهم بلكمة كالقنبلة ، ودفع قدمه السليمة فى معدة الثانى ، ثم أمسك المدفع الآلى من يد الثالث ، وأماله بحركة مدروسة ، ليرتطم كعب المدفع بفك الرجل ويلقيه أرضاً فى عنف ..

وتراجع ( شالوم ) فى زعر ، أمام هذا التطور المباغت ، واستل مسدسه من غمده ، فى نفس اللحظة التى تعالى فيها وقع أقدام حراس القिला الأولى ، وهم يهرعون إلى القिला الثانية ، إثر الطلقات النارية ..

وعندما حطم ( أدهم ) أنف الرجل الرابع بقيضته اليسرى ، أدرك ( شالوم ) أن رجال ( هال ) قد اقتربوا كثيراً ، فصرخ وهو يطلق رصاصة من مسدسه نحو ( أدهم ) :

- قتلت ( هال ) أيها المصرى .. قتلته .





التفت إليه (أدهم) ، وراه يلوح بسبابتة نحو جدار

يكتظ باللوحات الزيتية والصور الضوئية ..

أدرك (أدهم) على الفور ما يحاول (شالوم) الإيحاء به ،  
فقفز جانباً متفادياً رصاصة (شالوم) ، وهو يلتقط أحد المدافع  
الآلية صارخاً :

- أيها الوغد الحقيير .

انطلق (شالوم) يعدو خارج المكان ، عندما انطلقت  
رصاصات (أدهم) وراح يصرخ في ارتياح :

- المصري هنا .. لقد قتل (هال) .

غمغم (أدهم) ثانية :

- ياللوغد !

وانتبه إلى سعال (هال) العنيف ، وصوته المرتجف ، وهو يتمتم :

- الـ .. الوثائق كلها هـ .. هـ ...

التفت إليه (أدهم) ، وراه يلوح بسبابتة نحو جدار يكتظ  
باللوحات الزيتية والصور الضوئية ، قبل أن تنطلق من حلقه  
شهقة عنيفة ، تدفقت معها الدماء من بين شفتيه في غزارة ،  
وانتفض جسده في قوة ، وجحظت عيناه في شدة ، قبل أن  
يسترخي جسده تماماً ..

وفي اللحظة نفسها ، كان (شالوم) يشير إلى الثيلا ،  
صارخاً في رجال (هال) الثلاثة :

- المصري قتل رئيسكم .. أسرعوا للثار له .. أسرعوا .

اشتعل الرجال الثلاثة غضباً وثوراً ، وهم يندفعون نحو  
ردهة الثيلا ، وسياباتهم متحفزة لإطلاق النار على الرجل الذي  
قتل رئيسهم ، وحرمتهم روايتهم وكافاتهم المستقبلية ..

ولكن ما إن وصلوا إلى الردهة ، حتى اتسعت عيونهم ،  
وتضاعف غضبهم ألف مرة ..



فهناك ، كان أثر القتال واضحاً ، وجثة رئيسهم تتوسط المكان ..  
ولكن لم يكن هناك أثر لـ ( ادهم ) سوى بقع صغيرة متناثرة من الدماء ، وسط تلك النهر الذي غمر المكان كله ..  
نهر الدم ..

\* \* \*

اتسعت عينا ( انجريد ) في ارتياح ، وارتدت كمن أصابته صاعقة ، وهي تهتف في وجه ( شالوم ) :  
( هال ) لقي مصرعه ؟ .. مستحيل ! .. مستحيل !  
انعقد حاجبا ( شالوم ) في شدة ، وهو يقول :  
- بل هي حقيقة يا سيدي .. ( ادهم صبرى ) لم يلق مصرعه فوق الجليد السوفيتي ، وإنما عاد إلينا لينتقم ، وبدأ انتقامه بقتل ( هال ) في قبيلته الثانية .

غمغم ( هانز ) في توتر شديد :

( هال ) كانت لديه قبلا ثانية ؟

تمتم ( توردال ) :

- عجباً ! .. لماذا أخفى عنا هذا ؟

احتقن وجه ( شالوم ) ، وهو يقول في حدة :

- ماذا دهاكم أيها السادة ؟ .. رفيقكم لقي مصرعه على يد

واحد من ألد أعدائكم ، وكل ما يشغلكم هو لماذا أخفى زميلكم

عنكم أمر قبيلته الثانية !!

اجابه ( توردال ) في صرامة :

- بالطبع يا سيّد ( شالوم ) ، وربما كانت القبلا السرية هي

السبب الرئيسي لمصرع ( هال ) .. إنني أتساءل .. ما الذي كان يخفيه محامينا الهمام هناك ؟

- ثم انعقد حاجباه في شدة ، وهو يرمق ( شالوم ) بنظرة صارمة مضيقاً :

- ثم ما الذي جعلك تعرف أمر القبلا ، على الرغم من جهلنا به .. وكيف تصادف أنك تواجدت فيها ، عندما لقي

( هال ) مصرعه ؟

تدخل ( هانز ) بدوره ، قائلاً :

- نعم .. وما الذي يقنعنا بأنك لست المسئول عن مصرع

زميلنا ( هال ) ؟

التقى حاجبا ( شالوم ) في شدة ، وهو يقول :

- ما الذي تعنيه يا سيّد ( هانز ) ؟

اجابه ( هانز ) في صرامة محدّدة :

- اعني ان عميلنا السوفيتي ابلغنا ان السلطات هناك

اعتبرت ( ادهم صبرى ) هذا ميثاً رسمياً ، والسوفيت

لا يتسرعون قط بإصدار مثل هذا التصريح ، مالم يتأكدوا من

مضمونه جيداً ، وعلى الرغم من هذا ، تأتي أنت وتخبرنا ان

( ادهم ) مازال على قيد الحياة ، وأنه المسئول عن مصرع زميلنا

( هال ) ، ثم لا تمنحنا دليلاً واحداً على هذا ، باستثناء اقوالك

وشهادة رجالك .. قل لي يا سيّد ( شالوم ) .. لو أنك في

موضعنا ، أكنت تقتنع بهذا ؟

شعر ( شالوم ) بتوتر شديد في أعماقه ، وخاصة عندما

تطلّعت إليه ( انجريد ) في قلق ، وسالته :

- نعم يا ( شالوم ) .. ما دليلك على أن ( ادهم ) فعل هذا ؟



آدار ( شالوم ) عيتيه فى وجوههم ، وهو يقول فى عصبية :  
 - هل تتهموننى بقتل زميلكم أيها السادة ؟  
 أجابه ( ثوردال ) فى صرامة ، وهو يستل مسدسه :  
 - بل نطالبك بالدليل على أنك لم تفعل يا ( شالوم ) .  
 لوّح ( شالوم ) بسبابته ، هاتفاً فى غضب :  
 - اعطونى أنتم دليلاً واحداً على أننى قتلته .. دليلاً واحداً  
 على أننى المسئول عن هذا .. بل اعطونى سبباً واحداً لقتل  
 ( هال ) .

انعقد حاجبا ( هانز ) وهو يقول :

- أنا وأنت من أنه هناك علاقة خاصة بينك وبين ( هال ) ،  
 وإن كليكما يشارك الآخر بعض الأسرار ، التى نجهلها جميعاً ،  
 وربما كانت هذه الأسرار هى التى دفعتك لقتله .

لوّح ( شالوم ) بذراعه كلها فى حنق ، وهو يقول :

- لم توجد قط أية أسرار ، بينى وبين ( هال ) ، ولن أحاول  
 تبرئة نفسى من قتله .. لا بد أن تكون بيننا ثقة متبادلة ، مادامنا  
 نعمل معاً .. وعندما أقول : إن ( آدم ) قتله ، فينبغى أن  
 تصدقوا ما أقوله على الفور .

ثم صاح فى وجه ( ثوردال ) :

- ومن العار أن تشهر مسدسك فى وجه حليفك .

تهادى الرجال الثلاثة نظرة عصبية ، قبل أن يلوح ( ثوردال )  
 بمسدسه ، قائلاً فى مزيج من الغضب والصرامة :

- فليكن يا ( شالوم ) .. سنتظاهر مؤقّتاً بأننا نصنّق  
 قصبتك ، ولكننى أقسم لك ، إنه لو ثبت لنا أنك المسئول عن  
 مصرع ( هال ) ، فإن المصير الذى سنلقاه على أيدينا ، سيجعلك  
 تتمنى الموت ألف مرة .

انعقد حاجبا ( شالوم ) ، دون أن ينبس ببنت شفة ، ولكنه  
 فى أعماقه كان يشعر بغضب هادر ؛ لأن عودة ( آدم ) أدت إلى  
 تلك التطور السخيف للأسرار ، ووجد عقله كله ينطلق نحو  
 سؤال واحد ..

ثرى أين اختفى ( آدم صبرى ) ، بعد فراره من قبلا ( هال )  
 الثانية ١٩ ..

أين ١٩ ..

ولكنه ، وعلى الرغم من الجهد الشديد الذى بذله ، وهو  
 يعتصر ذهنه حتى آخره ، لم يتوصل إلى جواب لسؤاله هذا ..  
 أبداً ..

\* \* \*

عندما أوقف مساعد الطيار ( فريدريك ) سيارته الصغيرة ،  
 فى ذلك الشارع الهادئ ، من شوارع ( هلسنكى ) ، كانت عقارب  
 الساعة قد تجاوزت الثانية صباحاً بيضع دقائق ، وكان الشارع  
 خالياً من المارة تماماً ، وعلى الرغم من هذا ، فقد غادر  
 ( فريدريك ) سيارته ، وراح يتلفت حوله فى لهفة واضحة ، ولم  
 يكد يلمح سيارة تقترب ، حتى سرت فى جسده قشعريرة باردة ،  
 لم تفارقه حتى وهى تتوقّف خلف سيارته تماماً ، ويهبط منها  
 رجل وقور هادئ الملامح ، بصحبته آخر يبدو عليه الانفعال ،  
 واتجه الاثنان نحوه مباشرة ، وساله أحدهما فى اهتمام :

- قل يا سيّدى : هل يمكنك أن ترشدنا إلى الشارع الشرقى ؟  
 ازدد ( فريدريك ) لعابه فى توتر شديد ، وعجز لسانه عن  
 النطق لحظات ، وهو يحذق فى وجهيهما ، قبل أن يتمتم  
 بصوت متحرج :



- لا يوجد شارع شرقي في هذه المنطقة الغربية .  
سأله الرجل :

- وماذا عن الشارع الجنوبي ؟

ازدرد ( فريدريك ) لعبه مرة أخرى ، وهو يشير بيده إشارة مبهمه ، متمتماً :

- ستجده في الشمال .

أوما الرجلان برأسيهما في ارتياح ، ثم التقط المنفعل ذراع ( فريدريك ) ، وقاده إلى السيارة ، قائلاً :  
هيا بنا .

جلس ( فريدريك ) خلف عجلة قيادة سيارته ، وانتظر في توتر شديد حتى استقر الرجلان على مقعديهما ، ثم انطلق بالسيارة ..

ولدقيقة أو يزيد ، لم ينبس أحدهم بحرف واحد ، فران على السيارة صمت مهيب ، خُيل لـ ( فريدريك ) أنه يجثم على صدره ، فتمتم في ارتباك :

- معذرة .. أنا لم أعتد مثل هذه الأمور .. الواقع أنها أوكر مرة .

أجابهُ الوقور في هدوء :

- لا بأس .. نحن نقدر هذا .

عاد الصمت يغمر السيارة لعشر دقائق أخرى ، و ( فريدريك ) ينطلق بها نحو منزله ، ثم لم يلبث أن قال :

- إنه في حالة جيدة ، على الرغم من الدماء التي فقدها .

عقد أحد الرجلين حاجبيه في توتر ، في حين أوما الوقور برأسه متفهماً ، وغمغم :

- ( أدهم ) قوى البنيان ، وجسده اعتاد مثل هذه الإصابات .  
قال ( فريدريك ) في لهفة :

- اسمه ( أدهم ) إذن .. رباه ! .. هل تعلمان ؟ .. لقد أصابني الذعر عندما فوجئت به في منزلي ، والدماء تنزف من كتفه وذراعه ، ولم أتعرفه بالطبع ، فملاحجه هذه لا تشبه بأي حال من الأحوال ملاحجه السابقة ، عندما كان يحمل اسم الكابتن ( زيلمان ) .. ولكنه أخبرني بحقيقته ، وبأن منزلي هو أفضل مكان يمكن أن يختبئ فيه ، ثم طلب مني الاتصال بكم .. وهانذا قد فعلت كل ما أراه .

وهز رأسه ، وهو يضيف في انبهار :

- وأنا سعيد بكل ما أفعله من أجله ، فأيًا كان اسمه ( زيلمان ) أو ( أدهم ) ، أو حتى ( شوارزنجر )<sup>(\*)</sup> ، فهو كان ، وما زال ، وسيظل مثلي الأعلى ، والرجل الذي أطمع في بلوغ نصف مهارته .

ابتسم الوقور في هدوء ، في حين غمغم الآخر في شيء من العصبية :

- إنه المثل الأعلى لنا جميعاً .

هتف ( فريدريك ) في حماس ، وهو يوقف سيارته أمام منزله :  
- بالتأكيد .

( \* ) ( أرنولد شوارزنجر ) : ممثل سينمائي أمريكي شهير ، من مواليد ٣٠ يوليو ١٩٤٧ م ، كان والده رئيساً للشرطة ، ولقد شجعه على الاهتمام بتربية جسده ، ففاز ببطولة العالم لكمال الأجسام في الثامنة عشرة من عمره ، وبعدها جذب اهتمام السينمائيين ، مما دفعه إلى خوض هذا المجال والتفوق فيه .



هبط الثلاثة من السيارة ، ودلفوا إلى المنزل في سرعة ، وما إن تجاوزوا ردهته ، حتى برز أمامهم ( أدهم ) ، وهو يبتسم في إرهاق ، مغمغماً :

- إنني فقد وصلت أخيراً .. عظيم .. مازالت عروقي تحتفظ بنصف لتر من الدم (\*) .

أسرع إليه الوقور ، وهو يفتح حقيبة ، قائلاً :

- اطمئن يا بطل .. لقد احضرت كل ما يلزم .

قالها ، وقاد ( أدهم ) إلى الأريكة ، وأرقد فوقها ، وراح يتعامل مع جروحه بكل مهارة لطبيب متخصص ، في حين جذب الآخر مقعداً ، وجلس إلى جوار ( أدهم ) ، وساله في اهتمام :

- هل توصلت إلى ما كنت تسعى إليه يا سيادة العقيد ؟

أجابته ( أدهم ) ، والطبيب يظن كتفه وذراعه بمخدر موضعي :

- ليس تماماً .. لقد هرع ( هال ) إلى القिला بالفعل ، ولكنه لم يفعل شيئاً هناك ، سوى التطلع إلى اللوحات والصور .

كانوا يتحدثون العربية ، فلم يفهم ( فريدريك ) حرفاً واحداً مما يقولونه ، إلا أن هذا لم يغضبه ، وإنما ابتسم قائلاً :

- سأعد بعض القهوة .

وانسحب من المكان في هدوء ، ولزميل ( أدهم ) يساله :

- وهل التقطت آلة تصوير ( الفيديو ) كل ما حدث ؟

أجابته ( أدهم ) ، وهو يشير إلى مقعد بعيد :

(\*) يحوى جسم الإنسان البالغ ستة لترات من الدم .

بالطبع .. ستجدها هناك وبداخلها الشريط المسجل .

أسرع الرجل إلى آلة التصوير ، وراح يوصلها بجهاز ( التلفزيون ) في اهتمام ، في حين قال الطبيب :

- هذا المخدر الموضعي لن يمضغ الألم تماماً يا سيادة العقيد .. سيكون عليك أن تحتل بعضه .

ابتسم ( أدهم ) في شحوب ، وهو يقول :

- لا بأس .. لقد اعتدت هذا .

غرس الطبيب مشرطه في كتف ( أدهم ) ، فعض هذا الأخير شفته السفلى في رفق ، وعيانه تتابعان ما تعرضه آلة ( الفيديو )

الصغيرة على شاشة ( التلفزيون ) ، في حين هتف زميله :

- رياه ! .. ذلك الوغد ( شالوم ) أطلق النار بلا أدنى تردد .

أشار إليه ( أدهم ) ، قائلاً :

- دعك مما فعله ( شالوم ) ، وأعد عرض البداية .. أريد مراجعة ما فعله ( هال ) ، عندما دخل إلى ردهة القिला .

أعاد الرجل عرض اللقطات ، التي طلبها ( أدهم ) ، وراح يتابعها معه في اهتمام ، فأنعقد حاجبا ( أدهم ) ، وتجاهل ما يفعله الطبيب بكتفه وذراعه ، وهو يقول :

عجباً ! .. إنه يتطلع إلي تلك الجدار ، الذي يحوى اللوحات الزيتية والصور الضوئية ، في اهتمام ولهفة .

قال زميله :

- ربما يخفى وثائقه في خزانة سرية ، خلف إحدى اللوحات

أو الصور .

وغمغم الطبيب ، دون أن يرفع عينيه عن عمله :

- أو في إطار إحداها .



هز ( أدهم ) رأسه نفياً ، وهو يقول :

- لا هذا ولا ذاك بالتأكيد .

سأله زميله فى حيرة :

- كيف يمكنك أن تجزم ؟ !

أشار ( أدهم ) إلى شاشة ( التلفزيون ) ، قائلاً :

- لأنه لو كان يخفى وثائقه فى أى من المكانين ، لما اكتفى

بالقاء نظرة على الصور واللوحات من بعيد ، ولتقدم ليفحص

الإطار المنشود بمنتهى القلق ، ليتيقن من أن أسرارته فى

موضعها ، ثم إننى فحصت المكان كله ، وتأكدت من أنه لا توجد

أية خزائن سرية ، خلف أى شيء .

قام زميله بتثبيت صورة ( هال ) ، وهو يتطلع إلى الصور

واللوحات ، وتطلع إليها طويلاً ، قبل أن يغمغم :

- أين يحتفظ بأسرارته إذن ؟ !

ضغط ( أدهم ) أسنانه فى قوة ، والطبيب ينتزع الرصاصة

من كتفه ، ولهث قليلاً ، وهو يواصل تطلعه إلى الشاشة ،

فابتسم الطبيب مشفقاً ، وغمغم :

- معذرة يا بطل .. أعلم أن هذا يؤلم ، ولكن الرصاصة كانت

كامنة بين عظامتى الكتف واللوح ، و ...

انعقد حاجبا ( أدهم ) ، وهو يهتف فجأة :

- كامنة ؟ ! !

تطلع إليه زميله والطبيب فى دهشة ، قبل أن يغمغم الأول :

- هل تعنى الكلمة شيئاً ما ؟

أجابته ( أدهم ) فى حزم :

- بالتأكيد .. إنها تعنى الكثير .

أطلت الحيرة من عيني الرجلين ، وهم زميله بالقاء سؤال

آخر ، ولكن ( أدهم ) استطرد فى سرعة :

- المهم الآن أن نطبع نسخة من مفاجأة ( شالوم ) لنا ،

وحتى اللحظة التى أطلق فيها رجاله النار نحونا

سأله زميله فى بهشة :

- وقيم يمكن أن تستخدم هذه النسخة ؟

أطلت من عيني ( أدهم ) ابتسامته ساخرة غامضة ، وهو

يجيب :

- فى تطبيق المبدأ الاستعماري الشهير يا صديقى .

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

- فرق تسد .

وعلى الرغم من إرهاقه وضعفه وآلامه ، تحوكت ابتسامته

إلى ضحكة ..

ضحكة كبيرة ..

وواثقة ..

\* \* \*

تهالكت أعين رجال ( شالوم ) ، فى منتصف النهار التالى ،

وهم يقفون أمام الذئب الإسرائيلى ، الذى احتقن وجهه من شدة

الغضب ، ولوح بذراعيه ، هاتفاً :

- ماذا تعنون بآنكم لم تعثروا على أدنى أثر لـ ( أدهم

صبرى ) فى المدينة كلها ؟ ! .. هل اختفى .. تبخر ؟ ! .. الرجل

مصاب برصاصتين ، ولابد أن يذهب لداواة نفسه فى مكان ما

حتمًا .

قال أحد الرجال فى إرهاب واضح :



- لقد بذلنا قصارى جهدنا ايها الرئيس ، ولم يغمض لنا  
جفن منذ صباح أمس ، ولكننا لم نعثر على أدنى أثر له  
بالفعل .. بحثنا في كل المستشفيات ، ومراكز الطوارئ ،  
وعيادات الأطباء الخاصة ، وراجعنا قائمة كل الشقق  
المستأجرة ، وزرنا سكانها جميعاً ، وهذا جهد رهيب للغاية .

صاح ( شالوم ) في ثورة :

- ولكنه لم يسفر عن شيء .. مجرد جهد ضائع .

قال رجل آخر في ضيق :

- مرنا بما ينبغي فعله ، وسنواصل عملنا يا سيّد ( شالوم ) .

احتقن وجه ( شالوم ) أكثر ، ولوّح بيده في حدة هاتفاً :

- أغنياء .. كل ما حصل عليه منكم هو الـ ..

قاطعه رنين هاتفه الخاص ، فالتفت إليه في عصبية ،

والتقط سماعته ، قائلاً في خشونة :

- من المتحدث ؟

أتاه صوت ( ثوردال ) ، وهو يقول في اهتمام :

- إنه أنا يا سيّد ( شالوم ) .. إننا نريدك لأمر هام للغاية .

التقى حاجباً الإسرائيلي ، وهو يغمغم في حذر :

- تريدونني ؟

أجابه ( ثوردال ) :

- نعم يا سيّد ( شالوم ) .. نريد أن نلتقي بك وحدك ،

وبأقصى درجة من الاحتياط والسرية ، في قبليتي الخاصة .

سأله ( شالوم ) ، وقد امتزج جذره بالكثير من الشك والقلق :

- ولماذا وحدي ، وبكل هذه السرية ؟

أجابه ( ثوردال ) في حزم :

- لأن الأمر بالغ الأهمية ..

وانخفض صوته ، وهو يضيف :

- سنتلقى بعميلنا السوفيتي .

اتسعت عينها ( شالوم ) ، على الرغم من انعقاد حاجبيه ،

وقال في توتر :

- عميلكم السوفيتي ؟ .. أهو هنا ؟

أجاب ( ثوردال ) في سرعة :

- لقد أرسله رؤسائوه إلى هنا ، لجمع المعلومات حول

انطلاق طائرة ( أدهم صبري ) من ( هلسنكي ) ، ولن يمكنه

البقاء عندنا لأكثر من ساعة واحدة ، لذا فنحن نريدك هنا

بأقصى سرعة .. وتذكر .. وحدك ، بكل ما يمكنك من السرية .

قالها ، وأنهى المحادثة على الفور ، ولكن ( شالوم ) ظلّ

يمسك السماعة ليضع لحظات ، على الرغم من الصفير المتقطع

المنبعث منها ، ثم لم يلبث أن أعادها إلى موضعها في بطة ،

وعقله يحمل عشرات الأفكار ..

ولثوان ، بدا لرجاله أشبه بتمثال جامد من الرخام ، قبل أن

يلتفت إليهم قائلاً في صرامة شديدة :

- من الواضح أن الأمور قد تطوّرت أسرع مما كنا نتصور

يا رجال ..

ولم تمض ربع ساعة ، على نطقه لعبارة هذه ، حتى كانت

سيارة ( شالوم ) تعبر بوابة فيلا ( ثوردال ) ، ورجال الحراسة

بمدافعهم الآلية الصغيرة يفسحون له الطريق ، حيث استقبله

( ثوردال ) بنفسه ، قائلاً في لهقة واضحة :

- مرحباً يا سيّد ( شالوم ) .. الجميع في انتظارك بالداخل .



وقاده إلى ردهة كبيرة ، تطلّ على الحديقة مباشرة ، حيث  
جلس ( هانز ) و ( أنجريد ) ، فتطلّع إليهما ( شالوم ) في توتر  
حذر ، وهو يسأل :

- أين العميل السوفيتي ؟

نهض ( هانز ) قائلاً :

- سيصل بعد قليل .. اجلس يا سيد ( شالوم ) فلدينا  
ما نعرضه عليك .

وقاده إلى أريكة كبيرة ، في مواجهة ( التلفزيون )  
مباشرة ، فجلس ( شالوم ) والقلق يكاد يعصف بنفسه ،  
وبخاصة مع تلك الابتسامة شبه الساخرة ، التي ارتسمت على  
شفتي ( أنجريد ) التي تتابعه ببصرها في شماعة واضحة ..

وفي حزم ، ضغط ( ثوردال ) أزرار جهاز التحكم من  
بعد ( الريموت كنترول ) ، لتشغيل ( التلفزيون ) وجهاز  
( الفيديو ) ، وهو يقول :

- واعتقد أن ما سنعرضه عليك سيثير اهتمامك بشدة  
يا سيد ( شالوم ) .

تابع ( شالوم ) الشاشة في توتر قلق ، ثم لم يلبث حاجباه  
أن انعقدوا في شدة ، وخفق قلبه في عنف ، وانقبضت أصابعه  
بكل قوتها على مسند الأريكة ، حتى كاد ينتزعه من مكانه ،  
عندما بدا العرض الفعلي ..

فعلى الشاشة ، وأمام عينيه مباشرة ، بدا مشهد اقتحامه  
لقبلا ( هال ) الثانية ، وحواره مع ( أدوم ) و ( هال ) ، ثم  
إصداره الأمر بقتلهما ، وتوالى الأحداث حتى نقلت مشهداً  
واضحاً لجثة ( هال ) ، ورجاله يهرعون إلى المكان ..

وطوال العرض ، ران على المكان صمت رهيب ، وارتسم  
الغضب على وجهي ( هانز ) و ( ثوردال ) ، في حين أطلت نظرة  
ناقمة متشفية من عيني ( أنجريد ) الجميلتين ، وعندما انتهى  
الأمر ، كان مسدسا الرجلين مصوبين إلى ( شالوم ) ، و ( هانز )  
يقول في غضب ثائر :

- إذن فليس ( أدوم صبرى ) هو المسؤول عن مخرج ( هال )  
يا سيد ( شالوم ) .. بل على العكس .. لقد حاول إنقاذه من  
رصاصات رجالك ، عندما امرتهم بقتله معه .

التقى حاجبا ( شالوم ) طويلاً ، قبل أن يقول في عصبية :

- هذا الشريط مزيف .

ابتسم ( ثوردال ) في سخرية غاضبة ، وهو يقول :

- كلاً يا سيد ( شالوم ) .. إنه ليس كذلك .. لقد أرسله إلينا  
شخص ما في الشاشة صباحاً ، ولكننا لم نتخذ قرارنا بشأنه  
وشأنك إلا في منتصف النهار ، بعد أن استدعينا خبيراً  
إلكترونياً لفحص الشريط ، وتأكيد أنه سليم تماماً .

ومطت ( أنجريد ) شفتيها في ازدراء قائلة :

- كنت واثقة من أنك الشخص الذي يمكن أن يقدم على عمل  
حقير كهذا .

لوح ( شالوم ) بذراعه ، قائلاً في حدة :

- فليكن .. سنفترض أنني الشخص المسؤول عن مقتل

( هال ) .. ألم تسالوا انفسكم لماذا فعلت هذا ؟ ! لقد كنت

أحبيكم أيضاً أيها الأغبياء .. ( هال ) كان يخونكم .

أشار ( ثوردال ) بيده ، قائلاً في صرامة :

- لا ادعى لمرافعتك هذه يا ( شالوم ) .. لقد أصدرنا الحكم

بالفعل



والتقى حاجبا ( أنجريد ) ، وهى تقول :  
- الإعدام .

صمت ( شالوم ) لحظة فى عصبية ، ثم لم يلبث أن ابتسم  
فى سخرية ، قائلا :

- هكذا ؟ .. فليكن .. أنا أوافق على الحكم بالإعدام .

بدت الدهشة على وجهه ( ثوردال ) و ( أنجريد ) ، فى حين  
تعتم ( هانز ) فى توتر :  
- توافق !!

هب ( شالوم ) من مجلسه ، صائحا بكل قوته :  
- نعم الإعدام لكم .

ومع آخر حروف كلماته ، اقتحم ثلاثة من رجاله الردهة ، مع  
كل طاقم حراسة فيلا ( ثوردال ) ، واشترك الجميع فى تصويب  
مدافعهم الآلية إلى هدف واحد ..  
إلى ثلاثى الشبكة الإسكندنافية .

\* \* \*



## ٢٠ - وسقطت الأقتعة ..

انهك رجال الألة الجنائية فى عملهم ، فى فيلا ( هال )  
الثانية ، وراحوا يجمعون الرصاصات الفارغة والشظايا  
الصغيرة ، ويرفعون البصمات من كل ركن ، ويستخرجون  
المقنوعات من الجدران ، ويلتقطون الصور الضوئية للمكان ..  
وفى أحد الأركان ، وقف اثنان من الرجال ، يتابعان عمل  
الآخرين ، ومطأ أحدهما شفتيه فى تائر ، وهو يهز رأسه قائلا :  
- بالخسارة ! .. الرصاصات أتلفت عشرات اللوحات  
الثرينة .. هل تعلم .. الخبير قدر خسائر اللوحات وحدها بستة  
ملايين دولار .

هز الثانى كتفيه ، وقال :

- يا لهؤلاء الأثرياء ، أنفقون الملايين فى سبيل الزينة  
والتباهى فحسب ! .. يا للسخافة ! .. لو أردت رأيي ، فهم  
يستحقون القتل .

ابتسم الأول ، وهو يقول :

- يا لك من حاقم !

هم الثانى بالتعليق على عبارته ، لولا أن تعلق بصره برجل  
اشقر الشعر ، كثر الحاجبين والشارب ، دلف إلى المكان فى  
معطف أنيق ، وراح يدير بصره فيه بشيء من الصرامة ، فمال  
على زميله ، قائلا :

- من هذا الرجل ؟

تطلع زميله إلى الأشقر لحظة ، قبل أن يهز رأسه ، مغمقا :

- لست أدري .. دعنا نساله .

اتجه الاثنان نحو الأشقر ، وقبل أن يصلا إليه ، فوجئا به



يلتفت إليهما ، ويقول في صرامة :

- ألم ينته هذا العمل بعد ؟

ارتبك الاثنان لهذه المبادرة غير المتوقعة ، واجاب أحدهما :

- مازالت أمامنا ساعة أخرى تقريبا .

وسأله الثاني في حذر :

- معذرة يا سيدي ، ولكن .. من أنت بالضبط ؟

انعقد حاجبا الأشقر ، وهو يقول في غضب صارم :

- من أنا ؟ .. أى سؤال سخيف هذا ؟ .. ألم تصلكما

التعليمات الجديدة بعد ؟ .. من الغبي المسئول عن هذا الإهمال

الجسيم ؟ .. من ؟

ارتبك الرجلان أكثر ، وغمغم أحدهما :

- للأسف ، لم تصلنا بعد أية تعليمات جديدة ، و ...

قاطعه الأشقر في غضب :

- يا للسخافة ! .. سأصدر أوامري بمعاينة المسئول عن هذا

الخطأ فوراً ..

ثم أشار إلى المكان بيده ، مستطرداً في حدة أكثر :

- ولكن يبدو أنه ليس الوحيد الذى يتسم بالإهمال .. من

الواضح أنكم تشتركون معه فى السمة نفسها .. كيف لم ينته

فحص هذا المكان حتى الآن ؟ .. اليس من المفترض ، طبقاً

للوائح ، أن يتم هذا خلال الساعات الثلاث الأولى ؟ !

تنجح أحد الرجلين ، قبل أن يقول متوتراً .

- هذا نص قديم فى اللائحة ، تقدمنا بطلب لتعديله و ..

صرخ الأشقر فى وجهه :

- لا أريد أية تبريرات .

ثم اتجه فى خطوات عصبية واسعة إلى الجدار الذى يحوى

اللوحات والصور ، وتطلع إليه بحاجبين معقودين ، قبل أن

يشير لأحد العاملين ، قائلاً فى صرامة :

- انتزع هذه الصورة .

أسرع الرجل بيفذ الأمر ، وانتزع الصورة الكبيرة للمحامي

( هال ) ، وهو يقف وسط ساحة التزلج ، فالتقطها منه ( أدهم ) ،

وتطلع إليها لحظة ، ثم وضعها تحت إبطه . والتفت إلى

الرجلين ، قائلاً فى صرامة شديدة :

- ومتى ينتهى العمل هنا ؟ !

تبادل الاثنان نظرة متوترة ، قبل أن يجيب أحدهما :

- ساعة واحدة على الأكثر يا سيدي ، و ...

قاطعه ( أدهم ) بصرخة صارمة :

- ساعة واحدة وليس أكثر .. هل يفهم الجميع ؟

أوما العاملون برعوسهم فى توتر ، فانعقد حاجباه فى

صرامة أكثر ، وغادر المكان فى خطوات واسعة ، وهو يقول :

- ساعود بعد ساعة واحدة ، والويل كل الويل لمن يتقاعس

فى عمله .

ازبدرد الجميع لعابهم فى توتر ، وهم يتابعونه بأبصارهم ،

حتى غادر المكان ، ثم أطلق أحدهم زفرة حارة من أعماق صدره ،

قبل أن يقول :

- اللعنة ! .. من هذا الرجل بالضبط ؟

ارتفع حاجبا الرجلين فى دهشة عنيفة ، وتبادلا نظرة

صامتة مغممة بالتوتر ، قبل أن يلتفت الاثنان فى آن واحد إلى

البواب الذى خرج منه ( أدهم ) منذ لحظات ، وقد تردّد فى



راسيهما السؤال نفسه ..  
نعم .. من هذا الرجل ؟ .. !  
من ؟ .. !

\* \* \*

امتقع وجه ( ثوردال ) و ( هانز ) و ( أنجريد ) بشدة ، عندما اقتحم الرجال المكان ، وهتف الأول مدعوراً :  
- ما هذا ؟ .. ماذا أصابكم يا رجال ؟  
اجابته ضحكة عالية ، ساخرة ، شامتة ، متشفية ، ظافرة ، انطلقت من حلق ( شالوم ) ، وجلجلت في المكان كله ، قبل أن يقول صاحبها في غلظة :

- لا تجعل هذا يدهشك ايها الفنلندي .. إنهم لم يطلقوا على لقب ( الذئب الأرقط ) ، عبثاً .. ولا تعتمد كثيراً على طاقم حراستك ، فكلهم يعملون لحسابنا .  
اتسعت عينا ( أنجريد ) في ارتياح ، وهي تهتف :  
- كلهم .

التفت إليها ( شالوم ) بتظرة صارمة ، قائلاً :  
- نعم .. كلهم يا اميرة الأغبياء .. ومنذ التحقوا بالعمل هنا .. أنا أرسلتهم بنفسى ، وكنت أعلم أنهم يناسبون صديقنا ( ثوردال ) تماماً .. وكنت ادخرهم لمثل هذه اللحظة .  
ثم صرخ بغتة في وجه ( هانز ) :  
- ألق مسدسك أيها الحقيير .

التي ( هانز ) و ( ثوردال ) مسدسيهما بسرعة ، في حين هتفت ( أنجريد ) في توتر شديد :  
- ( شالوم ) .. عزيزى ( شالوم ) .. إننا نعتز بالخطة الذى

ارتكبناه في حقك .. هيا .. دع رجالك ينصرفون ، وسنناقش هذه الأمور فيما بيننا .

رفع ( شالوم ) حاجبيه بدهشة مصطنعة ، وهو يقول :

- ينصرفون ؟ .. وماذا عن الحكم يا اميرتى ؟

سالته من تجفة :

- أى حكم ؟

اجابها فى صرامة :

- حكم الإعدام .

اتسعت عيون الثلاثة فى رعب ، وتعلقت بكواتم الصوت فى فوهات المدافع الآلية ، ثم هتف ( هانز ) :

- لا .. لا تفعلها يا سيد ( شالوم ) .

وصاح ( ثوردال ) ، وهو يلوح بذراعيه :

- إنك ترتكب خطأ فاحشاً .

أما ( أنجريد ) فقد انهارت من مقعدها على ركبتيهما ، وتفجرت الدموع من عينيها فى غزارة ، وهي تهتف :

- لا تقتلنى يا ( شالوم ) .. أرجوك .. أنا ثرية وجميلة ،

ومازلت أرغب فى التمتع بالحياة لوقت أطول .. أرجوك .

ولكن ( شالوم ) أشار إلى رجاله ، وهو يقول فى قسوة :

- للأسف فات الأوان يا اميرتى .

وخفض يده بخركة حادة ، فصرخت ( أنجريد ) فى رعب

هائل :

- لا .. لا .. !!!!!

ومع صرختها ، انطلقت الرصاصات المكتومة ..

واخترقت الرؤوس والأجساد ..

www.tillas.com/vb3



كل الرعوس والاجساد ..

وبلا أدنى رحمة أو شفقة ..

وبعد ثوان معدودة افترشت جثث ثلاثى الشبكة الاسكندنافية أرض ردهة فيلا ( ثوردال ) ، وسط بحر من الدم .. وفى برود ، تطلع ( شالوم ) إلى جثث الثلاثة ، ثم التقط جهاز التحكم عن بعد ، وعاد يجلس على الأريكة ، ويدير الشريط المسجل فى هدوء ، متطلعًا إلى كل لقطة منه بامعان شديد ..

ثم توقف عند اللقطة التى اشار فيها ( هال ) إلى الجدار ، قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة .. وأعاد عرض اللقطة مرة ..

ومرة ..

ومرة ..

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يفحص ببصره الجدار المكتظ باللوحات والصور ، والذى اشار إليه ( هال ) ، وراح يعتصر ذهنه بشدة ، و ...

وفجأة ، وثب من مقعده ، صائحًا :

- اللعنة ! .. إنها صورة كامنة .

التفت رجاله إليه فى دهشة ، وغمغم أحدهم :

- صورة كامنة ؟ .. وما هى الصورة الكامنة ؟ !

اندفع ( شالوم ) نحو شاشة التليفزيون ، وأشار إلى صورة ( هال ) الكبيرة ، وسط ساحة التزلج ، وهو يقول فى انفعال :

- كان ينبغي أن انتبه إلى هذا منذ البداية ، فلماذا يحتفظ ( هال ) بصورة كبيرة فى ردهة الفيلا ، على الرغم من أنه

لا يحتفظ بمثلها فى قيلته العلنية ؟ ! .. والجواب هو أنه يحتفظ بها لأنها تحوى كل أسرارها ! ففيها صورة كامنة ، لا يمكن رؤيتها إلا بمعالجة خاصة (\*) وهى فكرة عبقرية بحق .

ثم وثب إلى الهاتف ، وطلب رقمًا خاصًا ، ولم يكد يسمع صوت محدثه ، حتى قال فى انفعال :

- ( موريس ) .. هناك أمر بالغ الأهمية ، أريد منك القيام به على الفور .. هناك صورة كبيرة للوغد ( هال ) ، وهو يقف وسط ساحة التزلج ، ستجدها على جدار فى ردهة فيلا ( هال ) الثانية حيث لقي مصرعه .. أريد هذه الصورة بأى ثمن ، و ...

اتسعت عيناه فى ارتياح ، عندما قاطعه محدثه ، وكادت أصابعه تحطم سماعة الهاتف ، وهو يصرخ :

- ماذا ؟ ! .. أخذها ؟ رجل مجهول أتى وأخذها .. اللعنة ! اللعنة ! .. اللعنة ! !

وعندما أعاد السماعة إلى موضعها كان جسده كله يرتجف فى عنف ..

لقد سبقه ( ادم صبرى ) أيضًا هذه المرة ، وفاز بالغنيمة .. بل بالصفقة كلها ..

\* \* \*

( \* ) فى الثامن والعشرين من نوفمبر عام ١٩٦٨م ، ألقت المخابرات العامة المصرية القبض على جاسوس يعمل كمحترف تصوير ، وهو ( منير عبد الغنى ) ، وكان ( منير ) يحمل عند وقوعه بعض الأفلام بالغة الخطورة ، وعدداً من الصور الكامنة ، وهى عبارة عن صورة يتم التقاطها ، وتترك فيها مساحات واسعة بيضاء ، وفى هذه المساحات يتم طبع صور أخرى لمنشآت أو وثائق ، بعد تحميض الصورة الأصلية ، وقبل تثبيتها ، ثم يتم تثبيت صورتين الواضحة والمختفية معاً ، والاستعادة الصورة الكامنة فى الفراغ الأبيض ، يتم تحميض الصورة ثانية .



التقط ( أدهم ) الصورة الكبيرة من حوض التحميض في حرص ، وتطلع إلى الثلوج البيضاء فيها ، والتي استحالت إلى مساحات سوداء ، من كثرة ما برز فوقها بالتحميض ، وغمغم في ارتياح :

- خبيث للغاية ( هال ) هذا .. لقد استخدم فكرة الصورة الكامنة بمنتهى البراعة ، فطبع صورته وسط مساحة التزلج ، وقام بإظهارها ، ثم طبع صورة الوثائق بمنتهى الدقة ، في المساحات البيضاء ، دون أن يظهرها ، وإنما اكتفى بتثبيت الصورة كلها ، واحتفظ بها في ردهة قبيلته ، ولهذا لم يحاول فحص أية إطارات أو خزائن ، وإنما اكتفى بأن الصورة مازالت في موضعها ، وهذا وحده دليل على أن أسرارها في أمان .

قال زميله في ثوتر :

يا للبراعة .

التقط ( أدهم ) عدسة مكبرة ، وتطلع بوساطتها إلى الثلوج التي اصطبغت بالسواد ، وراح يقرأ التفاصيل بمنتهى الاهتمام ، قبل أن يقول :

- اه .. إن هذا هو العميل السوفيتي .. كان ينبغي أن أتوقع أنه هو .. ولكن هناك الأكثر أهمية .. فـ ( هال ) يحتفظ بعدد من الشرائط الصوتية والمرئية ، في خزانة خاصة ، وما هو ذا رقمها السري ، والمكان الذي يحتفظ فيه بمفتاحها في ( سويسرا ) .

هتف زميله في انفعال :

- رباح ! .. إنها معلومات بالغة الخطورة يا سيادة العقيد .  
أوما ( أدهم ) برأسه إيجاباً ، وشرد ببصره بضع لحظات ، قبل أن يغمغم :



وغمغم في ارتياح :  
- خبيث للغاية ( هال ) هذا .. لقد استخدم فكرة الصورة الكامنة .



- إنها كذلك يا رجل .. ولكن ليست خطورتها وحدها المهمة ،  
ولكن الأكثر أهمية هو كيف يمكن استغلال هذه الخطورة ؟  
سأله زميله في اهتمام :  
- كيف يا سيادة العقيد ؟  
شرد بصر ( أدهم ) أكثر وهو يجيب :  
- بأفضل وسيلة أيها الزميل .. بأفضل وسيلة ممكنة ..  
وبدت عبارته واثقة قوية ، و ...  
وغامضة ..  
غامضة إلى أقصى حد ..

\* \* \*

اتسعت عيننا ( فريدريك ) في ارتياح ، وهو يحدّق في وجه  
رجل المخابرات المصري ، الذي نقل إليه خبر مصرع ( ثوردال )  
( هانز ) و ( أنجريد ) ، قبل أن يهتف في صوت مخنق :  
- ولكن كيف ؟ .. ولماذا ؟ .. من ذا الذي يسعى لقتل  
ثلاثتهم في مذبحه بشعة كهذه ؟  
أجابه رجل المخابرات ، وهو يلقي جسده المنهك على أقرب  
مقعد إليه :  
- الإسرائيلي ( مائير شالوم ) بالتأكيد .  
هتف ( فريدريك ) في غضب :  
- يا للوعد !  
هزّ رجل المخابرات رأسه ، قائلاً :  
- الذئاب دائماً يفترس بعضها البعض ، إذا ما تازعت  
الأمور .

سأله ( فريدريك ) في اهتمام :

٣٣٦

- وماذا سيفعل الكابتن ( زيلمان ) في هذا الشأن ؟ .. أعنى  
السيد ( أدهم ) .

ارتسمت ابتسامة مرهقة على شفتي رجل المخابرات ، وهو  
يقول :

- الكثير .  
كان جواباً مقتضباً ، ولكنه يحمل معاني شتى ، جعلت  
جسد ( فريدريك ) ينتفض انفعالاً ، وتأثراً ، قبل أن يقول في  
حماس :

- السيد ( أدهم ) هذا رجل مذهش بحق .. من يصدق أنه  
يتحرك بكل هذا النشاط ، وإصاباته لم تلتئم بعد ؟

أجابه رجل المخابرات مبتسماً :  
- لو أنك تعرف ( أدهم ) مثلما نعرفه ، لما ادّشك هذا .  
هزّ ( فريدريك ) رأسه ، قائلاً في انبهار :  
- لا ريب عندي في هذا .

ثم سال في شغف :  
- لكن أين هو ؟ .. إنني لم المحه منذ الصباح الباكر .  
ارتسمت ابتسامة غامضة على شفتي رجل المخابرات ، وهو  
يجيب :

- إنه يقوم بعمل هام للغاية ، لا يمكن أن يقوم به سواه .  
ارتفع حاجبا ( فريدريك ) في انبهار ، وهو يتمتم :  
- عمل هام للغاية ؟ .. أين ؟

اتسعت ابتسامة رجل المخابرات ، وهو يجيب :  
- في مكان ما

٣٣٧



نطقها وابتسامته تحمل المزيد من الغموض .  
والمزيد ..  
والمزيد ..

\* \* \*

« مرحباً يا مسيو ( هال ) .. آية رياح طيبة شرفتنا بزيارتك  
المفاجئة لنا هذه المرة ؟ .. »  
لقى مدير بنك ( كريدى سويس ) فى العاصمة السويسرية  
هذه العبارة ، وهو ينهض لاستقبال ( ادهم ) فى مكتبه ، وقد  
تنكر فى هيئة ( هال ) بدقة مدهشة كعادته ، وإن احاط يده  
اليمنى برباط ضاغط ملحوظ ، وضمانة على الرسغ ، وارتسمت  
على شفثيه ابتسامة تقليدية ، وهو يصفح مدير البنك باطراف  
أصابعه ، قائلاً :

- محذرة .. يدي مازالت تعاني إصابة محدودة ، فى ملعب  
التنس .

تطلع المدير إلى الرباط الضاغط والضمانة ، وهو يقول :

- أه .. ضربة خاطئة .. اليس كذلك ؟

ابتسم ( ادهم ) ولوح بكفه اليسرى ، وهو يجيب :

- بل محاولة صد اعنف مما ينبغي .

أوما المدير براسه متفهماً ، وهو يغمغم :

- ثقيل أسقى يا مسيو ( هال ) .

ثم استطرده يسأله فى اهتمام :

- إنها أول مرة تشرقنا فيها بزيارتك دون موعد سابق ..

اليس كذلك ؟

أوما ( ادهم ) براسه إيجاباً ، وهو يقول :

- بلى ، ولكنه أمر عاجل بحق .. قضية هامة ، احتفظ  
بالوثائق الخاصة بها فى خزانتي هنا .

ابتسم المدير وهو يقول :

- اراهن على أنك لا تخسر قضايك أبداً يا مسيو ( هال ) .

منحه ( ادهم ) ابتسامة لزجة ، وهو يجيب :

- إلى حد ما .

ثم أخرج من جيبه مفتاح الخزنة ، الذى حصل عليه من  
المكان الذى أخفاه فيه ( هال ) ، وهو يستطرده :

- ها هو ذا مفتاحي .

أسرع مدير البنك يلتقط من درج مكتبه المفتاح الثانى ، وهو  
يقول :

- وها هو ذا المفتاح الآخر ، والآن لا ينقصنا سوى

توقيعك ، و ...

ويشير عبارته بفعلة واحدة ، وهو يتطلع إلى يد ( ادهم )  
المحاطة بالرباط الضاغط والضمانات ، فلوح بها هذا الأخير ،

وقال فى شيء من المرح :

- لا تدع هذا يشغلك .. صحيح أنني لم أختبر فاعليتها بعد ،

ولكننى أعتقد أنه مازال بإمكانى استخدامها للتوقيع .

والتقط قلمًا من فوق مكتب المدير ، وأمسك الإيصال

الخاص ، ووضع فوقه توقيع ( باتون هال ) ، ثم تطلع إليه فى

شيء من عدم الرضا ، ومط شفثيه ، متممًا :

- إنه لا يبدو أنيقاً كالمعتاد ، ولكن ..

لم يتم عبارته ، وكأنما لا يجد ما يقوله ، ولكن المدير أوما

براسه ، معلناً تفهمه للموقف ، وهو يتطلع إلى التوقيع ، الذى



لم يبد له مثاليًا ، إلا أن وجود ( هال ) أمامه بوجهه المألوف ،  
وصوته المميز ، ووجود المفتاح معه ، ومعرفته لرقم الخزانة ،  
والبنك ، كلها عوامل جعلته يبتسم قائلاً :

- لا بأس يا مسيو ( هال ) .. صحيح أن هذا يخالف  
لوائحنا ، ولكننا لسنا بالتأكيد جهة بيروقراطية مترممة ، ولا  
يمكننا أن نتسبب في خسارتك لقضيتك ، مجرد أنك مصاب بما  
يمنعك من إجابة توقيعك مؤقتًا ... سنقوم بكل الإجراءات ،  
ونحصل على توقيعك فيما بعد .

ونهض مستطردًا في حسم :  
- اتبعني يا مسيو ( هال ) .  
ابتسم ( أدهم ) ، وهو يتبعه إلى حجرة الخزائن ، قائلاً  
بصوت ولهجة ( هال ) :

- هذا بالضبط ما جعلني أتعامل مع بنكمم يا رجل .  
اصطحبه المدير إلى الحجرة ، وفتح الخزانة بمفتاحه ، وترك  
( أدهم ) يستخدم مفتاحه ، ثم أخرج الحاوية ، ووضعها فوق  
منضدة جانبية ، وابتسم ، قائلاً :

- سانتظرك في مكتبي يا مسيو ( هال ) .  
انتظر ( أدهم ) حتى أغلق المدير الباب خلفه ، ثم فتح  
الحاوية ، وتطلع إلى الشرائط المسجلة داخلها ، قبل أن يقول  
في ارتياح :

- عظيم .. هذا كل ما نحتاج إليه .  
ولم تمض دقائق عشر ، على قوله هذا ، حتى كان يغادر  
البنك ، وينطلق بسيارته مبتعدًا في هدوء ، فتابعه المدير  
ببصره في اهتمام ، وعاد يمارس عمله اليومي ، ولم تمض

نصف الساعة ، حتى اندفع أحد الموظفين إلى حجرته ، وهو  
يحمل جريدة الصباح ، هاتفًا :

- سيدي المدير ، هل قرأت هذا الخبر ؟  
التقط المدير الجريدة في اهتمام ، ولم يكذب بلقى نظرة على  
الخبر المنشور في الصفحة الأولى ، حتى قلن من مقعده ،  
صارخًا :

- مستحيل !  
فقد كان الخبر يشير إلى حادثي مصرع ( هال ) ورفاقه  
الثلاثة في ( هلسنكي ) ..  
وفي ارتياح ، هتف المدير :

- لو أن مسيو ( هال ) قد لقي مصرعه هناك ، فمن ذلك  
الرجل ، الذي كان هنا اليوم ؟ !  
هز الموظف رأسه ، متمتمًا في حذر :

- محتال ولا شك .  
ترك المدير جسده يسقط على أقرب مقعد إليه ، واتسعت  
عيناه في هلع ، وعقله يسترجع تفاصيل ما حدث ، إلا أنه لم  
يلبث أن تمالك نفسه ، وقال للموظف في صرامة :

- فليكن .. ما دام مسيو ( هال ) الحقيقي قد لقي مصرعه ،  
فلن يوجد من يمكن أن يتقدم بشكوى ضدينا .  
ساله الموظف في دهشة :

- ماذا تعني يا سيدي ؟ !  
أجابه المدير في حزم :

- مسيو ( هال ) لم يحضر إلى هنا اليوم ، وكلانا يمكنه أن  
يقسم على هذا .. مزق الإيصال وكل الأوراق الخاصة بزيارة ذلك



المحتال ، ولن يتمكن شخص واحد من إثبات ما حدث ، أما عن محتويات الخزانة فقد كنا ومازلنا نجهلها تماماً ، والقانون لا يمنع احتفاظ شخص ما بخزائنه خاوية ، مادام يسدّد أجراها على نحو منتظم .. هل تفهم ؟  
أوما الرجل برأسه ، مغمغماً :

- أفهم يا سيدي المدير ، واعتقد أن هذا أفضل للجميع وفي نفس اللحظة ، التي دار فيها هذا الحوار ، كان ( أدهم ) يستقل الطائرة العائدة إلى ( هلسنكي ) ، وقد استعدّ وتأهب لجولته القادمة مع الذئب الإسرائيلي ..  
جولته الحاسمة ..  
والأخيرة .

\* \* \*

انطلقت ضحكة ظافرة من بين شفّتي رجل المخابرات المصري ، وتهلّلت أساريره ، وهو ينهي محادثة هاتفية ، قائلاً بالعربية :  
- عظيم .. عظيم .. هذا ما كنت أتوقّعه بالطبع .. أنا في انتظاره .

سأله ( فريدريك ) في لهفة ، عندما أنهى المحادثة :  
- ملامحك تقول : إن السيد ( أدهم ) قد أدى مهمته بنجاح .. اليس كذلك ؟

ابتسم رجل المخابرات ، قائلاً :  
- من الواضح أنك تجيد قراءة الملامح يا ( فريدريك ) .  
أجابه ( فريدريك ) في حماس :  
- بل قل : إنني أعرف من ينبغي أن أمسحه ثقتي .

ثم اعتدل في مجلسه ، وهو يسأل في لهفة :  
- ولكن متى يعود إلينا ؟

هزّ رجل المخابرات كتفيه ، وهو يقول :

- المفترض أنه في طريقه إلى هنا ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، التقطت أنفه بغتة وقع أقدام تقترب من باب الشقة في حشر ، فاستلّ مسدسه بسرعة وهبّ واقفاً ، وهو يشير إلى ( فريدريك ) بالصمت ، ويتجه في خفة نحو الباب ..  
وحبس ( فريدريك ) أنفاسه ، وهو يتابع حركته ، وراح قلبه يخفق في عنف متوتر ، و ...  
وفجأة ، اقتحم رجلان النافذة ، ووثبا داخل الشقة ، وكلاهما يحمل بندقية من طراز خاص ..

وبسرعة مذهبة ، استدار رجل المخابرات بوجه الرجلين ، واطلق نحوهما رصاصات مسدسه ، التي ارتطمت بالسترات الواقية من الرصاصات التي يرتدونها ، في حين انطلقت من بندقيتهما أسهم خاصة ، انغرست في عنقه وصدره ، في نفس اللحظة التي اقتحم فيها رجلان آخران الباب ، وانقضا عليه من الخلف ..

وصرخ ( فريدريك ) ، والأسهم المخشّرة تنغرس في جسده أيضاً :

- رباه ! .. لقد كشفوا أمرنا .

وفي نفس اللحظة التي سقط فيها ، مع رجل المخابرات المصري ، فاقد الوعي ، ظهر على عتبة الباب ذلك الخصم اللدود ..

( مائير شالوم ) ..



## ٢١ - الموت لا يأتي مرتين ..

هبط الظلام فى سرعة على العاصمة ( هلسنكى ) ، فى ذلك اليوم ، مع الغيوم الكثيفة التى حجبته السماء ، وبدأ الجليد ينهمر مبكراً ، فاكستت الشوارع ، وأسطح المنازل بغلاف أبيض ناصع ، تطلع إليه ( شالوم ) فى شيء من التوتر ، عبر نافذة حجرة مكتبه ، فى الطابق الثانى من الفيلا ، وتعلق بصره طويلاً ببوابتها المعدنية ، التى وقف عندها خمسة من رجال الحراسة الأشداء ، بمدافعهم الآلية القصيرة ، فسأله أحد رجاله فى شيء من التردد :

- هل تعتقد أنه سيأتى يا سيدي ؟

صمت ( شالوم ) طويلاً ، وحاجباه ينعقدان فى شدة ، قبل أن يجيب فى صرامة :  
لو أنك درست شخصية ( أدهم صبرى ) ، كما درستها أنا ، لأدركت أنه لن يتخلى عن زميله ومساعدته السابق قط .. إنه من تلك الطراز الغبى ، الذى يقيم وزناً كبيراً للعواطف والمشاعر السخيفة .

هز الرجل كتفيه ، وهو يقول :

- لو أننى فى موضعه لما أتيت قط ، مهما كان الثمن ، خاصة وهو يعلم أنك تطلب منه وضع نفسه بقدميه فى الفخ ، الذى صنعت له .

صمت ( شالوم ) لحظات أخرى ، ثم أجاب فى صرامة حازمة :  
سيأتى .

لم يكذ يخطئ الكلمة ، حتى ظهرت من بعيد أضواء سيارة تقترب ، فهتف الرجل فى دهشة عارمة :

الذئب الإسرائيلى الأرقط ..

وفى صرامة قاسية ، ألقى نظرة على الرجلين ، وغمغم :

- كان ينبغي أن تدركا أن ( شالوم ) ليس بالرجل السهل ، وأنه سيكشف الأمر إن عاجلاً أو آجلاً .

سأله أحد رجاله ، وهو يشير إليهما :

- هل نتخلص منهما أيها الرئيس ؟

أجابه ( شالوم ) فى حزم :

- ليس بعد .. سنحملهما الآن فحسب إلى قبلى الخاصة ،

وسنصنع منهما طعناً لاصطياد الفريسة الرئيسية .

سأله الرجل فى اهتمام :

- وهل تعتقد أن رجلاً مثل ( أدهم صبرى ) يمكن أن يقع

بمثل هذه السهولة ؟

برقت عينا ( شالوم ) ببريق وحشى ، وهو يجيب :

- صدقنى يا رجل .. فى هذه الجولة بالتحديد ، لن يكون

أمام ذلك الشيطان المصرى سوى أن ينهزم .. ودون أدنى أمل فى

النصر .

قالها ، وبريق عينيه يتضاعف ، ويحمل المزيد من الوحشية

والشراسة ، حتى بدا بالفعل أشبه بالذئب ..

ذئب لا يعرف الهزيمة ..

أو الرحمة .

\* \* \*





- أمن الممكن أن يكون ...

قاطعه ( شالوم ) في انفعال :

- قلت لك : إنه سيأتي .

وتعلق بصره بالسيارة ، التي واصلت طريقها ، حتى توقفت أمام البوابة المعدنية مباشرة ، وأطل منها وجه ( أدهم صبرى ) ، وهو يقول لجارس البوابة بلهجة ساخرة :

- افتح أيها الوغد .. رئيسك ينتظرني على أحر من الجمر .

فتح الرجل البوابة ، وهو يقول في غلظة :

- انتبه لما تقول يا رجل ، وإلا ..

قاطعه ( أدهم ) ساخراً :

- وإلا ماذا يا هذا ؟ .. هل ستطلق النار على ، قبل أن التقى برئيسك ؟

أفسح له الرجل الطريق ، وهو يقول في غضب :

- ربما أفعل ، بعد أن ينتهى من امرك .

عبر ( أدهم ) البوابة بسيارته ، وهو يقول :

- يمكنك أن تحلم بهذا على الأقل ، ولكن حذار أن تفعل هذا بدون غطاء .

عصر الرجل شفتيه في غيظ ، وهو يغلق البوابة خلف السيارة ، التي عبر بها ( أدهم ) حديقة القبلا ، ليتوقف أمام بابها مباشرة ، فاندفع نحوه خمسة من الرجال بمدافعهم الآلية ، وصوبوها إليه في صرامة ، في حين قال أحدهم في خشونة :

- اهبط يا رجل .

غادر ( أدهم ) السيارة في هدوء ، وهو يرفع ياقة معطفه الأنيق ، ليتقى الجليد المنساقط ، قائلاً في سخريه :

- قل لى أيها الوغد : كم من زملائك الأوغاد ينبغي أن التقى بهم ، قبل أن أصل إلى رئيسك ؟

انعقد حاجبا الرجل في غضب ، وهو يلكزه بمدفعه ، قائلاً :

- أنت رجل محظوظ يا هذا ، فلولا أوامر رئيسي لأطلقت النار عليك بلا رحمة .. هيا ارفع يديك ، فالأوامر تحتم أيضاً تفتيشك جيداً .

رفع ( أدهم ) ذراعيه فوق رأسه ، وترك الرجل يفتشه في

سرعة ودقة ، وهو يقول :

- اطمئن أيها العبقري .. لست أحمل أية أسلحة .

قال الرجل في صرامة :

- لن يضربنا أن نتأكد .

تركه ( أدهم ) بواصل عمله ، حتى انتهى منه ، ثم خفض

ذراعيه ، قائلاً :

- حسن .. هل سنذهب الآن إلى ( شالوم ) ، أم أنه من

الضرورى أن نمر بنقاط تفتيش أخرى ؟ ؟

دفعه الرجل أمامه في غلظة قائلاً :

- اصمت .

أحاط به أربعة من الرجال بمدافعهم الآلية ، وقادوه إلى

حجرة مكتب ( شالوم ) ، حيث استقبله هذا الأخير بنظرة

صارمة ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، قائلاً :

- مرحباً بك فى فيلتى يا سيد ( أدهم ) .. من الواضح أنك قد

تلقيت الرسالة ، التي تركتها لك فى منزل ( فريدريك ) ، وأنت

أدركت حتمية مجيئك إلى هنا .

قال ( أدهم ) فى برود :

www.lillas.com/vb3



- لديك ما أريده يا ( شالوم ) .

قال ( شالوم ) فى عصبية :

- أنت أيضاً لديك ما أريده يا سيد ( أدهم ) .

تجاهل ( أدهم ) العبارة ، وكأنه لم يسمعها قط ، وقال فى حزم :

- قبل أن نناقش أية أمور بيننا ، أحب أن أتأكد من أن زميلى و ( فريدريك ) بخير .

قال ( شالوم ) :

- اطمئن .. إنهما على خير ما يرام .

ابتسم ( أدهم ) فى سخرية ، قائلاً :

- هل تتوقع منى الاقتناع بكلمتك ؟ !

حدّجه ( شالوم ) بنظرة غاضبة ، قبل أن يقول :

- ما الذى تسعى إليه بالضبط يا سيد ( أدهم ) ؟

شد ( أدهم ) قامته ، وهو يجيب فى حزم :

- أطلق سراح زميلى و ( فريدريك ) ، وبعدها

نناقش أمورنا .

التقى حاجبا ( شالوم ) فى شدة ، وهو يقول :

- هل تسخر منى يا سيد ( أدهم ) ؟

هز ( أدهم ) رأسه نفياً ، وقال :

- مطلقاً .. إننى فقط اتخذ ما يلزم من الحيطة والحذر ،

استناداً إلى خبرتى السابقة فى التعامل مع الأوغاد أمثالك ..

من أدرانى أنك لن تحصل على ما تريد ، ثم تقتلها أبشع قتلة ؟

قال ( شالوم ) فى حدة :

- ومن أدرانى أنك لن تخدعنى ، بعد أن أطلق سراحهما ؟

هز ( أدهم ) كتفيه هذه المرة ، وهو يجيب :

- إننى بين يديك .. ستظفر بى على الأقل .

صمت ( شالوم ) طويلاً ، وهو يتطلع إليه فى شك حذر

متوتر ، قبل أن يقول فى بطة :

- سيد ( أدهم ) .. أنت تعرف جيداً من أنا ، وتعرف أن أحداً

لم يسخر منى قط ، وبقي على قيد الحياة .

أجابه ( أدهم ) فى هدوء :

- أعلم هذا .

عاد ( شالوم ) إلى صمته لدقيقة أخرى ، ثم قال فى صرامة :

فليكن يا سيد ( أدهم ) .. سائبت لك أن أحداً لن يبلغ قط

مقدار ما يتمتع به ( ماثير شالوم ) من حنكة وذكاء وبراعة ..

سأطلق سراح زميلك ومساعدك السابق .

قال ( أدهم ) بسرعة :

- فليوصلهما رجالك إلى السفارة المصرية ، وعندما يتصل

زميلى بى من هناك ، سنبدأ مفاوضاتنا على الفور .

تصاعدت نبرة الشك فى أعماق ( شالوم ) ، وانطلق ناقوس

الخطر يقرع فى رأسه ، وهو يتطلع إلى عيني ( أدهم ) فى

توتر ، قبل أن يميل نحوه ، قائلاً :

- هل تتصور أن وصول الرجلين إلى سفارتك ، يمكنه أن

ينقذك من بين يدي ؟ !

ابتسم ( أدهم ) فى سخرية ، قائلاً :

- لست سائجاً إلى هذا الحد يا رجل .. أنا أعلم أنك لن

تتردد فى قتلى ، لو لم تسر الأمور على النحو الذى تنشده

وتسعى إليه .



قال ( شالوم ) فى حدة :

- بالضبط .

ثم اتجه إلى باب حجرته فى خطوات واسعة ، وفتح الباب ، قائلاً فى صرامة :

- ( بنحاس ) .. تعال مع رجلين من رجالك إلى حجرتى ، وصوبوا مدافعكم الآلية إلى السيد ( أدهم ) طوال الوقت ، واطلقوا النار عليه عند أدنى شك فى موقفه ، وليقف خمسة رجال هنا أمام الباب ، وليطلقوا النار عليه فوراً ، لو حاول الخروج دون إذن واضح وصريح منى .. ومر خمسة آخرين بالوقوف أسفل النافذة ، مع الأوامر ذاتها .. هل تفهم ؟

أجاب ( بنحاس ) فى حزم :

- بالتأكيد يا سيدي .

جلس ( أدهم ) على أقرب مقعد إليه فى استرخاء ، وهو يقول :

- نسيت أهم نقطة يا رجل .

مط ( شالوم ) شفتيه ، وانعقد حاجباه قائلاً :

- فليكن .. اطلق سراح الأسيرين يا ( بنحاس ) ، وارسلهما

مع اثنين من رجالنا إلى السفارة المصرية .

ثم التفت إلى ( أدهم ) مستطرداً :

- وسنرى يا سيد ( أدهم ) .. سنرى من منا الأكثر ذكاء وبراعة .

قالها ، ثم انعقد حاجباه فى شدة أكثر ، وعاد ناقوس الخطر

يقرّع فى أعماقه بكل قوة وهو يتطلع إلى ابتسامة ( أدهم )

المسترخية ، التى لم ترق له هذه المرة ..

لم ترق له أبداً ..

ارتفع حاجبا ( يورى جليانوف ) فى بهشة ، عندما رأى العقيد ( كوزيريف ) يذلف إلى مكتبه فى هذه الساعة ، ونهض فى بطة يقول :

- مرحباً أيها الرفيق العقيد .. كم تدهشنى زيارتك المفاجئة هذه ، فقد كنت فى طريقى إليك الآن .

أشار ( كوزيريف ) بيده ، قائلاً :

- اجلس أيها الرفيق الراحل .. أريد التحدث إليك .

عاد ( جليانوف ) يجلس ، وشبك أصابع كفيه على سطح مكتبه وهو يقول :

- خيراً .

رمقه ( كوزيريف ) بنظرة صارمة ، قبل أن يتحرك داخل الحجرة ، قائلاً :

- كلانا يعرف الكثير عن قصة الجاسوس الخفى ، الذى يعمل فى صفوفنا منذ فترة طويلة ، والذى بذلت الإدارة جهداً حقيقياً لكشف شخصيته لكون طائل .

تحركت يد ( جليانوف ) فى حذر نحو درج مكتبه ، وهو يقول :

- بالتأكيد أيها الرفيق .

أوما ( كوزيريف ) برأسه مرتين متتاليتين ، ثم قال :

- ولكن الظروف فى الآونة الأخيرة ، أضافت معلومات وإحداثيات جديدة ، وخصوصاً بعد نجاح الجاسوس المصرى فى الفرار .

فتح ( جليانوف ) درج مكتبه فى حذر شديد ، واجتلس نظرة إلى المسدس الراحل داخله ، وهو يقول :

نظرة إلى المسدس الراحل داخله ، وهو يقول :



- هل توصلت الإدارة إلى معلومات جديدة أيها الرفيق العقيد ؟

استدار ( كوزيريف ) يتطلع إليه مباشرة ، قبل ان يجيب في حزم :

- بالتأكيد .

أمسك ( جلجانوف ) مقبض المسدس في يده ، و ( كوزيريف ) يكمل :

- لقد توصلنا إلى شخصية الجاسوس .

انقبضت اصابع ( جلجانوف ) على مقبض المسدس في قوة ، وهو يسال في شيء من الانفعال :

- ومن هو ؟

تطلع إليه ( كوزيريف ) لحظات في صمت مطبق ، قبل ان يجيب :

- ( هيلجا ) .. ( هيلجا مارونسكى ) .

انعقد حاجبا ( جلجانوف ) ، وهو يسحب يده عن المسدس ، مغمغماً في دهشة :

- ( هيلجا ) ؟

اجابه ( كوزيريف ) بسرعة :

- نعم أيها الرفيق الرائد .. لقد أدهشنا هذا ايضاً ، ولكن مراجعة ملف زميلتك السابقة أرشدنا إلى بضع ثغرات ، لم ننتبه إليها في حينها ، جعلتنا ندرك انها تعمل لحساب جهة أخرى ، ومنذ فترة طويلة .

كان هذا الخبر مفاجأة حقيقية لـ ( جلجانوف ) ، حتى انه هتف دون ان يدري :

- عجباً ! .. اثنان في جهاز واحد .

حديق ( كوزيريف ) في وجهه بدهشة متوترة ، وهو يقول :

- اثنان ؟ .. ماذا تقصد بهذا القول أيها الرفيق الرائد ؟

قفزت يد ( جلجانوف ) تحتطف مسدسه بسرعة هذه المرة ،

ورفعه في وجه ( كوزيريف ) ، وهو يقول في صرامة :

- هذا ما أقصده أيها الرفيق العقيد .

وكانت مفاجأة للعقيد ( فيدور كوزيريف ) :

مفاجأة عنيفة ..

للغاية ..

\* \* \*

« اسمح لى بتهنئتك يا سيد ( أدهم ) .. »

نطق ( شالوم ) العبارة في بطنه ، وهو يتطلع إلى ( أدهم ) ،

الذى استرخى في مقعده في هدوء ، داخل معطف المطر الأنيق ،

وكانما يجلس في منزله عام ، وتابع في حزم واضح :

- لقد أدت اللعبة في براعة حقيقية ، حتى الآن .

تطلع إليه ( أدهم ) في سخرية ، وهو يقول :

- ما هذا بالضبط يا ( شالوم ) .. تواضع المنتصر ، أم مرارة

المنهزم ؟

مال ( شالوم ) نحوه ، قائلاً :

- إنك لم تنتصر بعد يا سيد ( أدهم ) .. من يضحك أخيراً

يضحك كثيراً .

قال ( أدهم ) في سرعة :

- وعالياً .. هذا صحيح يا ( شالوم ) ، وأعدك ان اضحك

باعلى صوتي ، عندما ينتهي هذا الأمر .



رمقه ( شالوم ) بنظرة صارمة ، وهو يقول :  
- أعلم أن لك سجلاً حافلاً بالانتصارات يا سيّد ( أدهم ) ،  
ولكن من العسير جداً ، أن تختصر على .  
كادت ابتسامته ( أدهم ) الساخرة تتحول إلى ضحكة عالية ،  
وهو يقول :  
- حقاً ؟

البقى حاجباً ( شالوم ) ، وهم يقول شيء ما ، عندما ارتفع  
رنين جرس الهاتف المجاور له ، فاختطف سماعته ، قائلاً :  
- من المتحدث ؟

ازداد انفعالاً حاجبيه ، وهو يستمع إلى محدّثه ، ثم ناول  
( أدهم ) السماعة ، قائلاً في شيء من الحق :  
- إنه زميلك .

التقط ( أدهم ) السماعة ، واستمع إلى صوت زميله في  
ارتياح ، ثم قال بالعربية .

- حمداً لله على سلامتك يا رجل .. بلّغ ( فريدريك ) تحياتي ،  
وأخبره أنني سعيد بنجاته .. كلاً .. لا تقلق بشأنى .. أعرف  
كيف أتدبر أمورى جيداً .. إلى اللقاء .. وبالمناسبة .. أخبر  
طاهى السفارة أنني أحب تناول حساء الدجاج فى العشاء ؟  
رمقه ( شالوم ) بنظرة غاضبية ، عندما سمع عبارته  
الآخيرة ، وقال له عندما أنهى المحادثة :

- تحب تناول حساء الدجاج فى العشاء ؟ ! انغاضل هذا أم  
حماقة يا سيّد ( أدهم ) .

هزّ ( أدهم ) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :  
- لا هذا ولا ذاك .. أنا أحب تناول حساء الدجاج بالفعل فى  
عشائى ..

بدا الغضب على وجه ( شالوم ) ، وهو يقول :  
- فليكن .. دعنا من هذا العبث ، وأخبرنى : أين التسجيلات  
التي حصلت عليها من خزانة ( هال ) ؟

ابتسم ( أدهم ) فى سخرية ، وهو يقول :

- فى أماكن شتى يا ( شالوم ) ، فبعضها تم إرساله إلى  
وكالات الأنباء العالمية ؛ لأنه يحوى ما يثبت أنك المسئول عن  
تدبير عملية طائرة التجسس ، وأن ( مصر ) بريئة من  
هذا تماماً .. ولو أنك تشك فى قولى هذا ، فيكفى أن تشاهد  
محطة ( C . N . N ) بعد ساعة واحدة ، وستجد صورتك على  
شاشتها ، وأنت تعدّ خطتك الحكيمة ، مع ( هال ) وزملائه .. لقد  
كان ذلك المحامى الفلندى داهية حقاً ، حتى يحتفظ بتسجيلات  
لكل هذا .

احتقن وجه ( شالوم ) فى شدة ، واحمرت عيناه فى غضب ،  
فى حين تابع ( أدهم ) بنفس الهدوء الساخر :

- أما بعض الشرائط الأخرى ، فقد أهديناها إلى المخابرات  
السوفيتية ، لنكشف أمر العميل السوفيتى ، الذى بذلت قصارى  
جهدك لتجنيده لحساب ( الموساد ) .

واتسعت ابتسامته الساخرة ، وهو يضيف :  
- معذرة إنى يا عزيزى الوجد ( شالوم ) .. لقد خسرت اللعبة  
هذه المرة .. خسرتها عن جدارة .

هبّ ( شالوم ) من مقعده ، وانتفض جسده كله بغضب  
هادر ، وهو يصرخ :

- هل تظن هذه ؟ .. ستدفع الثمن يا رجل .. ستدفعه فادحاً .  
ثم أشار إلى رجاله ، صارخاً :



- اقتلوا هذا الرجل .

ولم تكن عبارته الأمرة قد اكتملت بعد ، عندما رفع ( بنحاس ) وزميلاه مدافعهم الآلية ، وانطلقت رصاصاتهم بلا تردد ، لتصيب الهدف مباشرة ..

وصرخ ( شالوم ) فى انفعال :

- أنت خسرت هذه المرة .. أنت .

قالها ، وهو يشاهد الرصاصات بعينيه تضرب جسد ( ادهم ) وجبهته ..

تضربه فى مقتل ..

\* \* \*

حقق العقيد ( كوزيريف ) فى وجه ( جليانوف ) ومسدسه فى دهشة ، قبل ان يهتف غاضباً مستنكراً :

- ما هذا بالضبط أيها الرفيق ( جليانوف ) ؟ .. هل جئنت حتى تصوب مسدسك إلى رئيسك .

ابتسم ( جليانوف ) ساخراً ، وهو يقول :

- لا تقلق نفيك بهذا أيها الرفيق ، فمن الناحية الرسمية ، لم تعد رئيسى .

مال وجهه ( كوزيريف ) إلى الأمام ، وهو يقول فى ذهول منزوع :

- ماذا ؟

أجابة ( جليانوف ) ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، ويلتقط شريطاً من اشربة الفيديو :

- لقد أصدر القائد هذا الأمر منذ قليل ، بعد ان وصلته نسخة من هذا الشريط ، التى يحوى تسجيلات لك ، مع محام

فلندى ، وانت تنقل إليه بعض أدق أسرارنا ، خلال واحدة من زيارتك إلى ( هلسنكى ) ..

ارتجفت شفتا ( كوزيريف ) وامتقع وجهه بشدة ، وهو يتطلع إلى ( جليانوف ) ، الذى مال بضغط زراً على مكتبه ، مستطرداً :

- عندما دخلت إلى مكتبى ، تصورت أنك ستحاول التخلص منى ، بعد أن انكشف أمرى ، ولكننى فوجئت بأن الأخبار لم تبلغك بعد ، ومن دواعى سرورى أننى الشخص الذى أبلغك بها .

ومع آخر حروف كلماته ، اندفع رجال الأمن داخل الحجرة ، وصوبوا أسلحتهم إلى ( كوزيريف ) المنهار ، فالتقط ( جليانوف ) نفساً عميقاً من الهواء البارد ، قبل أن يقول فى صرامة :

- لقد انتهى أمرى هذه المرة أيها الرفيق العقيد .. انتهى تماماً .

وحمل صوته رنة تجمع ما بين السخرية والتشفى والشماتة ..

رنة تعنى أن العميل السوفيتى صار مجرد ماضٍ ..

أو رقم فى سجلات المعتقل ..

معتقل ( سيبيريا ) ..

\* \* \*

انطلقت رصاصات المدافع الآلية الثلاثة نحو جسد ( ادهم ) ورأسه ، فانتزعته من مكانه ، والقتته متراً ونصف المتر إلى الخلف ، قبل أن يرتطم بأحد المقاعد ، ويسقط معه أرضاً فى عنق ..



وفى نفس اللحظة التى استقر فيها جسده أرضاً ، اقتحم الرجال الخمسة الذين يحرسون المكان الحجرة ، وسبّاباتهم متحفزة على ازئدة مدافعهم ، فهتف بهم ( شالوم ) فى سرعة :

- لا بأس يا رجال .. عودوا إلى مواقعكم .. كل شيء تحت السيطرة .

- القى الرجال نظرة على جسد ( أدهم ) ، الملقى مع المقعد أرضاً ، ثم تراجعوا قائلين فى توتر :

- فليكن أيها الرئيس .. فليكن .. تصوّرنا مع انطلاق الرصاصات ، انكم فى مازق ما .

لوح ( شالوم ) بيده قائلاً :

- كلاً .. لا توجد أية مشكلات .. عودوا إلى مواقعكم .

غادر الرجال الحجرة فى سرعة ، فى حين حدّق ( بنحاس ) فى جسد ( أدهم ) ، قائلاً فى دهشة :

- لقد انتهى الأمر بسرعة أيها الرئيس .. مع كثرة حديثك عن هذا الرجل ، لم اتصوّر قط أن ينتهى امره على هذا النحو .

كاد ( شالوم ) يقول : إنه أيضاً لم يكن يتصوّر هذا قط ، إلا أن الكلمات احتبسّت فى أعماقه ، وهو يتطلّع إلى جسد ( أدهم ) ،

حتى أنه بذل جهداً حقيقياً ليغمغم :

- كل شخص له نهاية ، مهما بلغت قوته .

قالها ، واتجه فى حذر نحو جسد ( أدهم ) ، وانحنى بفحصه فى اهتمام ، وهو يقول فى حيرة متوترة ، ويده تمتد لتتحسّس إصابة الرأس :

- عجباً ! .. الرصاصات أصابته فى صدره ورأسه ، ولكن لا توجد دماء أو ...

بتر عبارته ، وانتفض جسده كله فى عنف ، عندما فتح ( أدهم ) عينيه بغتة ، وارتفعت يده تقبض على معصمه باصابع من القولاذ ، وصوته الساخر يقول :

- لأن موتى لم يحن بعد أيها الوغد .

تلهق ( شالوم ) ، واراد أن يتراجع مذعوراً ، ولكن قدم ( أدهم ) أصابعه فى مؤخرته ، والقته خلفه فى عنف ، فى نفس

اللحظة التى ضغط فيها ( أدهم ) زر جهاز تحكم لاسلكى صغير فى جيب معطفه ، فالتقط إشارة جهاز استقبال صغير فى

حقيبة السيارة ، التى أوقفها أمام باب الفيلا ، واشعل فتيل صاروخين وقنبلة ..

ودوت ثلاث انفجارات هائلة .

ففى ثانية واحدة انطلق صاروخ من مقدّمة السيارة ، أصاب مدخل الفيلا وانفجر بعنف ، وانطلق آخر من الحقيبة ، وعبر

الحديقة كلها لينفجر عند البوابة المعدنية ، ويطيح بها مع طاقم حراستها ، ثم انفجرت السيارة نفسها ، وأطاحت بكل من

حولها من رجال ( شالوم ) ..

وفى نفس الثانية تقريباً ، كان ( أدهم ) ينقضّ على ( بنحاس ) وزميليه ، مستغلاً عامل الدهشة والمفاجأة ،

فيحطّم فك أحدهم بكلمة كالقنبلة ، ويغوص فى معدة الثانى بضربة كالمطرقة من قدمه ، ويهوى بقبضته الأخرى على مؤخرة

عنق الثالث ..

وقفز ( شالوم ) يحاول بلوغ مسدسه عل المكتب ، ولكن أصابع ( أدهم ) قبضت على عنقه ، وهذا الأخير يقول ساخراً :

- إلى أين أيها الوغد ؟ .. لن تعترف بالهزيمة ؟ !



حاول ( شالوم ) أن يستدير لمهاجمته ، ولكن ( أدهم ) لكفه  
فى معدته بكل قوته ، ثم أصاب فكه بكلمة ثانية ألقتة أرضاً ،  
قبل أن يقول ساخراً :

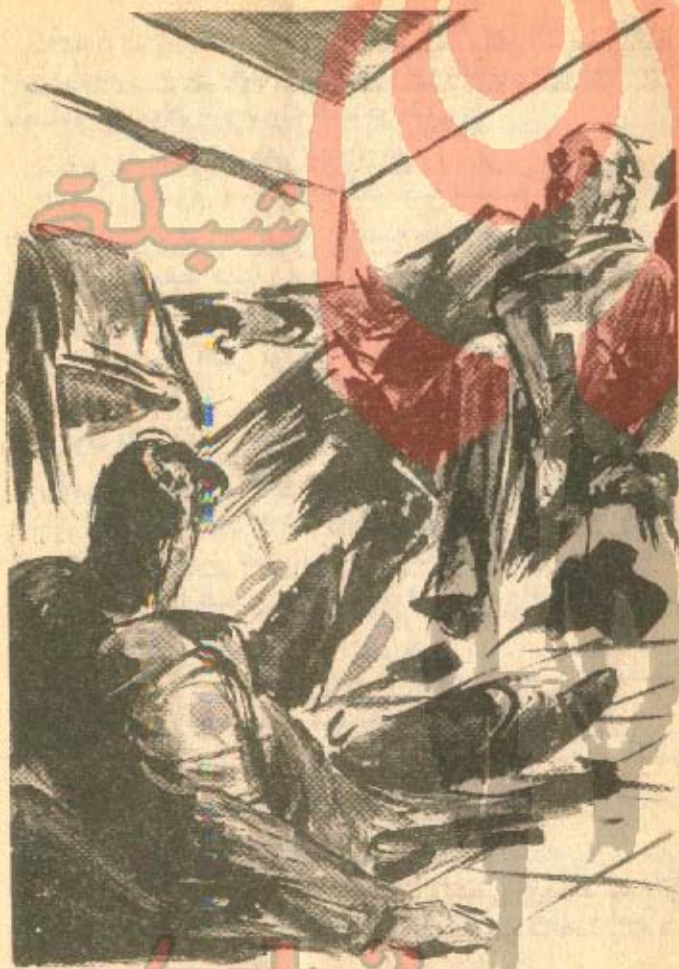
- والآن ما قولك أيها الوغد الأرقط ؟ .. أما زلت تصرّ على  
أنك أكثر الجميع براعة ودهاء ؟  
بدا صوت ( شالوم ) أقرب إلى البكاء ، وهو يقول :-  
" إنك ترتدى معطفاً واقياً من الرصاصات ، ولكن ماذا عن  
إصابات رأسك وجبهتك ؟

ابتسم ( أدهم ) فى سخرية قائلاً :  
- إنه ليس وجهى هذا الذى تراه أيها العبقري .. إنه مجرد  
قناع متقن لوجهى ، مبطن بمادة ( الكيفلار ) .. هل تعرفها ؟  
إنها تلك المادة الحديثة التى تستخدم لصنع الدروع المضادة  
للرصاص ، وهى تتميز عن الدروع القديمة فى أنها أكثر قوة ،  
وأخف وزناً ، وأقل سمكاً (\*) .  
هزّ ( شالوم ) رأسه فى مرارة ، وبصق بعض الدم من فمه ،  
قبل أن يقول :

- قناع إضافى !! .. لقد تفوّقت على نفسك بالفعل هذه المرة  
يا ( أدهم ) ، ولكن هل تتصوّر أن قنابلك هذه قد قضت على كل  
رجالى ؟ .. أم أنك تظن أنك قادر على الخروج من هنا حيّاً ،  
لمجرد أنك ضربت ثلاثة من الرجال وأفقدتهم الوعي ؟  
مال ( أدهم ) نحوه ، قائلاً :

- لست أتصوّر هذا أو ذاك يا رجل ، ولكننى ورجالكم نعلم أن  
الموت لا يأتى مرتين ، وما داموا قد راوئى صريعاً هنا ، فكيف

(\*) حقيقة .



ولكن قدم ( أدهم ) أصابعه فى مؤخرته ، وألقته خلفه فى علف ..



يفكرون فى قتلى مرة اخرى .. خاصة وان من سيخرج من هنا ،  
وسط الفوضى التى سادت المكان مع الانفجارات ، لن يكون أنا .  
ثم انتزع القناع الإضافى عن نفسه ، متابعاً :  
- بل أنت .

اتسعت عينا ( شالوم ) فى ذهول ، وهو يحدّق فى وجه  
( أدهم ) ، الذى تحول إلى نسخة طبق الأصل منه ، وهتف  
محاولاً النهوض :  
- أيها الـ ...

أخرسته قبضة ( أدهم ) بكلمة مباشرة فى فكه ، اسقطته  
فاقد الوعي ، ثم وضع قناع الوجه المصاب فوق وجهه ، والبسه  
معطفه ، ونهض قائلاً :

- إلى اللقاء أيها النذب الإسرائيلى الخاسر .. لا تنس أبداً  
أنك نقت هزيمتك الأولى على يد من هم أكثر براعة منكم ..  
المصريين .

قالها ، وشد قامته ، والتقط معطف ( شالوم ) من المشجب ،  
وارتداه فى هدوء ، وغادر الحجرة ، وهو يقول بصوت ولهجة  
الإسرائيلى ، وبصرامة شديدة :

- احضروا سيارتى على الفور .. لأبد ان أبتعد عن هنا ، قبل  
وصول الشرطة .

وفى الوقت الذى ساد فيه الاضطراب فى فيلا ( شالوم ) ،  
والجميع يحاولون السيطرة على النيران ، التى اشتعلت من  
جاء الانفجارات ، كانت ابتسامة ساخرة كبيرة تملأ وجه  
( أدهم ) ، وهو ينطلق بسيارة الإسرائيلى نحو المطار ، معلنة  
انتصاره فى جولته الأخيرة مع الخطر .. ومع الموت ..

\* \* \*

انهمرت الأمطار فى غزارة على ( القاهرة ) ، على نحو لم  
يسبق له مثيل منذ بداية فصل الشتاء ، ووقف ( أدهم ) صامتاً  
فى مكتبه ، يراقب الأمطار من خلف زجاج النافذة ، وقد شرد  
بافكاره طويلاً ، حتى سمع صوت زميله من خلفه يقول :

- طقس رديء .. اليس كذلك ؟  
التفت إليه ( أدهم ) فى هدوء قائلاً :  
- إنه يبدو لى رائعاً ، بعد ما شاهدته فى ( سيبيريا ) .  
ابتسم زميله ، وربّت على كتفه فى امتنان ، قائلاً :

- إننى أدين لك بحياتى يا صديقى ، فلولاك لافترسنا  
( شامير ) أنا و ( فريدريك ) .  
هزّ ( أدهم ) رأسه قائلاً :

- ولولاى ماسعنى لاختطافكما أيضاً .  
قال زميله :  
- هذا لا يمنع أنك أنقذت حياتنا ، وأنت تصرّفت ببراعة

مدهشة ، منذ بداية المهمة .. لقد قرأت تقريرك كله .  
ثم سألته فى اهتمام :  
- ولكن أخبرنى : لماذا رفضت قيادة المعتقلين ، فى ثورتهم

ضد طغاة معتقل ( سيبيريا ) ؟  
أجابته ( أدهم ) فى سرود :

- كان الأمر سيتحوّل إلى منبحة رهيبة ، فالقواعد فى  
( سيبيريا ) تحلّم إطلاق النار على الجميع بلا رحمة أو هوادة ،  
فى حالة التمرد أو الثورة ، والمعتقلون كانوا منهكين متهاكين ،  
ولم يكن باستطاعتهم قط التصدى لكثيية مسلحة شرسة .  
أوما زميله برأيه متفهّماً ، وهو يغتمغ :



- هذا صحيح .

ثم عاد يربت على كتف ( أدهم ) ، مستطردًا :

- لقد انتهى الكابوس على أية حال ، وحقق انتصارًا  
كالمعتاد يا رجل ، وهزمت الموت نفسه هذه المرة .

ابتسم ( أدهم ) ، وهو يقول :

- لا أحد يهزم الموت يا رجل .. إنه المنتصر حتمًا في كل  
معاركه ، مهما طال الزمن .

ضحك زميله قائلاً :

- ولكنك فعلتها مرتين يا صديقي .. ألم يعدمك ( فينوفيتشي )

في ( سيبيريا ) ، ويقتلك ( شالوم ) في قبيلته في ( هاسنكي ) ؟

وعلى الرغم من هذا ، فهأنذا حي ترزق بيننا .

هز ( أدهم ) رأسه ، وتنهد في عمق ، قبل أن يقول :

- إنه موت في الأوراق الرسمية وحدها يا رجل ، وهذا أمر

يسهل تزييفه والعبث به ، أما الموت الحقيقي فلا يفشل أو  
ينهزم .

ثم شرد بصره مرة ثانية ، وهو يعاود التطلع إلى الأماط

المنهمرة ، وذهنه يستعيد كل ما حدث ، قبل أن يضيف في

صوت عميق خاشع :

- ولا يأتى أبدًا مرتين .

وعاد إلى صفته ، والمطر ينهمر ..

وينهمر ..

وينهمر ..

\* \* \*

www.liilas.com/vb3

[ تمت بحمد الله ]